سلسلة الكتاب الجامعي (7) 2002

موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية

﴿ اليمن القديم ﴾

أ. د. أسمهان سعيد الجرو كلية الآداب "جامعة عدن"

دار جامعة عدن للطباعة والنشر
unipress@y.net.ye

موجز التاريخ السّياسيّ القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية

(اليمن القديم)

أ. د. أسمهان سعيد الجرو
أستاذ التاريخ القديم
كلية الآداب "جامعة عدن"

بسم الله الرحمن الرحيم

إصدارات جامعة عدن

WWW. Adenuniversity.edu.ye
E-mail: adenuinversity@y.net.ye

رقم الايداع في المكتبة الوطنية – عدن 278 لعام 2002

الطبعة الأولى، 2002.

National Library Aden, No. 278/2002

1 st Edition, 2002

دار جامعة عدن للطباعة والنشر

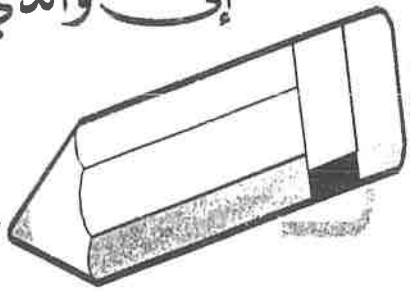
ADEN UNIVERSITY P.&P. House

الجمهورية اليمنية . عدن . مدينة الشعب . ص . ب . 11016 ☎ 360087 – 360135
فاكس: 360701 (2 967+)
Fax (+9672) 360701 E-mail: unipress@y.net.ye
R. O. YEMEN. ADEN. MADINAT AL – SHAAB P . O . BOX 11016 ☎ 360087-360135

الإهداء

إلى والديّ الحبيبين

عرفاناً وامتناناً



المقدمة:

إنّ للطبيعة الجغرافيّة لليمن القديم، أثراً كبيراً وفعالاً في طبع الحضارة اليمنيّة بطابع خاص متميّز؛ بل إنّه ليصعب تفسير بعض المقوّمات الحضاريّة بمعزل عن معرفة الظروف الطبيعيّة التي تهيّأت للإنسان ودفعته إلى التفكير والإبداع والأخذ بأسباب التجديد والتطوير.

فاليمن القديم يتميّز بمميّزات طبيعيّة قلّما توافرت لغيره من البلدان، فإذا ألقينا نظرة فاحصة على الخريطة التاريخيّة لليمن القديم، لراعنا الموقع الاستراتيجي الذي يحتلّه، والذي كان له عظيم الأثر على المستوى العالمي فاليمن القديم يتوسط ثلاث قارات كانت مهد الحضارات منذ القدم، هي: آسيا شرقاً، وأفريقيا غرباً، وأوربا شمالاً. فهو بمثابة البوّابة الجنوبيّة للعالم القديم، ويجاور أخصب بقاع العالم كالهند، وشرق أفريقيا الغنية بمنتوجاتها المرغوبة آنذاك. ذلك الموقع جعل قدماء اليمنيّين يقومون بدور التاجر، حيث كانوا يتاجرون بما لديهم من سلع مقدّسة كاللبان والمر ... ويقومون أيضاً بدور الوسيط التجاري بين أوروبا وجنوب شرق آسيا، وشرق أفريقيا والعكس.

لقد تحكّمت الممالك اليمنيّة - منذ الألف الأول ق. م - من جراء ذلك الموقع بطرق القوافل البريّة، تلك الطرق التي تبدأ من الموانئ الجنوبيّة لليمن القديم، مروراً بالمستوطنات الرئيسيّة، والمراكز التجاريّة في وسط وشمال شبه الجزيرة العربيّة، متّجهة إلى حوض البحر المتوسط، لتقوم بتفريغ منتجاتها، وجلب منتجات أخرى، كما كان لها نفوذ على الملاحة البحريّة.

وكان لذلك الاتصال الاقتصاديّ والتفاعل الحضاريّ دوراً هاماً في اكتسابه أفكار وثقافات جديدة أثّر فيها وتأثّر بها.

فإلى جانب الموقع الاستراتيجيّ نجد أن للمناخ المتنوّع والتراكيب الجغرافيّة من جبال وسهول وأودية وهضاب ... انعكاساً على تنوّع المنتجات الزراعيّة... ناهيك عن أن الإنسان اليمنيّ القديم لم يستسلم للطبيعة البتة؛ بل راح يتلمّس طريقه، وينمّي قدراته مكتسباً مهارات جديدة في استثمار الأرض، ففي الوقت الذي كان يحاول فيه استنباط أسلوبه الزراعي، وتحسين عدّة وأدوات عمله، كان عليه أن يهيّمن على المياه ويسيطر على تدفقها؛ ليتفادى منها الطغيان والنقصان، وأن يردّ عنه خطر الفيضان، فأقام شبكات الري المتنوعة من سدود وأقنيّة لصرف المياه والترع اللازمة للسقي، وحفر الآبار، وبنى الصهاريج ليحقق من ذلك كله سيطرته على الأرض، واستثمار خيراتها الطائلة؛ وفق أسس منهجية وأصول علميّة.

ويقف وراء ذلك الازدهار الحضاري كثافة سكانيّة وأجهزة إداريّة مشدودة إلى العقيدة الدينيّة بروابط وثيقة، مدعومة بنسبية من الهدوء والاستقرار، وما كان

يسود بين الفينة والأخرى من علاقة الوئام بين الممالك اليمنيّة المتجاورة، كل هذا أعطى فرصة للانصراف إلى العمران، والصناعة، واستخراج المعادن والكتابة... ونتيجة لذلك سنّت القوانين والشرائع الاقتصاديّة المنظّمة للحياة بمختلف مجالاتها آنذاك.

وبفضل تلك الطبيعة، وذلك النشاط البشريَ اللامحدود، سطع نجم اليمن القديم (العربية السعيدة) عالياً، واصبح محط أطماع الدول الكبرى آنذاك (فارس وروما)، بل واصبح هدفاً استراتيجياً لهما، فمارستا كلَ الأساليب والسبُل لتحقيق تلك الغاية، وتمكنتا من تفتيت عرى ذلك الصرح العريق.

لقد اعتمدنا - في هذا الكتاب - على المصادر النقشيَة والأثريَة بصورة أساسيّة، كما أفادتنا الدراسات الحديثة للعلماء المختصّين بدراسات اليمن القديم - بمختلف اللغات - والتي استقت معلوماتها من النقوش ومن نتائج التنقيبات الأثريّة الحديثة، كما اعتمدنا كثيراً على نتائج التنقيبات الأثريَة التي نشرت - بمختلف اللغات - على شكل تقارير أوليّة. وشكّلت المصادر العربيّة الإسلاميّة منهلاً لمقدار كبير من المعلومات الضروريّة. وقد أفردنا الفصل الثالث من الكتاب، لدراسة كل ما يتعلق بمصادر تاريخ اليمن القديم.

وتجبُ الإشارة هنا إلى أنّ دراسة التاريخ السياسيّ لليمن القديم متسعة للغاية، ومهما تمَّ بحثه من بعض الجوانب يظلّ الغموض يكتنف جوانب أخرى، ما لم تقدم البعثات الأثريّة معطيات جديدة لنا.

فكل ما سنقدّمه من موضوعات في هذا الكتاب تظلّ موجزة، وأملنا في أن يحقق هذا الكتاب الغاية المرجوّة، وان يكون مرجعاً مفيداً لطلاب التاريخ في المرحلة الجامعية، نظراً لما يغطيه من مفردات مقرّرة عليهم، ويشكّل قاعدة معرفية، تسمح لهم في المستقبل بالتّوسّع في دراسة التاريخ السياسي لليمن القديم، بشكل أكثر تفصيلاً.

<u>**ويتضمن مخطط البحث ما يلي:**</u>

المقدّمة:

<u>الجزء الأول:</u> عبارة عن مدخل لدراسة تاريخ اليمن القديم ويشمل خمسة فصول:

<u>الفصل الأول:</u> يبحث المقومات الطبيعيّة لنمو وازدهار الحضارة اليمنيّة. (التكوين الجيولوجي، التضاريس، المناخ).

<u>الفصل الثاني:</u> عصور قبل التاريخ في اليمن القديم:

(العصور الحجريّة، فرضيات حول عصور قبل التاريخ في اليمن، ونماذج من مواقع أثريّة تعود للعصور الحجريّة).

<u>الفصل الثالث:</u> مصادر دراسة تاريخ اليمن القديم:

(النقوش، الآثار، المصادر الدينيّة، المصادر الكلاسيكيّة والأدبيات العربيّة).

الفصل الرابع: البحث عن النقوش واكتشاف الآثار في اليمن: (تاريخ الاهتمام بآثار وحضارة اليمن القديم، البحث عن النقوش، والتنقيبات الأثريّة).

الفصل الخامس: نظريات حول:

- التسلسل التاريخي لأدوار التاريخ اليمني القديم.
- الموطن الأول للسَبئيين.

الجزء الثاني: ويتناول (العصر الأول من التاريخ السياسي لليمن القديم) "حضارة صيهد" ويشمل:

الفصل الأول: مدخل إلى العصور التاريخيّة.

دولة سبأ: (أقدم ذكر لدولة سبأ، أرض سبأ، أشهر مكارب وملوك الدولة السبئيّة وآثار دولة سبأ).

الفصل الثاني: دولة حضرموت (موقعها الجغرافي، حضرموت في المصادر، الوضع السياسي والاقتصادي لحضرموت مع بداية الميلاد، وآثار دولة حضرموت).

الفصل الثالث: دولة قتبان (الموقع الجغرافي، التكوين السياسي، نظام الحكم في دولة قتبان، أشهر ملوك القتبانيين، انهيار دولة قتبان، وآثار قتبان).

الفصل الرابع: دولة أوسان (التكوين السياسي، الصراع السبئي - الأوساني في القرن السابع ق.م، تطورات الأحداث بعد انتصار السبئيّين على الأوسانيين، أوسان تستعيد نشاطها، نشاط أوسان الاقتصادي، نهاية دولة أوسان سياسياً، وآثار أوسان).

الفصل الخامس: دولة معين (الموقع الجغرافي، أيهما أقدم معين أم سبأ ؟، التكوين السياسي لدولة معين، النشاط الاقتصاديّ، النهاية السياسيّة لمعين، وآثار معين).

الجزء الثالث: يتحدث عن العصر الثاني من التاريخ السياسي لليمن القديم حضارة القيعان في المرتفعات الغربيّة).

الفصل الأول: ويبحث الأوضاع الدوليّة قبيل ميلاد "يسوع" عليه السلام وأثرها على مجريات الأحداث في اليمن القديم. يتطرق هذا الفصل: (للحملة الرومانية على جنوب شبه الجزيرة العربية، ولانتعاش الملاحة البحريّة، وللأوضاع الداخلية للكيانات السياسيّة، ومن ثم لبروز دولة حمير أو (بني ذي ريدان).

الفصل الثاني: دولة سبأ وذي ريدان:

أولاً: مَنْ أوّل من تلقب بلقب ملك سبأ وذي ريدان؟ هل هم ملوك سبأ أم ملوك حمير؟ كما يتناول: الصدام العسكري بين الكيانين السبئي والريداني، أقيال يصلون إلى سدة الحكم في مأرب، تشعب الصراع العسكري ودخول الأحباش طرفاً فيه، سياسة (شعر اوتر) ملك سبأ مع الأحباش وبدولة حضرموت، ويتطرق لسياسة الملك السبئي (إلى شرح يحضب الثاني ولعلاقته مع ملك حمير ومنافسه العنيد (شمر يهحمد).

الفصل الثالث: دولة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة (شمر يهرعش المؤسس الأول للدولة المركزيّة، ثم يبحث تاريخ الأطماع الحبشيّة في اليمن، والدور السياسي لليزنيين وللأعراب في تثبيت دعائم الدولة الجديدة، ومن ثم يتناول التحوّلات الدينيّة وأثرها على الوضع السياسي للمنطقة).

الجزء الرابع: اليمن إبّان القرن السادس الميلادي، وهو الجزء الأخير من الكتاب، ويشمل ستة فصول:

الفصل الأوّل: الأوضاع الدوليّة وأثرها على اليمن ويتناول الأحوال الداخليّة للكيانات السياسية.

الفصل الثاني: ويبحث وصول الملك يوسف أسأر يثأر إلى الحكم بلقب (ملك كل الشعوب)، وسياسته الداخليّة.

الفصل الثالث: "حديثنا هنا يتركّز حول الغزو الحبشي لليمن: (الحملة الأولى، والحملة الثانيّة وهزيمة القوات اليمنيّة ثم يبحث أسباب تلك الهزيمة).

الفصل الرابع: اليمن تحت السيادة الحبشيّة:

الملك سميفع أشوع: ملك صوري، استيلاء أبرهة على الحكم، السياسة الداخلية والخارجية لأبرهة).

الفصل الخامس: ثورة سيف بن ذي يزن:

(المقاومة ضد الغزو الحبشيّ، سيف يبحث عن سند دولي، انتصار سيف بمساندة الفرس وتوليه الحكم).

الفصل السادس: خضوع اليمن لسيادة الفارسيّة حتى مجيء الإسلام.

وفي ختام هذه المقدمة أسجّل شكري وامتناني الصادقين لجميع من عاونني معونة مخلصة في إخراج هذا الكتاب إلى النور بعد سنوات من العمل والجهد وأخص بالذكر:

الدكتور (كريستيان روبان Christian Robin): باحث بالمركز القومي للبحوث العلميّة (CNRS) وأستاذ بجامعة (أكس آن بروفانس Aix - en - Provence) بفرنسا، والمعروف بنشاطه العلمي اللامحدود، نشرت له عدد من الدراسات العلميّة القيّمة والخاصة بتاريخ وحضارة اليمن القديم، أدين له بالفضل الكبير في كل المعلومات الجديدة التي تبحث تاريخ اليمن القديم باللغات الأجنبية، فهو بمثابة معين لا ينضب، ظل يمدّني طيلة سنوات - منذ حصولي على الدكتوراه على يديه عام 1986م (جامعة السربون) وحتى الآن - بكل دراسة جديدة له ولغيره من العلماء المختصّين بتاريخ وحضارة اليمن القديم.

أ. د. أسمهان سعيد الجرو

عدن، 18 سبتمبر 1995

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

هذه هي الطبعة الثانية من هذا الكتاب (موجز التاريخ السياسي لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، أقدمها للطلاب والمثقفين بعد أن نفذت الطبعة الأولى في فترة قياسية، وقد اعتبرت هذا التعاطي الإيجابي مع الكتاب تحية وتقديراً للجهود التي بذلتها في تأليفه، الأمر الذي حملني على رد التحية بأحسن منها بإعادة طباعة الكتاب منقحاً ومهذباً، وتأليف كتاب آخر مكمل له بعنوان (دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم)، وهو حالياً قيد النشر في مطبعة جامعة عدن، وقد حرصت خلال ذلك وحيث ما أمكن أن أقوم بتوفير أكبر قدر ممكن من المادة العلمية التاريخية مما سمحت به المعطيات العلمية الجديدة منذ الإصدار الأول للكتاب وحتى لحظة إصدار هذه الطبعة.

وما أود الإشارة إليه في هذه المقدمة منطلقة من بعض الآراء والمناقشات حول الكتاب وأهميته العلمية والتعليمية الحقائق التالية :ـ وذلك بغرض الإرشاد والتوجيه لتحقيق أقصى درجات الفائدة من قراءة الكتاب والتأمل في موضوعاته ـ

- الكتاب وبالموضوعات التي يتضمنها يشكل مرجعاً دراسياً لا غنى عنه لطلاب التاريخ في الجامعات العربية، فأنه وبالقدر ذاته يساعد على تهيئة الطلاب لدراسة التاريخ السياسي القديم لجنوب الجزيرة العربية، بشكل أكثر تفصيلا ؛ إذ حين قمت بتأليفه لهذا الغرض كنت حريصة جداً على أن يكون بمثابة كشافٍ ومرشد للطلاب إلى أهم الموضوعات التي من الممكن أن يقوم طلاب المستويات العليا في مساق البكالاريوس وطلاب الدراسات العليا باختيارها لإجراء البحوث والدراسات بشأنها. فالكتاب ملئ بالأسئلة غير المباشرة في شأن قضايا عديدة لا يزال الغموض يكتنفها وهي بحاجة إلى مزيد من البحث والدرس.

- إن القارئ المجتهد سوف يجد في الكتاب تاريخ الجهود العلمية التي بذلت في سبيل إعادة كشف تاريخ اليمن القديم وحضارته وتكوين التصورات العلمية التي تقترب أكثر فأكثر من حقيقة ذلك التاريخ.

و نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل.

أ. د. أسمهان سعيد الجرو
أستاذ التاريخ القديم ، ورئيسة قسم التاريخ والآثار
بكلية الآداب جامعة ـ عدن

عدن
10 يناير 2002م

أبجدية حروف المسند وما يقابلها من الحروف العربية الشمالية واللاتينية

عربي	مسند	لاتيني
أ	𐩱	ʾ
ب	𐩨	b
ت	𐩩	t
ث	𐩻	ṯ
ج	𐩴	ǧ
ح	𐩢	ḥ
خ	𐩭	ḫ
د	𐩵	d
ذ	𐩹	ḏ
ر	𐩧	r
ز	𐩸	z
س	𐩪	s s[1]
ش	𐩦	š s[2]
س	𐩯	ś s[3]
ص	𐩮	ṣ

عربي	مسند	لاتيني
ض	𐩳	ḏ
ط	𐩷	ṭ
ظ	𐩼	ẓ
ع	𐩲	ʿ
غ	𐩶	ḡ ġ
ف	𐩰	f
ق	𐩤	q
ك	𐩫	k
ل	𐩡	l
م	𐩣	m
ن	𐩬	n
هـ	𐩠	h
و	𐩥	w
ي	𐩺	y

نلاحظ أنّ الحروف الهجائيّة للّغة اليمنيّة القديمة (لغة النقوش) تكتب بأشكال مختلفة عند النسخ مثال: حرف (الباء) يكتب على شكل ? ، أو على شكل ? ، وحرف (الجيم) نجده يكتب في الغالب على شكل− ، وفي بعض النقوش يكتب على شكل− وهكذا بقية الحروف، والاختلاف في شكل كتابة الحروف الهجائية للغة المسند، يعود في الأساس إلى المرحلة التاريخيّة المواكبة للكتابة، ومع تطوّر الحياة الحضاريّة، نلاحظ تطوّر الكتابة، فتأخذ الحروف شكلاً أكثر تناسقاً وجمالاً.

2− لقد استعمل العلماء عند كتابتهم للنقوش اليمنيّة − في بداية الأمر − الحروف العبريّة (أنظر مدوّنات النقوش) نظراً لأن أوائل المهتمّين بالدراسات اليمنيّة القديمة، كانوا من علماء اللّغة والتاريخ العبريّ والمسيحيّ، أمّا الاتجاه الحاضر فيقوم على أساس استعمال الحروف اللاتينيّة، والعربية كما هو مبيّن في الجدول. وقد أوردنا هنا طريقة النسخ الأكثر شيوعاً.

وتجب الإشارة إلى أن الفتحة تكتب (a) والضمة (u) والكسرة (i) والياء المكسورة (i) والواو بالضمة يكتب (Ü) ،أمّا الألف الطويلة فتكتب على شكل(ậ)، وكذلك الألف المكسورة (á) وتكتب التاء المربوطة (a)، أمّا التاء المربوطة بعد الألف الطويلة فتكتب (a^t).

الجزء الأول

مدخل إلى تاريخ اليمن القديم

الفصـــل الأوّل: المقوّمات الطبيعيّة لنمو وازدهار الحضارة اليمنيّة.

الفصـــل الثاني: عصور قبل التاريخ في اليمن.

الفصل الثالث: مصادر دراسة تاريخ اليمن القديم.

الفصل الرابع: البحث عن النقوش واكتشاف الآثار في اليمن.

الفصل الخامس: نظريات حول

التسلسل التاريخي لأدوار التاريخ اليمنيّ القديم "علم الكرونولوجيا Chronology ".

الفصل الأول

المقومات الطبيعيّة لنمو وازدهار الحضارة اليمنيّة

أولاً: التكوين الجيولوجيّ.
ثانياً: التضاريس.
ثالثاً: المناخ.

أولاً: التّكوين الجيولوجي

إنّ الاتجاهات الأساسيّة لدراسة الطبيعة الجغرافيّة لأي منطقة تستدعي أولاً معرفة تكوينها الجيولوجيّ، لما لذلك من تأثير بالغ على تضاريس ومناخ المنطقة.

وعند الحديث عن التكوين الجيولوجيّ لجنوب شبه الجزيرة العربيّة، لابدّ من معرفة التكوين الجيولوجيّ لشبه الجزيرة العربيّة بشكل عام، فهذا التكوين في الأساس عبارة عن جزء من الكتلة الآركيّة القديمة، التي تكوّنت من صخور ناريّة ومتحوّلة، تغطيها تراكمات من الصّخور الرّسوبيّة، المكوّنة من الحجر الرّمليّ والجيريّ، ثم صخور بركانيّة مثل البازلت، والجرانيت، ثمّ يليها بعد ذلك طبقة مفكّكة من ترسّبات الوديان والقيعان الحديثة، والتي يمثّل الطّين أهمّ وأحدث تكويناتها[1].

وعلى الرغم من صلابة القاعدة الآركيّة، إلا أنها لم تستطع مقاومة الحركات التكتونيّة، فتعرضت للانكسارات التاليّة[2]:

انكسارات رئيسيّة

اتخذت اتجاهات رأسيّة (شمالية – جنوبيّة) على البحر الأحمر، وأفقية (غربيّة – شرقيّة) على خليج عدن نتج عنها الصّدع المعروف بأخدود أفريقيا العظيم.

انكسارات ثانويّة متعدّدة.

بعد تلك الإنكسارات أصبحت شبه الجزيرة العربية تشكّل أحد الألواح القاريّة المعروفة، إلى جانب أفريقيا التي تشكّل اللوح الثاني المقابل للوح العربيّ، أمّا البحر الأحمر وخليج عدن فهما يشكّلان حدوداً بنّاءة بين اللوحين القاريّين، كما يمثّلان مرحلة مبكّرة في تكوين محيط بين كتلتين قاريتين تكويناتهما آركيّة قديمة[3].

كما تعرّض الجزء الجنوبيّ من شبه الجزيرة العربيّة لثورات بركانية غطت مساحات شاسعة من المنطقة، أحدثها يعود إلى الزّمن الجيولوجي الرّابع (حقبة البلاستوسين)، كما شهدت في فترات زمنيّة جيولوجيّة أخرى طغياناً بحرياً في مواقع مختلفة، تسبّب في ظهور بعض الجبال الإلتوائية في مناطق التّراكم الرسوبيّ البحريّ.

1– خالص الأشعب: "اليمن دراسة في البناء الطّبيعيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ"، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، بغداد، 1982م ص 23.

2 – المرجع نفسه، ص 26،28.

3 – محمد يوسف حسن وآخرون: "أساسيات علم الجيولوجيا"، ط3، نيويورك، 1988، ص175.

ثانياً: التضاريس

تنقسم التضاريس أو (طبغرافيّة) المنطقة إلى أربعة أقسام أساسية:* (انظر الخريطة رقم 1) تنطوي تحت كل منها أقسام ثانوية. لقد أدت تلك الأقسام المتنوعة وظيفتها الطبيعيّة - وعلى أكمل وجه - في خلق الصّورة النهائية للمناخ والنبات وتوزيع السكان وأنماط معيشتهم أو أنشطتهم الاقتصاديّة، مما ساهم بشكل فعّال في تحديد الملامح الحضاريّة لليمن القديم . فالسطح -وبأشكاله المتنوّعة- يتكون من:

- السّهول السّاحليّة.
- المرتفعات الغربيّة.
- الهضبة الشرقيّة.
- الحوض الانكساريّ.

1- السّهول السّاحليّة:

وهي تشمل السّهول الساحليّة الغربيّة، والسّهول السّاحليّة الجنوبية. فالسّهول السّاحليّة الجنوبية تمتد - على مدى السّاحل - من خليج عدن والبحر العربيّ شرقاً، وحتى خليج القمر عند رأس (ضربة عليّ) غرباً، بمسافة تُقدَّر بسبعمائة وخمسين (750) ميلا تقريباً[1]. أمّا في العهد القديم فقد كان الساحل الجنوبي لليمن يمتد حتى إقليم ظفار (عُمان).

ومن أهم السّمات الطوبوغرافيّة للسّهل السّاحليّ الجنوبي، قلّة إستمراريته مقارنة بالسّهل الغربي (تهامة)، في بعض الخلجان الواسعة مثل:

---

* لقد فضّلنا استخدام اسم (اليمن القديم) عن اليمن فقط، فالحدود الجغرافية لليمن قديماً، كانت أشمل مما عليه الآن، وقد أطلق اليونان على جنوب شبه الجزيرة العربيّة (العربية السعيدة) وكانت حدودها في نظرهم تمتد من الخليج العربي شرقاً، والبحر الأحمر غرباً، والبحر العربي جنوباً وصحارى بلاد العرب شمالاً. أما المستشرقون فيطلقون على اليمن القديم (العربية الجنوبية). أما تسمية (يمن) فهي تسمية إسلامية ولا يستبعد أن يكون الاسم قد أشتق من اسم (ي م ن ت) الذي ظهر في النقوش منذ نهاية القرن الثالث الميلادي ويقصد به الشريط السلحلي من حضرموت (الاسعاء) أو (الشحر) قديما. أما المؤرخون المسلمون فقد أطلقوا على البلاد الواقعة على يمين الكعبة (اليمن) أي الواقعة إلى الجنوب، وأطلقوا على البلاد الواقعة إلى شمال الكعبة (الشام) أي شمال الكعبة ومنهم من يرى أن أسمها مشتق من اليُمن أي البركة.

1- بلفقية عيدروس علوي: " جغرافية اليمن، دراسة إقليمية "، جـ1، ص8 (دراسة لم تنشر).

خليج القمر (ظفار)، الأراضي السّاحليّة الواطئة التـــي تتسـم بالاتســاع والسلاسة، لكن في أماكن أخرى، نجد الهضبة تتصل بـــالبحر عـبر انحـدارات صخرية ومرتفعات شديدة الوعورة لا تترك مجالاً لأي مسلك إلى الداخل[1].

وقد قامت على طول هذا السّاحل مجموعة من الموانئ التّاريخيّة الهامّة: كميناء (عدن) وميناء (قنا) وميناء (سمهرم) * أو (موشا) كما سـماه الإغريقـي، وفـي مجمل هذه السهول تصبّ كثير من الأودية، أهمها: أوديـــة (تُبَـن) و (بنــا) و (ميفعـه) و (حجر) وغيرها.

أما السّهول الغربيّة فيطلق عليها (تهامة)، وتسمية (تهامة) جاءت مـن الحرّ الشديد، أو الأرض المنخفضة، جاء ذكرها في النقوش ب (ت ه م ت)، فهي أرض ساحليّة صالحة للزراعة، موازية للبحر الأحمر، بعرض يتراوح بين ثلاثين إلى ستين 30 – 60 كم. ترتفع هذه السهول تدريجياً كلّما اتجهنا نحــو الشـرق حيث المرتفعات الساحليّة التي تفصل بين السّهل السّاحليّ والمرتفعــات الغربيّـة العاليَة، وأهم صفة طوبوغرافية لهذا الجزء من السطح: تقطعها إلى كتل جبليـة تكاد تكون متّصلة بواسطة الأودية العميقة والضيّقة والتي -غالباً- تنحدر بشدة متجهة إلى السّهول السّاحليّة[2] (البحر الأحمر، ومن أهم تلك الأودية: أودية مور، وسردد، وسهام، كما قامت على هذه الوديان العديد من المدن التّاريخيّــة. أمّــا الموانئ فأهمها: ميناء (موزع) القديم الذي جاء ذكره عند الكتّاب الكلاســيكيين، وميناء (المخا)، الذي ذكر في النقوش باسم (م خ و ن)[3].

2- المرتفعات الغربيّة:

تقع في القسم الغربيّ من هضبة اليمن بين المرتفعات السّاحليّة غربــاً، والحوض الانكساريّ شرقاً، تمتد من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، يــتراوح ارتفاعها ما بين ألف وخمسمائة (1500) متر إلى ثلاثة آلاف (3000) متر، وفي هذا الإقليم يوجد أعلى جبال اليمن وهو جبل (حضور) أو جبل (النبيّ شـــعيب)* ، والذي يبلغ ارتفاعه ثلاثة آلاف وسبعمائة وستين متراً 3760م، بذلك فهو يحتــل

1–Willian C . Birce :" A Systematic Regional Geography", Volume VIII , South-West Asia , London , 1966 , P.253 -

* سمهرم: اسم للميناء نفسه في النقوش، حالياً يسمى (خور روري).

2 – الأشعب: المرجع السابق، ص 32–33.

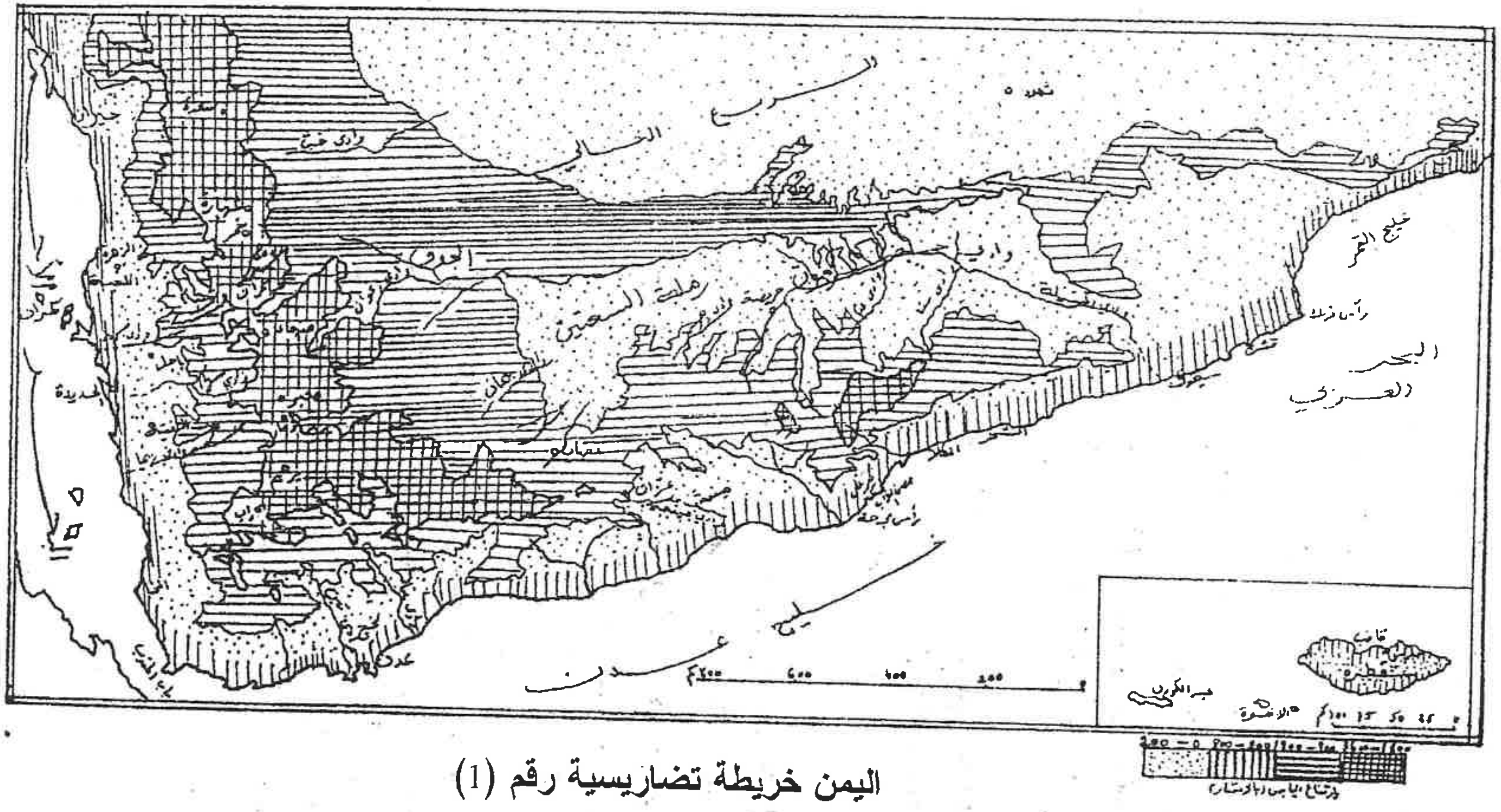
3- الارياني ، مطهر عليّ: "في تاريخ اليمن نقوش مسـندية وتعليقــات "، مركــز الدراســات والبحوث اليمني، صنعاء، ط2، 1990م، " نقش رقم 28 "، ص 183.

* جبل النبي شعيب، نسبة لقبر النبيّ شعيب بن مهدم، الذي يقع بقمته.

أعلى المرتفعات في شبه جزيرة العرب[1] إن هذا الإقليم عبارة عن كتلة هورستيّه (Horst) قافزة كانت تشكّل جزءاً من الكتلة الأثيوبيّة، التي انفصلت عنها بسبب الأخدود الأفريقي[2].

1- الأشعب: المرجع السابق، ص 33.

2-Brice : op . cit . - p . 250.



اليمن خريطة تضاريسية رقم (1)

من أهم سمات هذا الإقليم إلى جانب الارتفاع، شدّة التّعقيد خاصة في أطرافه الغربيّة، مقارنة مع منحدرات أطرافه الشرقيّة الّتيّ تتصف بقلّة الوعورة، حيث تتدرّج صوب الصحراء وتنتهي بأخاديد الخور البلوريّة، التي يصل ارتفاعها إلى تسعة آلاف (9000) قدم، لتبدأ الهضبة الكلسيّة للجول حوالي (3000) قدم انخفاضاً[1].

تشكّل هذه المرتفعات ملتقى لسيول الأمطار التي تجلبها الرياح الموسميّة الجنوبيّة الغربيّة، والتي يصل معدلها السنوي ما بين خمس وعشرين إلى أربعين (25 إلى 40) بوصة، في هذا الإقليم يمر خط تقسيم المياه الرئيس لليمن من الشمال إلى الجنوب، وبصورة موازية للبحر الأحمر، وعلى مسافة منه تتراوح بين مائة وعشرين إلى مائة وخمسين (120-150) كم ممّا يجعل بالإمكان تقسيم اليمن إلى قسمين هيدرولوجيين رئيسيين: غربي وشرقي، إلى جانب نظامين قانونيين للتصريف جنوباً وشمالاً[2].

ويمكن ملاحظة الاتجاهات الرئيسيّة للأودية، أهمّها: تلك المتّجهة غرباً نحو السّهول السّاحليّة، وتلك المتجّهة جنوباً نحو خليج عدن، والمتّجهة شرقاً نحو الهضبة الشرقيّة وصحراء الربع الخالي وتلك المتّجهة نحو الشمال مع أنّها أقل أهمية[3].

ومن الصفات المميّزة لإقليم المرتفعات الغربية العالية، ذلك الغطاء من السحب ورذاذ المطر الذي يكسوه في الفصول الممطرة والذي يشكلّ قيمة كبيرة لحماية بعض النباتات المثمرة من أشعة الشمس[4] كمّا أنّ تربة هذا الإقليم تعد من أخصب الترب في اليمن، الغنية بموادها العضويّة، والتي أسهمت سيول "اللافا Lava"، الحمم (البركانيّة) في تكوينها، وغالباً ما تكون قد جرفتها السيول من قمم الجبال العالية، مع مرور الزمن.

إنّ مجمل تلك العوامل مكنّت هذا الإقليم من صنع تاريخ اليمن القديم، فقد انتقلت إليه الحضارة اليمنيّة بعد الميلاد، وازدهرت مدنها بعد التّحول الذي شهدته التجارة البريّة، سواء تلك المدن الواقعة على سفوح قمم الجبال، أم تلك الرّابضة في القيعان ذات التربة الخصبة والمياه الجوفيّة الغزيرة، والأمطار الموسميّة. فعلى سفح جبل ريدان قامت (ظفار) العاصمة الحميريّة، وعلى سفح جبل

1-Ibid

2- الأشعب، المرجع السابق، ص 34-50.

3 -المرجع نفسه، ص 50.

4- Brice : op . cit . - p . 250 .

(كوكبان) قامت (شبام كوكبان) وقرب قاع البون قامت (ريده) و (عمران) و (ناعط)[1] .... وغيرها من المدن التّاريخيّة الهامة.

3- الهضبة الشرقيّة:

تسمّى ب (الجول) أو هضبة (حضرموت)، أما في النقوش فتسمى (س وط م)* أي السوط .

من الناحية الطوبوغرافيّة نجد أنّ البنيّة التضاريسيّة الغربيّة نفسها تستمر شرقاً، ولكن بشكل تدريجيّ، فالهضبة الشرقيّة يقلّ ارتفاعها كلما اتجهنا شرقاً، حتى جبال (قارة) و (ظفار)، حيث يصل معدل الارتفاع إلى أربعة آلاف (4000) متر تقريباً[2].

تشكّلت الهضبة الشرقيّة نتيجة لحركة التوائية، نتجت عنها هضبتان: الهضبة الشماليّة والهضبة الجنوبيّة، وبينهما ثنية مقعّرة، يجري فيها وادي حضرموت الكبير، الذي كان يشكّل مجرىً مائياً عظيماً خلال الأزمنة المطيرة، يتصل وادي حضرموت بوادٍ ضيق وعميق، هو وادي المسيلة، ويصبُّ في البحر العربي[3].

تتّسم صخور الهضبة الشرقيّة بالحداثة، إذا ما قيست بصخور المرتفعات الغربيّة فالصخور الرسوبية تغطي الصخور الأساسية القديمة، والتي تكوّنت بفعل الأرساب التي تمت عبر العصور المختلفة[4] ، أمّا مياهها فتأتيها من الأمطار التي تجلبها الرياح الشماليّة الشرقيّة التي تسقط في الشرق (كوريا موريا) وتنتهي لتصل إلى خليج (ظفار) حيث جبال قارة[5]، لهذا نجد أن الهضبتين الشماليّة والجنوبيّة تقومان بتزويد العديد من الأودية بالمياه، وأهمها وادي حضرموت الذي يتغذى من الروافد الجنوبيّة والشماليّة، كما أن هناك العديد من الأودية الغزيرة المياه تستمد مياهها من الهضبة الجنوبية لحضرموت، فمنها ما يتجه جنوب الصحراء، كواديي (عماقين) و (جردان) ... وغيرهما، ومنها ما يتجه نحو البحر كواديي (حجر) و (ميفعة) ... وغيرهما. ويمثل هذا الإقليم، أهم أقاليم الهضبة الشرقيّة، من حيث كثرة الأودية وخصوبة التربة، والكثافة السكانية

1- يوسف محمد عبدالله: "أوراق في تاريخ اليمن وآثاره"، بحوث ومقالات، الجزء الأول منشورات وزارة الأعلام والثقافة، الجمهورية اليمنية، 1985، ص 14.

* جاءت تسمية السوط (س و ط م) في نقش (Glaser 1000) كاسم للهضبة الجنوبية لحضرموت.

2 - Brice : op.- cit . p 253

3- بلفقية: المرجع السابق، ص12.

4- بلفقيه: المرجع السابق، ص 9.

5- بلفقيه: المرجع السابق، ص 9.

الكبيرة، لذا نجده قد لعب دورا كبيرا في الأحداث السياسية لليمن القديم، وقد أطلق عليه في النقوش اسم (م ش ر ق ن)[1] ، أي (المشرق).

4- الحوض الانكساري:

يمتد الحوض الانكساري بين الهضبة الشرقية والمرتفعات الغربية، ثم يأخذ هذا الحوض في الانخفاض من الغرب إلى الشرق حتى يصل ارتفاعه غربا إلى حوالي ثلاثة آلاف وخمسماية (3500) قدم فوق مستوى سطح البحر. ويشمل ذلك المنخفض (رملة السبعتين) التي تسمى في النقوش (صيهد)، وهي عبارة عن سهول رملية تنتشر فيها الكثبان الرملية، والقباب الملحية، أما أراضيها فتنحدر بصورة عامة من الجنوب إلى الشمال، تستقبل (رملة السبعتين) العديد من الوديان المنحدرة من المرتفعات الغربية، والهضبة الجنوبية لتصب في الصحراء مكونة دالات مروحية صالحة للزراعة. وعلى أطراف تلك الأودية قامت مراكز وعواصم الحضارة اليمنية، منذ مطلع الألف الأول ق . م، أما أهم الأودية التي تسيل باتجاه رملة السبعتين، فهي، وادي (أذنه) مركز دولة سبأ، ووادي (بيحان) مركز الدولة القتبانية ووادي (المعشار) حيث قامت (شبوة) عاصمة حضرموت، ووادي الجوف مركز الدولة المعينية، ووادي (مرخه) حيث قامت مملكة أوسان ووادي (نجران) الذي أنشئت عليه مدينة (نجران) التاريخية الهامة.

ويبدو جليا إن على هذا الإقليم، تركز الثقل السياسي لليمن القديم طيلة الألف الأول ق . م، وبلغت الحضارة اليمنية أوج ازدهارها بفضل التحكم بالطريق التجاري البري (طريق البخور) الذي يمر حول رملة السبعتين في اتجاه الشمال، ليصل إلى شواطئ البحر المتوسط.

ثالثا: المناخ:

بالرغم من وقوع اليمن القديم ضمن نطاق المناطق المدارية الحارة بوجه عام إلا أن بعض المناطق تستثنى من تلك القاعدة بحكم:

الموقع الجغرافي: حيث تتخذ درجة القارية بعامل القرب والبعد عن المسطحات المائية (البحار). ومن خلال وقوع اليمن القديم على مشارف البحار،

1- راجع نقش (ينبق)، بافقية وروبان: نقوش جديدة من ينبق، مجلة ريدان، العدد2، لوفان، 1979، ص 25-27. أنظر أيضا - بيستون أ . ف . ل، وريكمانز جاك، الغول محمود، مولر والتر، "المعجم السبئي" (بالانجليزية والفرنسية والعربية)، منشورات جامعة صنعاء، دار نشريات بيترز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص 134.

فأصبح يتعرض إلى رياح دافئة مما يوفر الظروف لسقوط الأمطار في الصيف وبعض الفصول الأخرى[1].

الموقع الفلكيّ أو العرضيّ: اليمن القديم يقع ضمن الإقليم المداري – لنصف الكرة الشمالي – وأن لهذا الموقع أثره البالغ في مناخ البلاد.

الارتفاع: بحكم تباين التضاريس نرى أن الحرارة هي الأخرى تتباين بحيث يقلّ معدّل حرارة بعض المناطق المرتفعة بخمس عشرة درجة (15°) عن معدل حرارة السّهول السّاحليّة. إن أثر التضاريس يبدو كبيراً في المناطق التي ترتفع عن مستوى البحر بأكثر من ثلاثة آلاف وسبعمائة متر 3700م[2].

نوع التضاريس: يؤثر نوع التضاريس وشكلها على المناخ فالسّهول الجبلية الضيّقة والواسعة والقيعان والسفوح الشديدة الانحدار والانكسارات والأودية يختلف تأثرها بطبيعة سير الحرارة واتجاه الريح وكمية تساقط الأمطار[3].

توزيع مناطق الضغط: يؤثر كل من نطاقي الواطئ الاستوائي إلى الجنوب والضغط العالي دون المداريّ حوالي دائرة العرض (30°) شمالاً، كما أن تزحزح هذين النطاقين شمالاً وجنوباً يفسّر خضوع مناخ اليمن إلى الظروف المداريّة وأخرى تابعة لإقليم البحر المتوسط.

يزداد تأثير كل من نطاقي الضغط هذين، مع اتجاه حركة الرياح والكتل الهوائية[4].

إنّ هذه العوامل مجتمعة كانت وراء التباين الواضح في مقدار الأمطار ونسبة الرطوبة واتجاه الريح ودرجات الحرارة، ومن الملاحظ أن هناك تبايناً في المناخ حتى داخل كل إقليم من الأقاليم التضاريسيّة السابقة الذكر.

هذا بالإضافة إلى انفراد اليمن – عن بقية أنحاء شبه الجزيرة العربيّة – بغزارة الأمطار التي تهطل صيفاً، لذا فالأمطار بشكل عام تهطل بغزارة على الهضبة الوسطى، وتقلّ كلّما اتّجهنا شرقاً نحو الرّبع الخالي.

وقد كانت المراكز الحضاريّة المناخيّة للصّحراء مزدهرة وخصبة في عهد الحضارة، وإبّان ازدهارها .. أمّا اليوم فهيّ مناطق قاحلة تفتقد لأبسط الشروط الجاذبة للسكان. فالسؤال الذي يُطرح في الأوساط العلميّة هو: هل تغيّر مناخ المنطقة بشكل عام عمّا كان عليه في عهد الحضارة؟

1- الأشعب، المرجع السابق ص 35.

2- المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

3- المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

4- المرجع نفسه، ص36-37.

إن الافتراضات التي صدرت عن العلماء حول مناخ شبه الجزيرة كثيرة، فمنهم من يرى أن المناخ لم يتغير خلال العصور التاريخية[1]، وأن الناس الذين عاشوا في الأزمان الخالية كانوا يعيشون ظروفا تختلف قليلا عن زماننا الحاضر، إلا أن هذا الرأي آثار كثيرا من التساؤلات عن الأماكن القديمة التي تكاد تنعدم فيها الموارد المائية الكافية، بل هي جافة إلى حد ما.

وهناك من اعتمد على ما جاء في الكتب الكلاسيكية[2]، وعول على التقسيمات التي وضعها الجغرافيون الكلاسيكيون لشبه الجزيرة العربية، عندما قسموا شبه الجزيرة إلى ثلاثة أقسام:

- البتراء (الصخرية).
- الصحراوية.
- السعيدة.

الأولى وتشمل الأطراف الشمالية الغربية من الصحراء التي تتعلق بشكل عام بدولة الأردن اليوم، والثانية يقصد بها المناطق الداخلية الصحراوية بين البتراء ومنطقة ما بين النهرين، التي تقع بشكل واسع في حماة السورية، والثالثة (العربية السعيدة) اليمن القديم وكان يضم في نظرهم كل جنوب شبه الجزيرة العربية (أرض اللبان المر)[3].

على هذا الأساس لم يعتبر أصحاب الرأي الثاني اليمن القديم منطقة قاحلة؛ بل أرضا تغمرها الخصوبة بصورة استثنائية. عما هي عليه الحال في بقية أنحاء شبه الجزيرة العربية.

وقد تحدث الكلاسيكيون بإسهاب عن تلك الخصوبة، فيقول: (ثيوفراستوس **Theophrastus**): إنه سمع بأن اللبان يزرع على جبال شلمخة تغطيها الغابات ومعرضة للثلوج، تتدفق فيها الأنهار نحو السهول. وتحدث (ايراتوستينس **Eratosthenes**) عن الأنهار التي تتدفق نحو البحيرات، وعن البلاد الخصبة بما فيها من حيوانات داجنة وافرة. وكان (اجاثرسيدس

1- يوسف محمد عبدالله: أوراق، جـ1، ص 82، عن، سيتون لويد: آثار بلاد الرافدين، ترجمة: سامي سعيد الأحمد، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، الجمهورية العراقية، 1980م.

2- لمعرفة المزيد عما قاله الكلايسكيون عن اليمن راجع الفصل الثالث من الكتاب

- Brice : op. - cit . p. 246 .

3- Groom, Nigel St. J :" Frankincense and Myrrh ", A study of the Arabian Incense Trad (Arab Background Series). London and New York , (1981), pp . 214-215 .

(Agatharchides) يرى أنّ البلاد خصبة جداً مع وفرة الفاكهة، وأنّ (مـــأرب) تقع على مرتفع تغطيه الأشجار، وقال (ديودروس Diodorus): إنّ غابات كثيفة تغطي الجزء الدّاخليّ من البلاد كلها. وفي منطقة (ماريبا) والمقصود (مـــأرب). وقد أشار(بليني Pliny) إلى أنّها تنتج اللبان، وفيها غابات طبيعيّة تمتد منحــدرة إلى الأراضي المستوية[1].

هذه المقولات المختلفة الصّادرة عن الكُتّاب الكلاسيكيين مقتبسة -إلـــى حد ما- من بعضهم بعضاً، وسواء أكانت تلك المقـــولات تنطبـــق علـــى التغـــيّر المناخيّ أم لا، فإنّ الدّلائل على وجود أعداد كبيرة من السكان في المناطق التـــي تعتبر اليوم جافة، يعزز الرأي -الذي يدعمه العلم- بوجود تغيّر مناخيّ بطئ فـــي اليمن القديم أكثر مما كان يفترض، كما أنّ الحيوانات المتوحّشة التـــي ذكرتـــها بعض النقوش تؤكد هذه الحقيقة، أنظر نقش (Ja 949).

أمّا التّصحر الذي تشهده تلك المراكز اليوم، فهو نـــاتج عـــن الزّحـــف الصّحراويّ، وتحرّك الكثبان الرّمليّة -حتّى يومنا هذا- كما أنّ تلك الرّمـــال قـــد سدّت كثيراً من الطّرق الّتي كانت تستخدم في الماضي، كطريق وادي (سرّ)، أحـــد الروافد الشماليّة لوادي حضرموت، وغيرهـــا مـــن الطّـــرق البريّـــة، فـــالزحف الصّحراويّ البطيء غير الملحوظ ، يشكّل خطورة كبيرة على المواقع الشـــماليّة المتاخمة للصحراء طالما أن المناطق -التي ما تزال خصبة في هـــذه المواقـــع- مهدّدة بهذا الزّحف الذي قد يصيّرها قاحلة في يوم ما.

1I- bid . p.216

أو

ثا

ثا

ر

الفصل الثاني

عصور قبل التاريخ في اليمن

أولاً: العصور الحجريّة.

ثانياً: فرضيات حول عصور قبل التاريخ في اليمن.

ثالثاً: نماذج من مواقع أثريّه تعود للعصور الحجريّة.

رابعاً: الفنون الصخريّة.

أولاً: العصور الحجريّة

لقد سعى الإنسان منذ أن وجد على الأرض إلى درء عوارض الطبيعة عن نفسه، فنزل الكهوف واكتشف النّار، نار البرق والحرائق الطبيعيّة، ثم صنّعها، وابتكر صناعة بعض الأدوات الحجريّة والخشبيّة والعظميّة البسيطة، واصطاد الحيوانات، ومنذ ذلك الحين شعر ببعض الرّوابط التي تربطه بمَنْ حوله فانتظم في أسر أو فيما يشبه الأسر، ومرت عليه دهورٌ طويلة قبل أن يهتدي إلى الزراعة، التي انتقل بفضلها من مرحلة الاستهلاك (جمع القوت) إلى مرحلة الإنتاج (إنتاج القوت).

ولمعرفة تلك الأطوار قسَّم العلماء تاريخ النشاط البشري إلى عصور قبل التّاريخ، وعصور تاريخيّة. واعتبر ابتداع الكتابة كوسيلة للتدوين حداً فاصلا بين العصور التاريخيّة وعصور قبل التّاريخ، إلا أن أزمنة تلك المراحل تختلف من منطقة إلى أخرى حسب التطورات التّاريخيّة الهامة التي شهدتها.

فمثلاً تقدّر بداية العصور التّاريخية في العراق مع بداية اختراع الكتابة، أي منذ أواسط الألف الرابع قبل الميلاد، وفي مصر منذ أواخر الألف الرابع قبل الميلاد. أمّا في اليونان فبداية العصور التاريخيّة تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، وفي أوربا الشّماليّة تعود إلى القرن الأوّل الميلادي[1].

كما قُسِّمت عصور قبل التّاريخ بدورها إلى عصور وأدوار وأطوار ثانوية ليسهل للباحث متابعة تطور حياة الإنسان، ولم يأت ذلك التقسيم جزافاً، بل بعد دراسة دقيقة للمعطيات الأثرية التي خلفها الإنسان القديم كالأدوات المصنوعة من الحجارة، والخشب، والعظام، والرسومات، والمخربشات التي نقشها في سقوف، وجدران الكهوف التي عاش فيها في العصور الحجريّة القديمة، وكذلك عظامه وعظام الحيوانات التي اصطادها، وبقايا النّباتات، كما أنّ المعلومات الجيولوجية الخاصّة بأحوال المناخ والبيئة التي عاش فيها الإنسان القديم هي الأخرى تمثل مصدراً هاماً من مصادر تاريخ الإنسان وتطوّره.

ويبدو من خلال المعطيات الأثريّة لعصور قبل التّاريخ أنّ الإنسان القديم استخدم في مراحلها المختلفة أشكالاً متعددة من الأدوات التي تميّز كلّ مرحلة بالتحديد، ومن ثمّ تصبح هذه الأدوات ومميزاتها وخصائصها قاعدة لتحديد مراحل تاريخ النشاط البشريّ، واستناداً إلى ذلك تمكّن العلماء منذ القرن التّاسع عشر

1- عامر سليمان، وأحمد مالك الفتيان: "محاضرات في التاريخ القديم"، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد 1978م، ص 14.

من تقسيم العصور الحجريّة بصورة عامة إلى ثلاثة عصور أساسية: العصر الحجريّ القديم، والعصر الحجريّ الوسيط، والعصر الحجريّ الحديث.

وقبل التّطرق لخصائص كلّ عصر، لابدّ من الإشارة إلى أنّ الحديث سيكون عن تاريخ الإنسان بصورة عامة، بغض النظر عن المنطقة التي عاش فيها. فدراسة الإنسان في مراحله الحضاريّة الأولى ليست لها حدود جغرافيّة، فالحديث عن إنسان العصر الحجريّ القديم في اليمن ينطبق على إنسان العصر الحجريّ القديم في جميع الأقاليم من حيث نمط الحياة وأسلوب المعيشة.

أ – العصر الحجري القديم:

يبدأ من ظهور الإنسان على وجه الأرض، ولم يتفق العلماء على تحديده، فقد قدّر بعض العلماء بدايته بمليوني سنة تقريباً، بينما قدّره آخرون بمليون سنة. امتاز هذا العصر باستخدام الأدوات الحجريّة غير المصنّعة ثم المصنّعة، وهذا ما انعكس على حياة الإنسان التي امتازت بالبساطة آنذاك، فقد كان يعتمد بشكل مباشر على جمع النّبات، وصيد الحيوانات الكبيرة. وكان ينتقل من مكان إلى آخر بحثاً عن الغذاء، وتجنباً للكوارث الطبيعيّة.

وقد قسّم العلماء هذا العصر إلى عدة أطوار، مستندين إلى خصائص ومميزات الأدوات الحجرية التي استخدمها إنسان ذلك العصر وإلى طريقة معيشته.

ب– العصر الحجريّ الوسيط:

وضع العلماء فاصلاً بين العصر الحجريّ القديم والعصر الحجريّ الوسيط حيث انتقل الإنسان من حياة الاعتماد على جمع القوت إلى حياة منتجة، ينتج قوته بنفسه. فامتازت أدوات هذا العصر بدقتها وصغر حجمها وتعدّد أشكالها، وبذلك تنوّع اقتصاده، واصبح متهيئاً للانتقال إلى مرحلة جديدة أكثر تطوراً واستقراراً.

ج– العصر الحجريّ الحديث:

يمثّل هذا العصر منعطفاً تاريخيّاً كبيراً في حياة الإنسان القديم، حيث اكتشف أسرار الطبيعية وسخّرها لخدمته ، فاهتدى إلى الزّراعة وتدجين الحيوان بدلاً من الصّيد والجمع والالتقاط مما انعكس على أسلوب حياته، فبعد أن ضمن قوته بفضل تطور أدواته؛ اتّجه لتطوير عقيدته الدينيّة، كما أدخل على حياته أنواعاً جديدة من الحرف: كصناعة الفخار، والحياكة، وصناعة الآلات الخاصة بالزراعة ... الخ.

ولما استقر حول الأرض التي يقوم بزراعتها، تجمّعت الأسر في بقعة ثابتة، فنشأت القرى، ومعها بذور الحياة الاجتماعيّة والمجتمع والعائلة، وساعد هذا

الانقلاب على التكاثر فكثرت المستوطنات البشريّة ممّا مهّد السّبيل لازدهار الحضارة بشكل أكثر نضجاً وتطوراً.

ثانياً: فرضيات حول عصور قبل التاريخ في اليمن

يبدو جليا ممّا ذكرناه آنفا أنّ الإنسان القديم -ومنذ عصور قبل التاريخ- تركزت إقامته في المناطق الجاذبة للسكان حيث تتوافر المقوّمات الطبيعية، مثل: المياه، والأرض الخصبة، والمناخ المناسب. فالشرق الأدنى يمثل - بحق - مولداً للحضارة البشريّة، هذا لا يعني عدم ظهورها في بقاع أخرى من العالم، بل ظهرت أيضا في أقاليم توافرت لها نفس المقوّمات لكن في فترات لاحقة.

فعندما نلقي نظرة فاحصة على الخريطة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية . لا ينبغي أن نتصور حدوداً طبيعيّة لها، ولا حدوداً إقليميّة فاصلة في تلك العهود الموغلة في القدم، إذ كانت الجماعات البشرية تنتقل من مكان إلى آخر للرّعي والصّيد، وبحثاً عن موارد للعيش، فانتشر الإنسان في تلك البقاع على نطاق واسع.

إنّ معلوماتنا عن اليمن قديماً - في عصور قبل التاريخ - ضئيلة للغاية، بسبب حداثة هذا العلم الذي يكتنفه الغموض وبسبب قلّة التنقيبات الأثريّة، فما كشف من آثار عصور قبل التاريخ -حتى الآن- شحيح وناقص، ومليء بالثغرات وقد لا يتيسّر مطلقاً سدّ هذه الثّغرات ما لم يتّم العثور على نتائج أثريّة جديدة. ونتيجة لهذا القصور برزت منذ الثلاثينات من هذا القرن عدة فرضيات وآراء تخمينيّة حول الاستيطان البشريّ في اليمن قديما، وما اعتمل فيه من نشاط حضاري .. فتضاربت الآراء، وتشعبت وجهات النظر بين العلماء، وهنا نستعرض شيئاً من تلك الفرضيات التي ذهب إليها بعض المستشرقين، فأولى المعلومات عن عصر قبل التاريخ في اليمن القديم، هي: تلك التي قدّمتها الباحثة (كاتن تومبسون Caton Thompson) التي قامت بعمل حفائر في (حريضة) بوادي (عمد) أحد الفروع الجنوبيّة لوادي حضرموت، كان ذلك في عام 1937م، ومن أهم استنتاجاتها:

- أنّ انفصال جنوب غرب بلاد العرب عن أفريقيا الشرقية حدث في حقبة زمن البلايستوسين، أي قبل مليون سنة على أقل تقدير.
- اعتقادها أنّ الأدوات المصنوعة من حجر (الظران او الصوان) التي عثر عليها في حضرموت تشبه كثيراً تلك الأدوات المصنوعة من (الظران) التي عثر عليها في أفريقيا.
- أنّ الثّقافة المركزيّة كانت في أفريقيا، ومنها تفرّعت ثقافات متعددة ليس في أفريقيا فحسب، بل وفي آسيا أيضا. والدليل الذي استندت إليه لتزكي استنتاجها، هو: عدم وجود أدوات حجريّة من العصر الحجريّ القديم

الأسفل (الباليوليثي) في اليمن، والتي كانت منتشرة في تلك الأيام على طول أفريقيا من الشمال إلى الجنوب[1].

الفرضية الثّانية للعالم (فان بيك Van Beek) أحد أعضاء البعثة الأمريكيّة التي زارت اليمن 1950-1952م لدراسة الإنسان، وقامت بالتنقيبات في (بيحان) و(مأرب) و (ظفار) (عُمان)، وكان "فان بيك" قد زار حضرموت عام 1961م، وهو يذهب إلى أن المنطقة قد ظلّت تعيش بقية العصر الحجريّ حتّى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، عندما جاءت إلى المنطقة جماعات متحضّرة، وبفضل هؤلاء القوم تأسست في جنوب شبه الجزيرة العربية حضارة بلغت مستوىً رفيعاً في فنّ العمّارة، والزراعة، والتّعدين، والكتابة، ويعتقد أنّهم أتوا من الأطراف الشماليّة لبلاد الهلال الخصيب[2].

إنّ تطوّر تلك الحضارة في نظر (فان بيك) يرجع لتأثيرات ثقافات الهلال الخصيب، وقد استند في استنتاجاته على بعض الملتقطات الأثرية: كالفخار، ونماذج أثريّة أخرى أرجعها لبلاد وادي الرافدين، وسوريا، وفلسطين، في فترات زمنيّة مختلفة بل اعتبر أقدم فخار عثر عليه في (تمنع) هجر بن حميد حالياً، يرجع إلى الشّمال خاصة إلى سوريا، وبلاد الرافدين التي تعود إلى النصف الثاني من عصر البرونز (1500ق. م)، كما تطرّق للعمارة اليمنيّة القديمة، وتحدّث عن نماذج من الحجر المستخدم (القطع الحجريّة المهندمة)، فاعتبر هذا النموذج من الفن مستعاراً من الأشوريين في حدود القرن السابع ق. م[3].

أما البعثة السوفيتيّة فتتفق في استنتاجاتها مع الرأي القائل: بأنّ الحضارة اليمنيّة منقولة، وليست محليّة في أصولها بل تنتمي لجماعات قدمت من الشمال من بلاد ما بين النهرين، وكانت هذه الهجرة قد تمّت في مرحلة متأخرة من العصر الحجريّ الحديث، وفي رأيها بأنّ الأقوام القادمة من الشمال هم الذين

1- Caton Thompson: "Climate Irrigation and Early Mon in the Hadramaut Geographical Journal 93 , pp .18-19 , 29-35 , January 1939 .

2-Van Beek G.W: " South Arabian History and Archaeology " extrait par The Bible and The Ancient neer East ed : by G. Ernest wright , London 1961, p.229-248.

3-Ibid

نقلوا الزراعة والأدوات المعدنية وخاصة البرونزيّة، فالمهاجرون -في اعتقادها- أعطوا اليمنيين بنات أفكارهم الحضارية ، ودفعوا بهم إلى التّحضر السّريع[1].

إضافة إلى هذه الفرضيات يجدر بنا أنّ نورد هنا رأياً اتّسم بالموضوعيّة هو رأي (لانكستر هاردنج Lankestez Harding) مبعوث الحكومة البريطانيّة الذي زار عدداً من مواقع الآثار في عدن وضواحيها 1960م، وأصدر كتاباً بعنوان "الآثار في عدن ومحمياتها" أجاب فيه (هاردنج) على تلك الفرضيات بقوله: أنّ الحضارة اليمنيّة قديمة جداً ولا يمكن أن تكون مستوردة، ففي رأيه لا يمكن لأيّ حضارة أن تظهر إلى حيز الوجود فجأة وبدون مقدمات، ويشير إلى أنّه من غير المحتمل أن تكون هذه المنطقة قد استوطنت على حين غره من قبل القادمين من الشمال، ويعلل أسباب الزيادة السكانيّة السريعة، بالنّشاط الاقتصادي المطرد الذي شهدته المنطقة في الألف الثاني ق.م، ولكنه يرى أنّ هناك فجوة زمنيّة واقعة بين العصر الحجري الحديث (أيّ حوالي 5000 ق.م) والقرن الثامن أو التاسع ق.م، بسبب عدم العثور على أيّة دلائل أثريّة تعود لتلك المرحلة[2].

ظلّت تلك الآراء المتعارضة سائدة فترة طويلة من الزّمن، واضعة المهتمين بدراسة الحضارة اليمنيّة في حالة من الاضطراب، لا يستطيعون معها التّمييز بين الغث والسّمين، حتّى جاءت البعثة الإيطالية برئاسة (اليكسندرو دي ميجريه Alcssandro de Maigret) عام 1984م، وكشفت البعثة عن معطيات مثيرة وجديدة، غيّرت كثيراً من المفاهيم الخاطئة، ووضعت حداً للآراء السّابقة ، فسدّت الفجوة المربكة التي أشار اليها (هاردنج)، إذ قامت البعثة بالتنقيب عن الآثار في موقع بوادي (يلا)* في (خولان الطيّال) (أنظر خريطة رقم 2) وبيّنت بعض التواريخ بواسطة (كربون 14)، بعد أن أجرت تحاليل لعينات مجمّعة من الموقع الأثري إلى: أن العصر البرونزي يعود لمنتصف الألف الثاني ق.م. فاكتشاف مدينة في اليمن تعود لعصر البرونز، يعتبر دليلا قاطعاً لا يقبل الشك، إذ لم يتم الكشف عن

1- بطرس افان جريزنيفتش: "الحضارة اليمنية في الاستشراق"، مجلة دراسات يمنيّة، العدد22، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء 1988م، ص 116-123.

2 - Harding G. Lankester: “Archaeology in the Aden Protectrates”, London , 1964, p.4.

* وادي يلا: يقع على بعد (30 كم) جنوب غرب مأرب.

موجودات أثرية فحسب، بل تم اكتشاف مدينة متكاملة بنظمها الاقتصادية وبملامحها الثقافية والطقوسية[1].

إن هذا الإنجاز فاق كل التوقعات، وبدأت معالم تاريخ الثقافة التي قامت في اليمن القديم واضحة بمراحلها التاريخية المتسلسلة.

ثالثا: نماذج من مواقع أثرية تعود لعصر قبل التاريخ

تزخر اليمن بالعديد من المواقع الأثرية التي يعود تاريخها لأكثر الحقب قدما، منذ العصر الحجري القديم الأسفل. ومن أبرز تلك المواقع (جبل تلع)* الذي يعتبر نموذجا حيا لآثار العصر الحجري القديم الأسفل، في عام 1965م عثر (بريان دو Brian Doe) (أحد مديري متحف عدن في فترة الاحتلال البريطاني) على فؤوس يدوية ترجع للثقافة الأشولية[2]. بتلك الأداة الحجرية البدائية استطاع الإنسان في اليمن القديم أن يصطاد فريسته وأن يسلخ جلدها، ومع الزمن اكتسب خبرة ساعدته على تحسين أدواته فأصبحت أكثر دقة ومتانة في مراحل لاحقة.

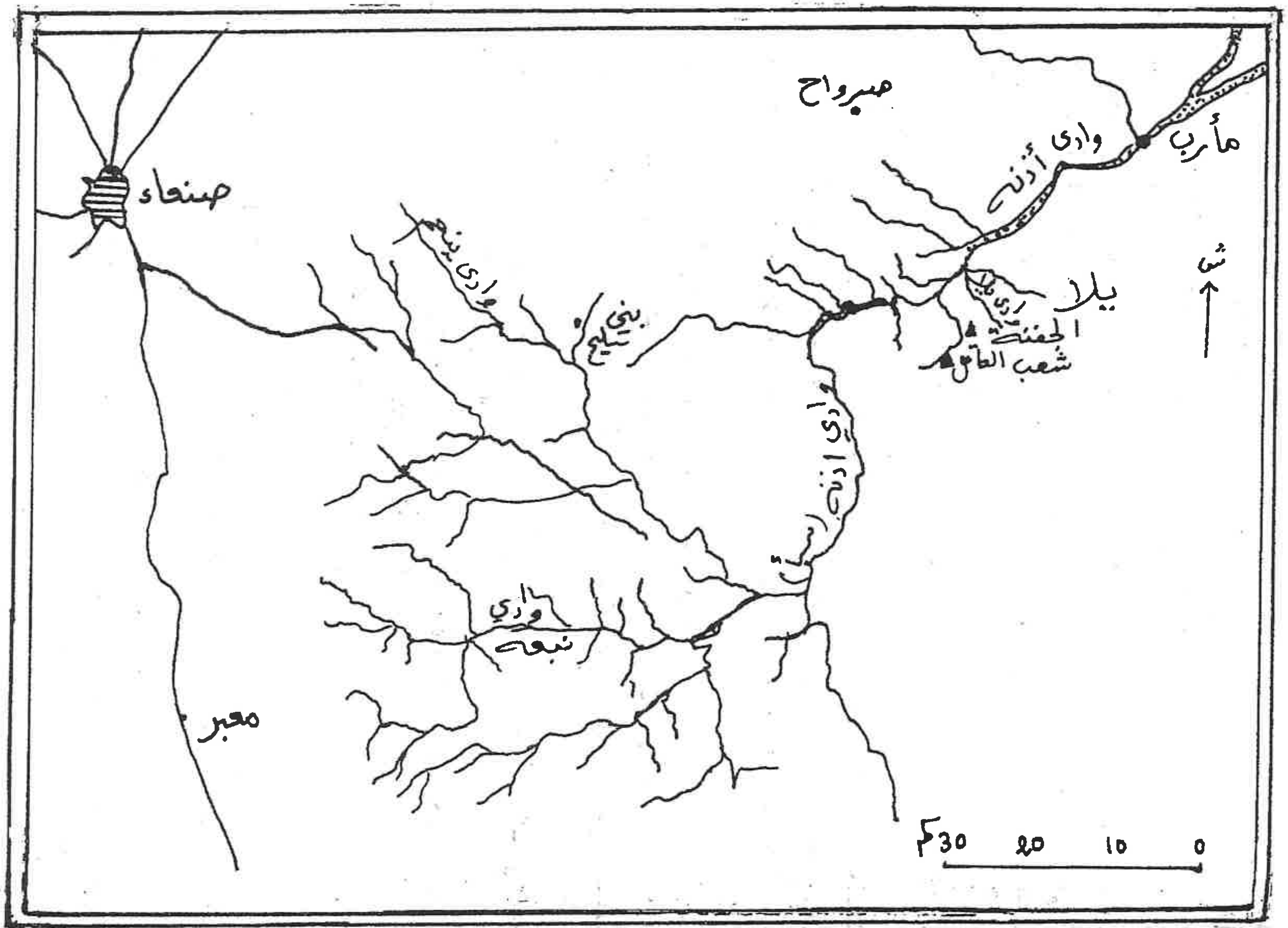
ومن أهم آثار عصور قبل التاريخ، ما تم اكتشافها في وادي حضرموت، أحد الأقاليم الجغرافية الذي شهد نشاطا بشريا منذ أقدم العصور الحجرية، خاصة وأن العوامل المناخية، والبيئية، قد ساعدت على وجود مثل ذلك النشاط المبكر، إذ مارس الإنسان في وادي حضرموت الصيد وجمع الثمار مستخدما الأدوات الحجرية ، أدوات قبل الثقافة (الآشولية)، ثم طور تلك الأدوات بشكل أكثر دقة ومتانة، وبما يتلاءم ومقتضيات حاجته المعيشية خلال أطوار حياته اللاحقة، ومن أهم المناطق الأثرية التي تعود إلى قبل التاريخ (حريضة): الواقعة على وادي (عمد) أحد الروافد الجنوبية لوادي حضرموت، حيث عثرت البعثة البريطانية بقيادة (كاتن تومبسون Caton Thompson) عام 1937م على أدوات حجرية

1- الكسندر دي ميجريه: المجموعة المعمارية الأثرية السبئية في وادي يلا (خولان الطيال)، تعريب، عثمان الخليفة، اسميو - روما، 1988م.

-A.de Maigret: "A Bronze Age. A. de Maigret انظر أيضا For Southern Arabia "East and west", 34, 1984. and ch. Robin, les fouilles Italennes de Yala nouvelles donnees sur la chronologie de l'Arabie du sud Pre-islanique, paris, 1989.

* جبل تلع: يقع على بعد 40 ميلا شمال عدن، يطل على وادي تبن من جهة الغرب عند موقع كان يعرف "بسد العرائس".

2-Brian Doe: "Southern Arabia", London, 1971, p.134.



خريطة رقم (2): وادي يلا "خولان الطيَّال"

ترجع للعصر الحجري الحديث[1]، عبارة عن رؤوس سهام، وبعض الأسلحة النصلية.

وفي شتاء عام 61-1962م، أجرت بعثة (شمسونيان) الأمريكية برئاسة (فان بيك) مسحا أثريا في وادي حضرموت امتدادا لجهودها المبذولة في كل من وادي (بيحان) و (مأرب)، و (ظفار)، وكان هدفها الأساسي من هذا المسح الحصول على سلسلة ثقافية متواصلة لتاريخ النشاط البشري في اليمن منذ أقدم العصور وقد تلخصت نتائجها في هذا العمل فيما هو آت:

1- استمرار العصر الحجري بوادي حضرموت إلى وقت متأخر من الألف الثاني ق. م متخلفا عن التطورات التي حدثت في منطقة الهلال الخصيب.

2- لا توجد حلقة تربط بين ذلك العصر، وعصر قيام المدن الذي يرجع تاريخه – غالبا – إلى الألف الثاني ق.م، أو بعد ذلك بقليل.

3- أن ذلك الانقطاع يدلنا على حدوث هجرة من الشمال، قضت على السكان الأصليين، وحلت محلهم.

4- إن أولئك المهاجرين، ربما جاءوا بتقاليد جديدة هي من نتاج الحياة المتمدنة، كانوا قد اصطحبوها من موطنهم الأول، كصناعة الخزف والمعادن، واستخدام وسائل الري المتطورة في الزراعة وربما الإلمام بالكتابة.

5- من خلال نتائج الدراسات الأولية للفخار يبدو أن حضرموت شاركت في الاتجاهات الحضارية العامة، التي سادت جنوب الجزيرة العربية، مع احتفاظها بملامحها المحلية، والإقليمية، مما جعلها متميزة في بعض النواحي[2].

على هذا الأساس بلور (فان بيك) نظريته التي أشرنا إليها سابقا، والتي لم تعد مجدية بعد الاكتشافات الأثرية الحديثة.

أما البعثة اليمنية – السوفيتية، فقد قامت بأعمال تنقيب في وادي حضرموت لأكثر من موسم (83 – 1987م)، وكان من أهدافها:

– اكتشاف ودراسة المواقع الأثرية التي تعود إلى العصور الحجرية.

1-Thompson Caton: "The Tombe and Moon Temple of Hurayda (Hadramaut)", Research Commitee of the Society Antiguaries of London XIII Oxford, 1944, p.23.

2-Van Beek G. W., cole G. W., Jamme. A.: "An Archaeologycal Reconnaissance in (Hadramaut) South Arabia", a Preliminary Report, Smithsonian Institution Report, 1963, 1964, p. 543.

- توضيح المراحل التاريخية الرئيسة للعصر الحجري القديم (الباليوليثي) وكيفية تطوره المتواصل.
- إبراز حلقات التواصل بين المراحل الزمنية لما قبل الكتابة وصولا إلى المراحل الأولى في الحضارة اليمنية ، بذلك غطت البعثة العديد من مناطق حضرموت، وكشفت عن (50) موقعا أثريا تعود إلى عصور قبل التاريخ تبين منها: إنها مغارات سكنية متنوعة غنية بالأدوات الحجرية وتمثل كافة المراحل الزمنية لتلك العصور[1].

وعلى وادي (الغبر) الرافد الأيسر لوادي (دوعن)، عثرت البعثة على ثلاث مغارات تعود إلى العصر الحجري القديم، تقع قريبا من بعضها بعضا[2] وهنا نتناول ما جرى من تنقيبات في واحدة من تلك المغارات – هي (مغارة الغزة) – وما عثر عليه فيها من آثار، تم التنقيب في المغارة إلى عمق (14, 5) مترا، في المتر الثالث عشر من هذا العمق تقريبا، عثر على اثنتي عشرة طبقة حضارية مختلفة، جميعها تحتوي على بقايا أثرية، تتمثل بأدوات حجرية مصنعة، ومخلفات أخرى، أهمها:

- مواقد للنار.
- أحجار لتصنيع الأدوات: كالمطارق والنواة التي تستخرج منها الحجرية.
- أدوات حجرية للاستعمال المباشر: كالمقاطع والسكاكين والمقاشط..
- نفايات النشاط الانتاجي: عظام لحيوانات صغيرة وضخمة، تمثل بقايا تلك الحيوانات التي كان يصطادها إنسان تلك المغارة[3].

تنتمي كل القطع الحجرية إلى العصر الحجري القديم (الباليوليثي).

بعد ذلك نجد الأدوات تتطور، فأخذ حجمها يصغر، وازداد تنوعها أي أن وظائفها صارت أكثر تخصصا، فهناك أدوات تعود إلى العصر الحجري القديم قبل الثقافة (الأشولية)، عبارة عن قواطع ، وأدوات ذوات نهايات حادة تعود إلى المرحلة (الموسيترية)، أما المقاشط الحادة فتعود إلى مرحلة متأخرة من العصر

1- أمير خانوف خزري: "العصر الحجري في حضرموت"، نتائج أعمال البعثة اليمنية-السوفياتية لعام 1985م، المركز اليمني للأبحاث والآثار والمتاحف، عدن، ص 28-29.

2- غريا زنيفسكي: "تاريخ حضرموت وحضارتها"، قضايا دراستها والبحوث الأخيرة، الفصل السادس من كتاب "الجديد حول الشرق القديم" ترجمة، جابر ابي جابر، دار التقدم، موسكو 988م ص 223.

3- أمير خانوف خزري: العصر الحجري....، ص 31.

الحجري القديم الاعلى، كما نجد أدوات أخرى تعود إلى العصر الحجري الحديث (النيوليثي)، عبارة عن سهام لها أسنة حادة[1].

ومن أعمال البعثة اليمنية – السوفيتية، دراسة الطبقة الحضارية والترسبات، لموقع أثري يسمى (الصفا) على بعد ثلاثة كيلو مترات جنوب منطقة (المشهد) الحالية، الواقعة على الضفة اليمنى من وادي (دوعن)، تمكنت البعثة خلالها من تحديد الفترات الزمنية لآثار ذلك الموقع واتضح بأنها تعود إلى العصر الحجري القديم؛ وبالذات العصر الأشولي، حيث عثر على أدوات حجرية مصنوعة من حجر الصوان مثل: المعاول اليدوية، والسكاكين، والرماح...[2]

أما في منطقة (صافر) الواقعة على بعد (80) كم شمال شرق (مأرب) فقد عثر على مجموعة من الأدوات الظرانية، عبارة عن أسلحة ورؤوس سهام يعود تاريخها للعصر الحجري الحديث. في هذا العصر وصل أسلوب صقل الحجر إلى مستوى عال من المهارة وتطورت خلاله القدرات الإبداعية للإنسان في مجال تجهيز الأدوات، كما نالت صناعة المعاول والسهام ذات الأشكال المختلفة انتشارا واسعا في كل مكان، وتم في هذا العصر -كذلك- اكتشاف تقنية تجهيز المصنوعات الفخارية، التي كان لها دور كبير في تطور ثقافة العصر الحجري الحديث، وظهرت أوان فخارية متنوعة، تم الكشف عن نماذج منها في مناطق متفرقة من اليمن، وفي (شبوه) عثرت البعثة الفرنسية عام 1984م على أدوات حجرية تعود للعصر (الأشولي)، وعلى كثير من قطع الصوان[3].

رابعا: الفنون الصخرية

تعد آثار الفنون الصخرية، شاهدا حيا على تطور وعي الإنسان وتطور نمط حياته، ونتاج سلسلة من التجارب والخبرات، الروحية المتمثلة في الفنون. والتصورات الدينية.

إن البدايات الأولى للفن ظهرت منذ أواخر الثقافة (الموستيرية) أي العصر الحجري القديم الأوسط[4]، ولم يأت العصر الحجري الحديث إلا وقد تطورت تقنية

1- أمير خانوف: المرجع نفسه، ص 32.

2 أمير خانوف خزري: "الأبحاث الباليوليتية في وادي دوغن"، نتائج أعمال البعثة اليمنية – السوفيتية لعام 1986، المركز اليمني للأبحاث... عدن، ص15.

3- Maria - louis Inizan, “Premieres elements de pre - histoir dans le region de Shabwa”, Raydan, Tome 5 Aden , 1988, p.71 - 78 .

4 أسامه عبدالرحمن النور، "مجتمعات الإشتراكية الطبيعية"، اورينتال للنشر والطباعة والتوزيع، مدريد 1983م، ص 240.

صناعة الأدوات تطورا كبيرا مصاحبا لتطور الفنون الصخرية، التي رسمها الإنسان البدائي على جدران الكهوف وعلى الصخور التي يعيش حولها، والتي امتازت بدقة التصوير، فقد رسم أنواعا مختلفة من الحيوانات وبالذات تلك التي كانت تشكل أكثر نفعا، وأشد التصاقا بحياته.

لقد ظلت الفنون الصخرية في اليمن مجهولة لفترة طويلة، ولم تكن موضع اهتمام الباحثين عن آثار مرحلة الحضارة الراقية، وربما يرجع ذلك لعدم عثور هؤلاء على أي نوع من تلك الرسومات، حتى جاءت البعثة الأثرية الفرنسية عامي 75-76م، عندما اكتشف مرة أحد أعضائها (بيل هرمنز R.D.Bayle de Hermens) لأول مرة بعض الرسومات الصخرية في (شبوة).

أما الإنجاز الهام فكان للبعثة اليمنية -الفرنسية، التي قامت بمسوحات أثرية في اليمن في عام 1988م، مسحت خلالها أكثر من إقليم منها: إقليم (صعدة) في موقع (المسلحقات)، و (الخزائن)، و (الخمرات) وكشفت تلك المسوحات عن نماذج من الفن الصخري نحتت في لوحات فنية ، تمثل صورا لحيوانات مختلفة من وعول، وكلاب، وبقر وحشي، ومن صور آدمية، وثعابين وجمال فتلك الرسومات نفذت عن طريق الحفر الغائر، ومازالت ظاهرة على الصخور وفي مرحلة متطورة نجد رسوما ملونة؛ لونت بحجر الحسن، وهو حجر احمر اللون *، كما عثر على رموز لم يعرف معناها بعد[1]. أما الأشكال الآدمية فتحمل في الغالب أسلحة أو عقودا[2]، وفي اقليمي (صنعاء) و (رداع) كشفت البعثة عن نتائج إيجابية لمثل تلك الرسومات ولعلنا ندرك من اكتشاف هذه الفنون الصخرية ما كان قد طرأ على الحياة البشرية من تحول جذري آنذاك فهي تمثل وثيقة حية للنشاط البشري المتفاعل مع الطبيعة خلال العصور الحجرية.

ويمكن أن نستنتج من خلال تلك الأشكال أن رسامي تلك العهود بلغوا قدرا عاليا من المهارة الفنية؛ فتفاصيل أجسام الحيوانات، تشير إلى معرفتهم بالتركيب التشريحي لتلك الحيوانات. ولاشك أن دراسة تلك الفنون هامة للغاية لما لها من صلة وثيقة بدراسة التصورات الدينية البدائية.

---

* حجر الحسن: يستخدم كمادة تجميل، تستخدمه النساء حتى وقتنا الراهن في بعض المناطق الريفية.

1-Michel A . Gercia , Madiha Rachad : " mission de releve d'art rupestre au Yemen " , 1989 (rapport 1989).

2-R.de Bay le des Hermens et M. Rachad :" note Pre-islamique sur l'art rupestre de la R. A.Y . mission de 1988 .dans , l'anthropologie (Paris) Tome 94 (1990) pp .171-174

الفصل الثالث

مصادر دراسة تاريخ اليمن القديم

أولا: النقوش.

ثانيا: الآثار.

ثالثا: المصادر الدينية.

رابعا: المصادر الكلاسيكية.

خامسا: الأدبيات العربية.

إن
الأسا
ف
كُتبت
الحد
أ
تدوي
من
أولاً
-
-
-
ثانيا
ثالثا
رابع
أو
كتب
بال
الص
*
الش
الك
**
للث
**
تعر

إن كلّ ما دوّن ويدوّن عن تاريخ اليمن القديم وحضارته مستمد - في الأساس- من جملة من المصادر الأساسيّة والثّانويّة.

فالمصادر الأساسيّة هي التي يكون عليها الاعتماد بالدرجة الأولى، لأنها عادة كُتبت أثناء أو بعد وقوع الحدث التّاريخيّ مباشرة، فهي تمثّل وجهة نظر صانع الحدث ذاته، وتتمثّل في النقوش والآثار.

أما المصادر الثّانويّة فيكتبها عادة مَنْ ليس له علاقة مباشرة بالحدث، وقد يتّم تدوينها بعد مضيّ وقت -لا بأس به- من وقوعه، بحيث يمكن أن يشوبها شيء من الخطأ أو المبالغة في السّرد أو التحليل، وتتكوّن المصادر بشكل عام من:

أولاً: النقوش.
- النصوص العربيّة القديمة.
- الكتابات الأشوريّة.
- الكتابات المصرية القديمة.

ثانياً: الآثار.

ثالثاً: المصادر الدينيّة.

رابعاً: المصادر الكلاسيكيّة.

أولاً: النقوش

1- النصوص العربيّة القديمة

وتشمل النصوص التي عثر عليها في شبه الجزيرة العربيّة أو خارجها، وقد كتبت إمّا بخطوط المسند، أو الخط الآرامي -ولاسيّما الخط النّبطيّ وفروعه- أو بالخط العربي الخالص.

وأهم تلك النّصوص: النقوش اليمنيّة القديمة والتي تسمّى بالمسند، والنقوش الصفويّة*، والثموديّة، واللحيانية***، وقد كتبت بخط مشتق من خط المسند،**

---

* الكتابات الصفويّة: وجدت بين جبل (سيس) شرقي دمشق، وبين قلعة الزرقاء إلى الشمال الشرقيّ من (عُمان) وعلى سفوح جبل حوران إلى الجنوب الشرقي من دمشق، أطلق عليها الكتابات الصفوية نسبة لجبال الصفا، مع أن أقدم نصوصها وجدت في (الحره).

** الكتابات الثموديّة: تعددت مناطق انتشارها في شمال الحجاز وشمال نجد وغيره تنسب للثموديين، الذين استوطنوا الحجاز، ثم حلوا محل اللحيانيين.

*** الخط اللحيانيّ: وجد في منطقة العلاء (ددان) قديماً وما جاورها، تنسب إلى شعب أو قبيلة تُعرف باسم لحيان.

ثم النقوش النّبطيّة، والآراميّة والفينيقيّة، والاغاريتيّة، جميعها عثر عليها في شمال شبه الجزيرة العربية (بلاد الشام بما فيها سوريا وفلسطين)[1]. وتعتبر النّقوش اليمنيّة أبرز تلك الكتابات.

النّقوش اليمنيّة القديمة:

هيّ الكتابة الّتي دوّن بها قدماء اليمنيين أخبارهم ووقائعهم الهامة، وسميّت بخط المسند، أو الخط الجنوبيّ العربيّ، وهو مشتق من اللغة الساميّة، ويتكون من تسعة وعشرين حرفاً أبجدياً، وقد عثر -حتى الآن- على ما يزيد عن عشرة آلاف نصّ نقشيّ، وجدت محفورة على الصخور، والحجارة، والطين المحروق، وجذوع الأشجار، أو مصبوبة على شكل نتوءات على صفائح من البرونز.

لقد ظلّت تلك اللغة الّتي دونت بذلك الخط سائدة بمختلف لهجاتها حتّى القرن الثّالث الميلادي، بعدها أصبحت خليطاً من اللغة العربيّة واليمنيّة القديمة، وبعض المفردات الحبشية والمهرية، حتى جاء الإسلام فطغت لغة القرآن وأصبحت اللغة الأم.

بذل علماء الساميات* جهوداً كبيرة في فكّ رموز الكتابة وترجمتها، وساعدهم في ذلك معرفتهم باللغات السّاميّة، والمصطلحات اللغويّة المحليّة، وفي الفترة ما بين (1870-1880م) تمكّن العالم الألماني (جزنيوس Gesenius) وتلميذه (اميل روديجرA.Rodiger)، من معرفة أبجديّة حروف المسند، علماً أنّ الحسن الهمدانيّ، المؤرخ اليمني الشهير، قد كتب عن تلك اللغة وتحدّث عن أبجديتها منذ القرن العاشر الميلادي[2].

أغلب النّصوص النقشيّة - والتّي تمّت دراستها ونشرها - شملت في محتواها مواضيع متنوّعة[3] أهمّها:

1- إسرائيل ولفنسون: "تاريخ اللغات السامية"، دار القلم، بيروت -لبنان 1980م أنظر أيضا، عبدالعزيز صالح: "تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة"، مكتبة الانجلو -مصرية، القاهرة 1988 ص9.

* علماء الساميات: العلماء المختصون بدراسة اللغات الساميّة بشكل عام وهي: اللغة الأكديّة، والأموريّة، والأشوريّة، والكنعانيّة، والآراميّة، والعبرانيّة، واللغة اليمنية القديمة، والجعزيّة (الحبشيّة القديمة)، واللغة العربيّة.

2 -الحسن بن أحمد الهمداني: "الاكليل"، الجزء الثامن، (في محافد اليمن ومساندها وقصورها ومراثي حمير والقبوريات) تحقيق، محمد بن علي الأكوع، القاهرة ، 1979، ص186-187.

3 -روبان، كريستيان: " آثار اليمن وتطور دراستها"، الفصل الثالث من كتاب "مختارات من النقوش اليمنيّة القديمة، محمد عبدالقادر بافقيه وآخرون المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1985، ص 99 - 100.

أ- نصوص تعنى بتنظيم الحياة العامة:

وهي المرسومات التي يصدرها الملك، أو القبيلة؛ أو المعبد وهي تعالج قضايا مختلفة تتعلّق بحياة المجتمع مثل: أنظمة الرّيّ، وتوزيع الأراضي، ودخول المعبد، واستخدام بركة جماعيّة وغيرها من التنظيمات المختلفة المتعلقة بحياة القبيلة ...الخ.

ب- نصوص دينيّة:

وهي الأكبر عدداً، والأكثر أهميّة، فهي تلك النّصوص النقشيّة الخاصة بالهبات، والقرابين التي تقدم إلى الآلهة، وتحتوي بعض النصوص على اعترافات علنيّة بالأخطاء التي أرتكبها الشخص، وبعضها الآخر يشمل نقوشاً لاحتفالات تذكاريّة، تخص ما كانوا يقومون به من الطقوس الدّينيّة مثل: الصيد الشعائري، أو تنصيب عاهل جديد فهذا النّوع من النقوش وجد في المعابد، والأماكن المقدسة.

وكانت هذه النصوص تحفر مباشرة على لوحات برونزيّة، أو تماثيل تقدّم إلى الآلهة، وتلحق بهذه الفئة من النصوص النقشيّة، نقوش تكتب بمناسبة بناءٍ أو ترميم المعابد، ومنها النصب الجنائزيّة، وشواهد القبور. وقد تم العثور مؤخراً على نصوص شعريّة ذات طبيعة دينيّة أحد تلك النّصوص كان بمثابة أنشودة موجهة إلى إلهة الشمس[1].

ج - نصوص متعلّقة بالممتلكات:

مثل هذه النصوص تكتب بمناسبة إقامة منشأة بناء، أو بمناسبة ترميمها أو توسيعها، وتسجّل تلك النقوش على جدران تلك المنشآت، سواء كانت دينيّة أم مدنيّة، وتخلّد أحياناً أسماء المهندسين المعماريّين الذين أسهموا في بنائها، وفي الوقت نفسه تحدّد حقوق الأشخاص فيها. واغلبها يتعلق بممتلكات القبائل. وقد تكون هذه المنشآت عبارة عن مساكن وملحقاتها، أو استحقاقات دفاعيّة، أو آبار وسدود وقنوات، أو أعمال زراعيّة.

---

1 - يوسف محمد عبدالله: "نقش القصيدة الحميريّة أو ترنيمة الشمس" (صورة من الأدب الديني في اليمن القديم)، مجلة ريدان، حوليّة الآثار والنقوش اليمنيّة، العدد الخامس، دار الهمداني، عدن، 1988م، ص81 - 100.

د- نصوص تذكاريّة:
يسجّل هذا النّوع من النصوص أحداثاً تاريخيّة، كذكر حملة عسكريّة أو تسجيل انتصار حربيّ، كما أنها تمجّد الملوك والشخصيات الهامّة في الدولة، لعمل عظيم قاموا به. وخير مثال على ذلك: نقش النصر الذي خطّه المكرب - السبأي (كرب إل وتر) - نقش (Glaser 1000) - بعد الانتصارات التي حققها على دولة (أوسان)، كما نجد أعداداً أخرى من تلك النصوص التذكاريّة تعود إلى عهد الدولة الحميريّة (القرنان الرابع والخامس الميلاديين).

2- الكتابات الآشوريّة:

تقدم الكتابات الآشوريّة معلومات عن العلاقات القائمة بين دول العراق القديمة وملوك الدولة السبأيّة فقد ذكر نص للملك الآشوريّ "سرجون الثاني" في عام 714 ق.م، انه تلقى من الملك "أتي أمر" هدايا من الذهب والأحجار الكريمة والأعشاب والخيول ثمّ ذكر نصّاً أخر لولده الملك "سنحاريب" في عام 685 ق.م: أنّه حين احتفل بوضع حجر أساس (بيت أكيتو) - قد يكون هذا معبداً أو حصناً أو قصراً- استقبل مندوباً، من الحاكم السّبأي (كريبى ايلو) حمل إليه هدايا ثمينة، وطيوباً وضع جزءاً منها في أساس المبنى ويرى كثير من المؤرخين أنّ اسم الملكين محرّف من (يثع أمر) و (كرب إل وتر) الملكين السبأيّين[1]، وعلى هذا الأساس وضع بعض العلماء التسلسل الزمني لتاريخ ملوك سبأ (كرونولوجيا)* ملوك سبأ. فإذا صحّ ذلك فإن هذا التّوافق الزمني يشير إلى أن سبأ والامبراطوريّة الآشوريّة الحديثّة كانتا متعاصرتين.

3- الكتابات المصريّة القديمة:

تعد هذه الكتابات من أقدم المصادر التي تتحدّث عن تجارة البخور، وذلك في سياق ذكرها للرحلات البحريّة التي كانت تجوب البحر الأحمر، قاصدة بلاد (بونت Punt). وهذه الكتابات وجدت على جدران المعبد المصريّ الكبير (بدير البحريّ) بالقرب من (طيبة)، وهي عبارة عن مجموعة من الرسومات الجصيّة الجدرانيّة الملوّنة البارزة، التي تحكي ذكرى رحلة الأسطول المصريّ الذي أرسلته الملكة (حتشبسوت) إلى (أرض الإله)، أو أرض (بونت Punt). وكان هذا الأسطول محملاً بالبخور والمر، وأنواع من شجر الطيب والعاج[2]. (حتشبسوت) لم تكن -

---

1- Van Beek: South Arabian... P. 229-235.

* كرونولوجيا Chronology: علم يعني التسلسل الزّمني لتاريخ الدول والملوك.

2- Groom . N : Frankincense ... p .22-29 .

بالطبع - أول ملكة مصريّة أرسلت حملة للحصول على الكنوز من أرض (بونت Punt) بل يتضح من نصوص أخرى أنّ البخور كان يستعمل في مصر قبل ذلك بعدة قرون، وكان يجلب براً إلى مصر العليا، في فترة حكم الأسرة الخامسة في حوالي (3721 - 3503 ق.م)، عندما أرسل الملك (ساحورع) حملة إلى أرض (بونت) وبتكرار إرسال تلك الأساطيل وتواتر رحلاتها، أصبحت حملات الملكة (حتشبسوت) والفراعنة الذين ينتمون إلى الأسرة الثامنة عشرة (1587-1320 ق.م) لفترة من الزمن حملات موسميّة[1] ونقطة الخلاف التي أثارها الباحثون هي بلاد (بونت)، هذه المنطقة ليس لها أي تحديد جغرافيَ حتّى الآن، فمن العلماء من يرى أنها جزء من أثيوبيا أو الصومال، ويرى بعض العلماء أن المقصود بها بلاد العرب، وفريق آخر يرى أنّها تشمل المنطقة المحيطة بمضيق باب المندب من شبه الجزيرة العربيّة، والقارة الأفريقية، حيث الطقس الملائم لنمو أشجار البخور، وأنواع أخرى من الصمغيات[2]. فإذا صحّ الرأي الأخير، يتأكد لنا - بفضل هذه الكتابات- أن العلاقة بين اليمن القديم ووادي النيل هي علاقة قديمة جداً.

ثانياً: الآثار

الآثار هيّ المخلّفات الماديّة، النّاطقة بتاريخ أهلها، فهي التي من خلالها نستطيع أن نعرف مدى الرّقيّ والتّقدم الذي عاشه الأقدمون. فاليمن يزخر بالعديد من المواقع الأثرية التي تعود إلى عصور ما قبل التّاريخ، وإلى عصور تاريخيّة لاحقة. فعلى الرّغم من الأعمال التنقيبيّة التي شهدتها المنطقة اليمنيّة، إلا أنّ هناك أقاليم واسعة، مازالت تنتظر معاول المنقّبين؛ للكشف عن مكوّناتها الأثريّة.

وتنقسم الآثار إلى قسمين رئيسين:

- الآثار الثابتة: وتتمثّل في المنشآت العماريّة كالأسوار وبقايا المنازل والقصور والحصون والمعابد، والمقابر والسدود والمسلات ... وغيرها، ومازال العديد من تلك المنشآت بارزاً للعيان في عواصم الممالك اليمنيّة القديمة، وفي المدن التاريخيّة الهامة.

---

1 Ibid., p.22، أنظر أيضا، سير و.م فلندرزيتري: "الحياة الاجتماعية في مصر القديمة"، ترجمة حسن محمد جوهر، عبدالمنعم عبد الحليم، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص 278 - 279.

2 أحمد فخري: "رحلة أثرية إلى اليمن" ترجمة، هنري رياض، يوسف عبدالله، وزارة الأعلام والثقافة، صنعاء 1986، ص 160-162.

- الآثار المنقولة: المقصود بهذا النوع من الآثار: القطع الأثريّة التي يستطيع المرء نقلها من مكان إلى آخر، وتتمثل في الأدوات الحجريّة والتماثيل المنحوتة، وسائر أنواع المصاغات وأدوات الزينة والمسكوكات التي كانت تتداول في المجتمع، والأسلحة، والفخار ... وغيرها.

ومن دراسة تلك الآثار واستنطاق النقوش نستطيع أن نكوّن صورة واضحة الملامح للمجتمع اليمني القديم، فتلك المعطيات تمثل شاهداً قوياً على منجزات قدماء اليمنيين وسجلاً لعاداتهم ومعتقداتهم.

ثالثاً: المصادر الدينية

- التوراة والتلمود
- المصادر المسيحيّة.
- القرآن الكريم وكتب التفسير والحديث.

أ- التوراة والتلمود:

التّوراة (كتاب العهد القديم) كتاب اليهود الدّينيّ، وهو عبارة عن مجموعة من الأسفار كتبت ما بين منتصف القرن الثامن والقرن الثاني قبل الميلاد، وكان قد دوّن معظمها في فلسطين، وجزؤها الأخير في العراق، وفي مجموعها إشارات إلى العرب، فبعضها يذكر ملوكهم وقبائلهم جاء ذكر لدولتين من دول جنوب الجزيرة هما: (شبأ) والمقصود (سبأ)، وهزار ماقيت، أي (حضرموت). وتروي التوراة أنّ هاتين الدّولتين يتّصلان بمملكة النبيّ سليمان، ومن ثمّ تتحدث عن الرحلة التي قامت بها ملكة سبأ إلى الملك سليمان بن داوود - حوالي القرن العاشر ق.م. - واصفة لنا ما رافق الملكة من حاشية غنيّة التجهيز، وجمال تحمل الطيوب، وكميات كبيرة من الذهب والأحجار الكريمة[1]. وحتى الآن لم يعثر على نقش يمني قديم يذكر تلك الزيارة، لكن هذا لا يعني عدم صحتها، فالرواية تؤكد - بما لا يدع مجالاً للشك - على وجود تواصل تجاري بين جنوب وشمال شبه الجزيرة العربية.

أما التلمود (Talmud) ومعناه: التعليم، فهو يكمّل أحكام التوراة، وكان قد دوّن فيما بين أواسط القرن الثالث وأوائل القرن السادس الميلاديين.

---

1 التوراة: سفر التكوين، الإصحاح العاشر، سفر الملوك الثالث الإصحاح العاشر، الأيات (1-13)، أخبار الأيام الأولى، الأيات (9،20)، سفر أيوب، الإصحاح الأول، أية (15).

والتلمود في حقيقته تلمودان: فلسطيني وبابلي، وفي كليهما إشارات إلى العرب[1].

وهناك من الباحثين اليهود من ذكر معلومات عن العرب، ولعل أبرزهم: (جوزيفوس فلافيوس Josephus Flavius 37 - 100م) إذ تحدّث بالتفصيل عن الانباط والعرب بشكل عام[2].

ب - المصادر المسيحيّة:

كتب المسيحيون كثيراً عن جغرافية البلاد العربية، وتاريخ العرب وأحوالهم السياسيّة والاجتماعية، ومن أشهر الكتّاب الذين أسهموا في هذا المجال:

1- (اويسبيوس القيصري Eusebius of Caesarea 265 - 340م) والذي ألف عدة كتب عن تاريخ العرب العام، وفلسلفة اليونان وديانتهم، وطبغرافيّة فلسطين.

2- المؤرخ اليوناني (زوسيموس Zosimus 400 - 443م) الذي أشار في كتاباته إلى العرب وعلاقتهم بإمبراطورية الروم والبيزنطيّين.

3- (شمعون الارشامي) مؤلف (رسائل الشهداء الحميريين) التي تغطي أحداث القرن السادس الميلادي، وتستعرض ما قام به الملك الحميري "ذونواس" من اضطهاد وتعذيب وقتل للنصارى في نجران.

4- (بروكوبيوس Procopius) البيزنطي، المتوفي عام 565م، مؤلف كتاب (تاريخ الحروب) وفيه يحدثنا عن الحروب التي نشبت بين الغساسنة والمناذرة، وحملة الأحباش على اليمن[3].

ج - القرآن وكتب التفسير والحديث:

القرآن الكريم: مصدر تاريخي هام، بل هو أقدم المصادر العربية المدوّنة لتاريخ العرب في الجاهليّة، إذ يحدثنا عن مظاهر حياة العرب السياسيّة والاجتماعية والدينية والاقتصادية.

ذكر القرآن بعض أخبار العرب البائدة مثل: عاد وثمود (سورة الفجر، الآية 6 وما بعده، وسورة الحاقة الآيات 4 -8) وأصحاب الفيل، حملة أبرهة على مكة في (سورة الفيل، آية 5) وسيل العرم (سورة سبأ الآية 160)، وأصحاب الأخدود

---

1 جواد علي: "المفصّل" في تاريخ العرب قبل الإسلام "، جـ 1، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد 1976م، ص 54 - 55.

2 المرجع نفسه، ص 36 - 61.

3 لمعرفة المزيد عن أخبار اليمن في المصادر السريانية، راجع الصلوي إبراهيم: "قصة أصحاب الأخدود" رسالة ماجستير غير منشورة"، الجامعة اللبنانية، بيروت (1979م).

(اضطهاد نصارى نجران وقتلهم بأمر ملك حمير "ذونواس") (سورة البروج الآيات 4 – 7).

وقد وردت في القرآن آيات تشير إلى الجنتين بجانب سد مأرب وإلى النخيل والأعناب والمزروعات من حبوب وبقول (سورة سبأ آية 15، وسورة البقرة الآيات 61، 266).

كما أشير في القرآن الكريم أيضاً لنشاط العرب التجاري ورحلاتهم في (سورة قريش الآيات 1 – 2، وسورة النمل الآية 14، وسورة الإسراء آية 66، وسورة الشورى الآيات 31 – 32).

كما جاءت آيات تعكس المعتقدات الدينية في الجاهلية، وعبادة الأصنام، وظاهرة المجوسيّة واليهود والنصارى والصّابئة، والدّهريّة، والحنفيّة وغيرها من الظواهر العقائدية (سورة النمل الآية 24، سورة فصلت الآية 37).

أمّا كتب التفسير فتعتبر ثروة تاريخية قيّمة، توضح وتفسّر ما هو غامض، ومجمل في القرآن وتتحدث عن الأحداث ومظاهر الحياة المختلفة. وأشهر كتب التفسير: تفسير الطبري "جامع البيان في تفسير القرآن"؛ وتفسير (ابن كثير الدمشقي) المسمى "تفسير القرآن الكريم" وتفسير (البيضاوي) المسمى "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، وتفسير (الرازي)، المسمى "مفاتيح الغيب" ... وغيرها.

وإلى جانب كتب التفسير تأتي كتب الحديث وشروحها مكمّلة لها، فهي تحدثنا عن جوانب عديدة: عن أحوال العرب في فترة قبل الإسلام حتى مجيئه، ومن أشهر كتب الحديث: (الجامع الصحيح البخاري)، وشروحه و (صحيح مسلم) وشروحه، و(سنن أبي داؤود)، و (سنن الترمذي).

رابعاً: المصادر الكلاسيكيّة

تعتبر الكتابات الكلاسيكيّة[1] من أفضل المصادر المدوّنة القديمة، ولعل أفضل من كتب عن اليمن القديم عدد من المؤرخين نذكر منهم:

1- (أخيلوس Aescylus 525 – 456 ق.م): ويعتبر أقدم من ذكر العرب من اليونانيين، إذ اعتمد عليه أغلب المؤرخين الكلاسيكيّن الذين أتوا بعده.

2- (هيرودوتس Herodotus) عاش في القرن الخامس ق. م: سمّي بأبي التاريخ، عاش في فترة الاحتلال الفارسي لمصر، زار مصر وتتبع أخبار الشرق، وتحدّث عن الحروب التي نشبت بين الفرس والمصريين في القرن

1- Groom. N: Frankincense ... pp. 80-88.

أنظر أيضاً، جواد علي: المفصل، جـ 1، ص 56–61. عن الكتابة الكلاسيكية.

السادس ق.م، ورسم خريطة لبلاد العرب، كما ذكر اللبان والمرّ، فكتب يقول: "إن بلاد العرب هي الموطن الوحيد لإنتاج (اللبان) و(المرّ)، و(خيار شنبر)، و(القرفة) و (الدار صيني) و(اللاذن)، والحصول على هذه الأشياء يتطلّب مصاعب كبيرة، فالثعابين صغيرة الحجم متعددة الألوان، تقوم بحراسة أشجار البخور، والطريقة الوحيدة لإبعادها حرق صمغ (الميعة) الذي يجلبه التجّار إلى اليونان، فتهرب في دخانه، وعندما يذهب العرب لجمع (خيار شنبر) يغطون وجههم عدا عيونهم بجلود الثيران...".

3- (ثيوفراستوس Theophrastus 371 – 287 ق. م): من خلال كتابه عن النبات، طرّق إلى البقاع العربية التي تنتج اللبان والمر والصمغيّات بشكل عام، فتحدث عن اليمن القديم، وما يصدّره من تلك المواد، كما تحدّث عن السّبئيّين بأنهم رجال حرب وزراعة وتجارة، وذكر الممالك اليمنية، سبأ وقتبان وحضرموت.

4- (ايراتوستنس Eratosthenes 276 – 194 ق.م): قسّم بلاد العرب إلى: عربيّة سعيدة، وهي الجزء الجنوبي منها وعربيّة قفراء وهي الجزء الشمالي، وقال: "أن (العربية السعيدة) خصبة التربة ترويها عدة أنهر أمّا (العربية السعيدة) شعب معين وسبأ وقتبان وحضرموت، وحدد مواقع تلك الممالك وذكر عواصمها.

5- (ديودورس الصقلي Diodorus Siculus، المتوفي سنة 40 ق.م.: استفاد ممن سبقوه في وصف روائح بلاد العرب وثراء السّبئيّين، له كتاب في التاريخ العام يسمى (المكتبة التاريخية).

6- (سترابو Strabon, Strabn 64 ق.م – 19م): مؤلف كتاب (الجغرافيا) والمكوّن من سبعة عشر جزءاً، أفرد فصلاً من الجزء السادس عشر، تحدّث فيه عن المدن العربيّة والقبائل العربيّة، ووصف أحوالها الاجتماعية والاقتصادية، وخير ما أفادتنا به كتاباته معلومات عن الحملة الرّومانية على اليمن، وهذه المعلومات هي مصدرنا الوحيد لهذا الحدث التاريخي الهام. وكان (سترابو) هو الصديق الحميم لقائد تلك الحملة (اليوس جالوس).

7- (جالوس بلينوس الثاني Galus Plinius Secundus، المتوفي عام 79م):

8- يسمى كتابه (التاريخ الطبيعي Naturalis Historia)، وهو يحوي 37 قسماً ومن أظهر ممّا قال فيه عن العرب: "العرب أغنى أمم العالم، نظراً لتدفق الثروة – من روما وبارثيا (فارس) – إليهم، وتكديسها بين أيديهم، فهم يبيعون ما يحصلون عليه من البحر، ومن غاباتهم، ولا يشترون شيئاً مقابل ذلك "ويضيف" إنّ المعينيين يملكون أرضاً خصبة يكثر فيها النخيل

والأشجار، وكان لهم قطعان من الماشية. وأنّ السّبأيّين كانوا أعظم القبائل ثروة بما تنتجه غاباتهم الغنيّة من أشجار البخور، وما يملكون من أرض مزروعة وما ينتجون من العسل وشمع العسل..".

9-(كلوديوس بطليموس Claudius، ت 140م): يعرف بالقلوذي، له كتاب في الجغرافيا عرف ب (جغرافية بطليموس)، جمع فيه ما شاهده، وما سمعه، وما عرفه العلماء اليونانيون عن أقطار الأرض، فضمّنه وصفاً لأرض العرب، وأحوالهم التجارية والاجتماعية. وكان هذا الكتاب مصدراً هاماً للمؤرخ اليمني (الحسن الهمداني)، إذ اعتمد عليه في مقدمته لكتاب "صفة جزيرة العرب".

10- كتاب الطواف حول البحر الارتيري (بروبليوس)، القرن الثالث الميلادي تقريباً: "Periplus of the Erythraean Sea" مؤلفه بحّار أو رحالة يوناني مجهول، لهذا الكتاب الفضل في الكشف عن جانب هام وحيوي من تاريخ اليمن القديم، لم تذكره النقوش، ولا المصادر الأدبيّة الأخرى، هو النشاط البحري. لقد ذكر مؤلف هذا الكتاب أنّ العرب الجنوبيين لا يسيطرون فقط على طرق القوافل البريّة التي تربط بلادهم بأسواق الشام، ولكنهم أيضاً يسيطرون على زمام التجارة البحرية بين موانئهم وسواحل شرق أفريقيا وسواحل شرق أفريقيا والهند. ولهم مراكب كثيرة يسافرون عليها إلى سواحل شرق أفريقيا حتى (ربطة) على ساحل (موزمبيق)، وموانئهم مليئة بأصحاب السفن والملاحيّن العرب، وهم مشغولون بشؤون التجارة، كما وجدهم يحكمون (ارتيريا) و (الصومال) وساحل (كينيا) و(ربطة)، وحتى عهد كان ساحل أفريقيا يسمى بالساحل الأوساني[1].

ويعتبر ما كتبه الكلاسيكيّون – رغم ما تحمله معلوماتهم من مبالغة، وتعارض في الغالب – مفيداً في كثير من الأحيان، كونها تعطي صورة عامة لليمن القديم، في فترة ما بين أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، وحتى القرن الثالث الميلادي، حيث احتوت تقاريرهم على معلومات جغرافية قيّمة، حددوا فيها مواضع الممالك اليمنية الرئيسية؛ وبعض المدن الهامة، وتتبعوا بشكل جزئي التبدلات السياسية للفترة السالفة الذكر، وعزوا الثراء إلى الزراعة، وتجارة المرّ والبخور، وكان البخور في نظرهم عماد التجارة، فوصفوا أشجاره وطريقة استخراجه، وتحدثوا عن أسعاره في الأسواق العالمية. كما شملت كتاباتهم معلومات عن التنظيمات

1- Schoff Wilfred. H: The Periplus of the Erythaean Sea, (Trans and Commentary), Longmans, Green, New York 1912.

الحكومية والاجتماعية، والعادات في المنطقة، كما قدّموا معلومات هامة عن التسلسل التاريخي (الكرونولوجيا) من خلال ذكرهم لأسماء العديد من ملوك اليمني القديم.

خامساً: الأدبيات العربية

نقصد بها كل الكتابات التي دوّنت في العهد الإسلامي، وتتكون من:

- الشعر الجاهلي
- وثائق الإخباريين
- الكتب العربية الإسلامية

أ - الشعر الجاهلي:

يعدّ من المصادر الهامة، التي تتحدث عن أوضاع العرب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وعن أيامهم ووقائعهم، وعاداتهم، وعقائدهم ومعابدهم، إلا أنّ الكثير من تلك القصائد تحتاج إلى دراسة متأنية للتأكد من صحتها، خاصة وأن تدوين الشعر الجاهلي تم في العصور اللاحقة للإسلام، ولا ريب أنّ هذا الشعر كان قد تعرّض لشيء من التغيير والانتحال عند تدوينه آنذاك على يد بعض الرواة ك (حمّادة الرّواية)* و (خلف الأحمر)**.

ب - وثائق الإخباريين:

ما تركه لنا الإخباريون من معلومات لا يمكن الاعتماد عليها اعتماداً كلياً؛ لأن روايات هؤلاء الإخباريين تتسم بالارتباك والتناقض، وبضحالة المادة العلمية، ناهيك أنّ الطابع الأسطوري يغلب عليها. وفي العهد الإسلامي - وبعد أن استقرت أركان الدولة الإسلامية - أخذ الرواة والإخباريون يعنون بجميع أخبار العرب في الجاهلية والإسلام، وأخبار من أتصل بهم من الأقوام. ويعدّ (عبيد بن شرية الجرهمي) و(وهب بن منبه) في طليعة من اشتغل برواية الأخبار لعصر ما قبل الإسلام.

- عبيد بن شريه الجرهمي (ت 67ه = 686م): من أهل صنعاء كان قاضياً حافظاً للأخبار، برز في بلاط (معاوية بن أبي سفيان) كقاص لأخبار العرب وأيامهم، وأخبار العجم وملوكها، وتنسب إليه كتب كثيرة منها: (كتاب

---

* جمّادة الرّواية (ت 772هـ): ولد في الكوفة وتوفي ببغداد أشتهر بسعة علمه، وحفظه الشعر الجاهلي والإسلامي، والفضل له في جمع المعلقات.

** خلف الأحمر (أبو مُحرز) (ت 796هـ): من أهل البصرة، من رواة الشعر ونقاده، بلغ من مهارته في الشعر أن يشبه شعره بشعر القدامى، فينحلهم قصائد من نظمه.

الملوك وأخبار الماضيين)، طبع في ذيل (كتاب التيجان في ملوك حمير). ويغلب على أخبار (عبيد) طابع السّمر، والقصص الشعبية (الفلكلور) المتأثرة بالإسرائيليّات.

- وهب بن منبه (ت 114ه وقيل 110 أو 120ه): من أهل ذمار باليمن، وهو من الأبناء - أي من سلالة الأسر الفارسية - كان يهودي العقيدة، تحدث عن أخبار اليمن والأقوام البائدة، وعن نصارى نجران وتعذيبهم وقتلهم على يد (ذي نواس). واهم مؤلفاته "كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم".

ج - الكتب العربية الإسلامية:

لم يعط العرب المسلمون اهتماماً كبيراً لدراسة تاريخ وحضارة اليمن القديم. فكلّ ما جاء في مؤلفاتهم عبارة عن مقتطفات من تاريخ اليمن، هذا إذا استثنينا مؤرخنا اليمني الحسن الهمداني الذي أنكب على دراسة أحوال اليمن التاريخية والحضارية والجغرافية وخصص جلّ جهوده لذلك.

1- الكلبي: محمد بن السائب (ت 763م) وابنه هشام بن محمد الكلبي (ت 819م): هما من علماء الكوفة، كان الأب عالماً بالأنساب، ثم خلفه ابنه هشام الذي سار على نهج والده، غير أنّه تفوّق عليه، وصار في طليعة الباحثين في الدراسات التاريخية، برجوعه إلى الأصول واعتماده على المراجع التاريخية، فنهج في كتابته نهجاً قريباً من المنهج التاريخي السليم. وتعود إليه أغلب معارفنا عن فترة الجاهليّة. له عدة مؤلفات لم يُعرف منها سوى ثلاثة أعمال هي: كتاب (النسب الكبير) أو (الجمهرة في النسب)، وكتاب (نسب فحول الخيل في الجاهلية والإسلام)، و(كتاب الأصنام).

2- اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب (ت 292ه = 897م): تحدّث عن ملوك اليمن، وملوك الشام، وملوك الحيرة من اليمن، وتحدث عن كندة، وولد إسماعيل بن إبراهيم، ومعلومات عن أديان العرب وأصنامهم، وأسواقهم الموسمية، وحكامهم العرب وشعرائهم، وذلك في كتابه الموسم ب (تاريخ اليعقوبي).

3- الطبري: أبو جعفر، محمد بن حرير (ت 310ه = 923م): في كتابه (تاريخ الرسل والملوك)، وفي تفسيره (جامع البيان في تفسير القرآن)، معلومات تاريخية وسياسية واجتماعية ودينية واقتصادية عن العرب قبل الإسلام.

4- المسعودي: علي بن الحسن (ت 345ه = 923م): في كتابه (تاريخ المسعودي) تحدّث عن ثقافة قدماء العرب وتاريخهم، كما تحدث عن رحلاته إلى الهند وسيلان والصين وزنجبار له عدة مؤلفات أخرى نشرت وفيه

تحدث عن الخلق، وقصص الأنبياء، وأقوام العرب البائدة، وتحدث عن ديانات العرب، وعن بيوت العبادة.

5- الهمداني: الحسن بن أحمد يعقوب، الملقب ب(لسان اليمن) أو (ابن الحائك)[1]: ولد بصنعاء سنة (280ه = 892م)، وتوفي بمنطقة (ريدة)، شمال (صنعاء) سنة (360ه = 970م) تقريباً، عاش الهمداني في عصر كانت الحالة الأدبية والعلمية في العالم العربي تشهد تطوراً وعطاءً خصباً لم يشهد له مثيل من ذي قبل، وعلى رغم أنّ اليمن - في عصره - كانت تمثل ولاية من ولايات الدولة العباسيّة، وبعيدة عن عاصمة الدولة المركزية ب (بغداد) فإننا نلمس بصماته بارزة في الحركة الثقافية والعلمية لتلك الدولة، كما نجده يحتل مكانة بين أدباء وعلماء وشعراء ذلك العصر، الذي كان من أبرزهم: (الطبري)، و (المسعودي)، و (المتنبي) ... الخ.

إلاّ أنّ أهم مميزات الهمداني، ولعه الشديد بدراسة اليمن تاريخياً وحضارياً وجغرافياً في فترة اتجهت الكتابات العربية والإسلامية لدراسة الفقه، والشريعة، وتاريخ الدولة العباسية.

أمّا على الساحة السياسية الداخلية فنجد الهمداني قد عاش في ظروف سياسية قاسية، خاصة وأنّ اليمن آنذاك كان مسرحاً للفتن والتّطاحن، فترة بلغ الصراع العدناني - القحطاني أوجه إن تلك الأوضاع المترديّة - التي كان يعيشها اليمن على جميع المستويات - كانت محركاً ودافعاً رئيسياً لتعمّق الهمداني لدراسة تاريخ وحضارة اليمن ونستشف من خلال كتاباته وطنية صادقة، تعكسها موافقة السياسة، فقد استخدم الآثار والنقوش كقرائن مادية لا تقبل الشك، تبرهن على تمدّن اليمن منذ القدم.

لقد أقلقت كتابات الهمداني سلطات عصره وخاصة (الأئمة) ومناصريهم فزجّ به في السجن أكثر من مرة، بتهمة التحريض ضد آل البيت كما أتهم بسبّ الرسول، وكانت هذه التهم ملفقة للتخلص منه، لقد كان للهمداني من تلك الدراسات هدف سام الغرض منه إعادة وحدة اليمن وصورته الحضارية.

أمّا مؤلفاته فتعتبر - دون جدل - مصدراً هاماً من مصادر دراسة التاريخ اليمني، والدور الحضاري الذي لعبه اليمن فقد تطرّق للغة اليمنية القديمة (النقوش)، والآثار، ولعادات وتقاليد اليمنيين، وخير ما تركه لنا من ثروة علمية قيمة، توثيقه لأسماء عدد كبير من الشعراء من مختلف العصور، منهم من عاش

1- Al - Garoo Asmahan: "Les antiquites du Yemen dans L'ouvers d'al. Hamdani", (these) Paris, 1986.

قبل الإسلام، ومنهم من عاش بعده، كما وثّق لنا العديد من المناطق والقبائل التي لولاه لطوتها صفحة النسيان، إن دراسة الهمداني لم تقتصر على اليمن فحسب بل تطرقت إلى الفكر الإسلامي، والصراعات السياسية السائدة آنذاك، فقد تناول شتى العلوم، في مجال التاريخ، والجغرافيا، والآثار، والأنساب، والفلك، والطب، والتعدين، والأدب، والفلسفة ولم تصلنا سوى نزر يسير من مؤلفاته، أمّا البقية فقد وصلنا علمها من خلال ما ذكره لنا الهمداني نفسه في طي مؤلفاته التي عثر عليها، وبعضها وصلنا معرفتها بواسطة (صاعد الأندلسي ت 464ه) في كتابه (طبقات الأمم)، فهو أول من ترجم للهمداني من علماء الأندلس. ففي تلك الفترة كانت قد وصلت إلى الأندلس أغلب مؤلفات الهمداني بفضل الخليفة (المنتصر بالله) عام 350ه الذي كان شغوفاً بالعلوم، وبتجميع المؤلفات العلمية من كل بلد، كما أفادتنا ترجمة (علي بن يوسف القفطي) في كتابه (أبناء الرواة في أنباء النحاة).

مؤلفات الهمداني المطبوعة والمنشورة:

1- الإكليل: عشرة أجزاء لم يبق منها سوى الأجزاء الأول، والثاني، والثامن، والعاشر.
- الجزء الأول: في المبتدأ وأصول أنساب العرب والعجم، ونسب ولد حمير.
- الجزء الثاني: في نسب ولد الهميسع بن حمير، وقد طبع الجزءان باختصار قام به (محمد بن نشوان الحميري).
- الجزء الثامن: في محافد اليمن، ومساندها، ودفائنها، وقصورها ومراثي حمير، والقبوريات (في آثار اليمن).
- الجزء العاشر: في معارف همدان، وأنسابها، وعيون أخبارها.

2- صفة جزيرة العرب: من الكتب القيمة للهمداني التي تبحث في جغرافية جزيرة العرب، وأسماء بلادها، أوديتها، ومن يسكنها.

3- كتاب الجوهرتين العتيقتين: من أجود مؤلفات الهمداني، وأكثر نفعاً، فهو يتعلق بالذهب والفضة من حيث تعدينها، وصياغتها، وكل ما يتصل بها.

4- الدامغة: قصيدة للهمداني، قرابة 600 بيت رد فيها على قصيدة للشاعر (الكميث بن زيد الأسدي)، في تفضيله عدنان على قحطان.

5- المقالة العاشرة من سرائر الحكمة: وهي متعلقة بالنجوم، ويظهر أنها كاملة في موضوعاتها وأنّ المقالات التسع الأخرى من الكتاب تتعلق بموضوعات أخرى في الفلسفة لم نعثر عليها بعد.

مؤلفات الهمداني المفقودة:

- كتاب الإبل: يتحدث عن الحيوان.
- كتاب أخبار الأوفياء: يبحث في أخبار بني شهاب وأيامهم.
- كتاب الأيام: يبحث في أشعار قضاعة، وأخبار خولان.
- كتاب الحرث والحيلة: عن الأرض.
- ديوان الهمداني.
- زيج الهمداني: جداول توضح أطوال وعروض المواضيع الجغرافية.
- سرائر الحكمة: تسع مقالات، في الفلسفة والفيزياء.
- كتاب السير والأخبار.
- كتاب الطالع والمطارح: في النجوم.
- كتاب القوي في الطب.
- كتاب المسالك والممالك.
- مفاخر اليمن ووقائعها.
- كتاب اليعسوب: في الرمي بالسهام والنصّال، وفقه الصيد حلاله وحرامه.
- الأجزاء الستة المفقودة من الأكليل.
- الجزء الثالث: يبحث في فضائل اليمن ومناقب قحطان.
- الجزء الرابع: في السيرة القديمة لحمير، من عهد يعرب بن قحطان إلى عهد أبي كرب أسعد "أسعد الكامل".
- الجزء الخامس: في سيرة حمير الوسطى، من عهد أبي كرب إلى عهد ذي نواس.
- الجزء السادس: في سيرة حمير، من عهد ذي نواس إلى عهد الإسلام.
- الجزء السابع: في ذكر السيرة القديمة، والأخبار الباطلة والمستحيلة.
- الجزء الثامن: في كلام حمير، وتجاربهم المروية بلسانهم.

هكذا ومن خلال تلك المؤلفات المتعددة والمتنوعة يتضح جلياً أن الحسن الهمداني بذل جهداً عظيماً في دراسة اليمن وتاريخه وحضارته، بمختلف جوانبها وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على مدى الوعي والحس الوطني لديه.

6- نشوان بن سعيد الحميري:

عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، وحذا حذو الهمداني في الحديث عن عظمة اليمن وحضارته، تحدث عن ملوك حمير وانتصاراتهم أهم مؤلفاته (القصيدة الحميرية) وشمس العلوم، ودواء كلام العرب من الكلوم.

أو

ثا

ثا

الفصل الرابع

البحث عن النقوش واكتشاف الآثار في اليمن

أولاً: تاريخ الاهتمام بآثار وحضارة اليمن القديم

ثانياً: البحث عن النقوش

ثالثاً: التنقيبات الآثرية.

أولاً:
يعـ
بالحضـ
الميلا
مادية
النقشيـ
أمـ
النهض
شديد
الروا
إن
الدائمـ
29ديسـ
في 2
أهمها
(تعز)
(صنع
اليمن
قضت
(كاريـ
(وصفـ

1 - الـ
378 -
2- بـ
النقوش
.107
(إصدار
ce et

genen
agen.

أولاً: تاريخ الاهتمام بآثار وحضارة اليمن القديم:

يعتبر "الحسن الهمداني" كما أشرنا آنفاً من أوائل العلماء العرب المهتمين بالحضارة اليمنية وازدهارها منذ أن شرع يكتب مؤلفاته في القرن العاشر الميلادي، فتحدث بإسهاب عن الآثار، باعتبارها وثائق تاريخية حية، ومستندات مادية لما تبقى من أمجاد ذلك الماضي العريق. وكتب لنا بعضاً من النصوص النقشية[1].

أما اهتمام الغرب بالناحية الآثريّه والحضارية لليمن، فقد كانت مع بداية عصر النهضة الأوربية، أي منذ حوالي القرن الخامس عشر الميلادي عندما ظهر ميل شديد للدراسات الدينية (الإنجيلية)، فاتجهت أنظارهم صوب اليمن، للتحقق من الروايات التي ذكرتها الكتب المقدسة عن ملكية سبأ، وزيارتها للملك سليمان[2].

إن أول رحلة أوربية نظمت لزيارة اليمن كانت عام 1762م[3]، مولها ملك الدانمارك، ضمن خمسة من العلماء، من الدانمارك، السويد، وألمانيا، في 29ديسمبر من العام نفسه وصلت البعثة إلى ميناء (اللحية) ثم غادرت (اللحية) في 22 فبراير 1763م ووصلت (بيت الفقيه) ومن بيت الفقيه قامت برحلات فرعية أهمها إلى (غليفقة)، و (الحديدة)، و (زبيد) ورحلة باتجاه (العدين)، (جبلة) و (تعز) (صنعاء)، وفي صنعاء التقت بالإمام المهدي عباس آنذاك ثم غادرت (صنعاء) إلى (بيت الفقيه)، و (المخا)، وفي 23 أغسطس 1763م غادرت البعثة اليمن في طريقها إلى الهند. لقد كانت تلك البعثة منحوسة الطالع، خاصة بعد أن قضت الملاريا على جميع أعضائها، ولم يبق منها سوى الجغرافي الدانمركي (كاريستن نيبور C. Niebuhr)، الذي سجل نتائج رحلته في مجلدين الأول بعنوان (وصف بلاد العرب Beschreibung Von Arabien)[4] في القسم الأول أورد

---

1 - الهمداني، :"الإكليل"، جـ8، أنظر أيضاً Garow Asmahan, op – cit, pp. 341 – AL 378 -

2- بافقيه، محمد عبد القادر، والفريد بيستون وكريستان روبان ومحمود الغول: "مختارات من النقوش اليمنية القديمة"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985م، ص106-107. أنظر أيضاً: ثور كلدهانس: من "كوبنهاجن إلى صنعاء"، ترجمة: محمد أحمد الرعوي، (اصدارات مركز الدراسات والبحوث – صنعاء) دار العودة – بيروت 1983م.

3-Pirenne. J" :a' la de'couverte de L'arabie, cinq sie'cles de science et d'aventure, Paris, 1958, pp. 113-126.

4- Niebuhr Carsten" :Beschreibung Von Arabien". Aus eigenen Beobachtungen und im Lande Selbst gesammelt Nachrichten. Kopenhagen. 1772. Nachdruck 1969.

معلومات عامة عن عرب الجزيرة العربية، عن حياتهم الدينية والاجتماعية، كما تحدث في قسم آخر عن جوانب من تاريخ اليمن وجغرافيته والحياة السياسية والاجتماعية فيه، في الأقسام الأخرى من الكتاب قدم معلومات عن البلدان المحيطة باليمن، ك (الحجاز) و (الاحساء) و (نجد)، و (عمان) و (الإمارات) المستقلة في الخليج وأفرد قسماً تحدث فيه عن حضرموت[1].

المجلد الثاني: بعنوان "وصف رحلة إلى بلاد العرب والبلدان المجاورة" (Reisebeschreibung nach Arabien und umliegenden Landern) وهو عبارة عن سجل لوقائع رحلته، منذ إقلاعه من ميناء (كوبنهاجن) وحتى عودته[2].

وبالرغم من أن (نيبور) لم يستنسخ أي نقش يمني قديم، فقد ذكر أنه سمع أن هناك نقوشاً لا يستطيع اليهود ولا المسلمون قراءتها، وذكر أن هناك آثاراً لسد وقصر في (مأرب).

إن أهمية مؤلفات (نيبور) تكمن في أنه لفت نظر علماء الغرب للنقوش اليمنية، قدم ملاحظات قيمة عن شبه جزيرة العرب وقبائلها بشكل عام، فتضمنت هذه الملاحظات حديثاً إضافياً عن شؤون العرب الاجتماعية والسياسية ناهيك عما أبرزته الخرائط الجغرافية المفصلة في كتبه، من مواقع وأماكن لم تكن معروفة البتة لدى علماء الغرب من قبل وهذا مما يسر فيما بعد مهمة البحث وسبل الدراسة لجمهرة علماء الغرب الذين أتوا عقب هذا الرجل.

ثانياً: البحث عن النقوش

في عام 1810م وصل العالم الألماني (و.ي. ستزن. U. E Seetzen) إلى اليمن، ليبحث عن النقوش التي ذكرها (نيبور) فوجد بعضها في ظفار* (العاصمة الحميرية) وضواحيها، كما زار (مأرب)، وأرسل رسالة لأحد أصدقائه تضمنت صوراً لبعض النقوش التي عثر عليها والتي يصعب قراءتها وبفضل هذه الرسالة عرفت أوربا ولأول مرة ماهية الكتابة اليمنية القديمة. ثم عقد العزم أن يتجه بدوا إلى شبه الجزيرة العربية والخليج، فسلك طريقاً داخلياً وفجأة ضبط ومعه مجموعة من الحشرات التي كان يستخدمها في أبحاثه الخاصة بعلم (التاريخ

---

1 الصايدي، أحمد قائد: "المادة التاريخية في كتابات "نيبور" عن اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990، ص63.

2 المرجع نفسه، ص64.

* ظفار: هي ظفار منكث، تقع على بعد 15كم جنوب شرق مدينة يريم. وآثارها الباقية مازالت تشهد على حضارة سادت ثم بادت.

الطبيعي) فصودرت وألقي القبض عليه، بحجة أن يستخدم الحيوانات الميتة للسحر، وبعد ذلك قتل مسموماً في سجن (بتعز) عام 1811م[1].

في مطلع القرن التاسع عشر أخذ الاهتمام بالآثار القديمة يتزايد خاصة بعد أن عرفت آثار مصر، وشمال أفريقيا والشام والحبشة، فزادت شجون الأوربيون تجاه الجزيرة العربية التي سبق وأن أشار إليها كل من (ستزن Seetzen) و(نيبور Niebuhr)، إلا أن البداية الحقيقية لعلم النقوش اليمنية كان عام 1834م، باكتشاف نقش حصن الغراب (بير علي) حالياً. فباسم البحرية الهندية أو شركة الهند البريطانية كلف الكابتن (ولستد R Wellested) وزميله (هينز S. B. Haines)، وضابط آخر في عام 1835 باكتشاف شواطئ جنوب شبه جزيرة العرب. وكانت ل(ولستد R Wellested)اهتماماته الأثرية الخاصة، فلفت نظرة اطلال ونقوش حصن الغراب، الحصن الذي كان يحمي ميناء من أكبر موانئ حضرموت القديمة وهو ميناء (قنا) وقام بنسخ نقش مؤلف من عشرة أسطر. وبالاستعانة بهذا النص ونصوص أخرى وجدت في نفس الفترة، جرت أول محاولة لفك رموز نقوش المسند كما أشرنا لذلك سابقاً إلى جانب ذلك أشار (ولستد) إلى إطلال مدينة (نقب الهجر)، وسجل ملاحظاته عن خصوبة وادي حضرموت[2].

وشابهه في هذه الجهود العالم الألماني (أدولف فون وريد Adolph Von Wrede) الذي سار عام 1843م من ميناء المكلا متجهاً إلى وادي حضرموت، زار خلالها فروعه الجنوبية كوادي (دوعن)، و (عمد)، ووصل حتى قبر النبي (هود) وقد ساهم (فون وريد) مساهمة كبيرة في إثراء المعلومات الجغرافية لهضبة حضرموت، ويعد أول من زار الموقع الأثري (المبنا) الواقع إلى الشمال من ميناء (قنا) بير علي حالياً[3] ومن ثم نحا نحوه علماء آخرون.

أما أول النقوش التي نشرت بالحروف الأصلية (المسند)، فهي تلك التي جاء بها الصيدلاني الفرنسي (توماس جوزيف أرنو Tomas Joseph Arnoud) الذي بلغ (مأرب) و (صرواح)، وكان ذلك عام 1843م، حيث تمكن من جمع العديد من النقوش، بلغ مجموع ما نسخ منها: ستة وخمسين نقشاً، نشرت جميعها عام 1845م. ويعتبر (أرنو) أول من وصف سد مأرب ومعبد (المقة) الذي يطلق عليه (محرم بلقيس)[4]. وأهمية رحلته العلمية تكمن في إقبال العلماء المستشرقين على

1- Pirenne, J: a La decouverte de L' arabie … p, 149 - 167

2- Ibid., pp. 266 - 262

3- Ibid ; p. 307

4- Ibid , pp 274 - 290

فك رموز خط المسند الذي أطلق عليه في البداية اسم "الكتابة الحميرية" أما الخطوة التي تلتها فقد تمثلت بترجمة كل النقوش المكتشفة، والتعليق عليها، ثم نشرها في: (مدونة النقوش السامية* Corpus Inscriptionum Semiticarum) 1889 – 1932م بتمويل من الأكاديمية الفرنسية.

وأبرز من أشتهر بالبحث عن النقوش المستشرق (جوزف هاليفي Joseph Halevy)، الذي وصل إلى (نجران)، ثم صنعاء عام 1869 – 1870م، فزار (الجوف و (مارب) مصطحباً معه مرشداً يمنياً يهودي الديانة، يدعى (حاييم حبشوش) ونسخاً معاً (686) نقشاً[1]. كما كتب حبشوش حكاية هذه الرحلة باللهجة العربية ليهود اليمن وهي وثيقة تتحدث عن أحوال اليمن، وعن لهجة أهل (صنعاء) في القرن التاسع عشر[2].

ومن أكبر المساهمات – في هذا المجال – ما قام به النمساوي (ادوارد جلازر Edward Glaser) أستاذ اللغة العربية بجامعة (فينا)، الذي قام بعده رحلات إلى اليمن أثناء الوجود التركي فيها، وذلك خلال الأعوام: 1882 – 1884م، حيث زار (شبام كوكبان) و (عمران) ببلاد همدان، والمنطقة الواقعة في الهضبة الغربية منها (أرض حمير) (ظفار) و (يريم) ثم (رداع) وفي الأعوام 85 – 1886م، و 887م، و 1892، 1894م من فترة الوجود التركي ذاتها، قام بزيارة أخرى لليمن قاصداً هذه المرة (إب). وخلال هذه الرحلات، جصل على نتائج باهرة وتمكن من تزويد الدراسات اليمنية بباكورة الخرائط الجغرافية الدقيقة، التي حدد فيها أسماء المواقع الأثرية، وسجل جملة من الملاحظات الجغرافية والاثنوغرافية، ونسخ ما يقارب من (2000) نص نقشي[3]، بطريقة الاستنساخ، (وهي طريقة يتم بها الضغط على ورق خاص). وبفضل هذا العدد الهائل من النقوش تمكن العلماء المهتمون باللغات السامية، من التعمق في معرفة خصائص اللغة اليمنية القديمة، ومقارنتها

---

* تختصر مدونة النقوش السامية بالرمز (كوبوس) أو (CIH) أما الأجزاء المخصصة للنقوش اليمنية في الكوربوس وهي ثلاثة: الجزء الأول والثاني والثالث.

1 – هاليفي جوزيف: تقرير عن بعثة أثرية إلى اليمن، ترجمة: منير عربش، مراجعة: معلي حمد زيد، نشر في كتاب رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني، دار الفكر المعاصر، بيروت 1992م ص 193 – 180.

2 – حبشوش حييم يحيا: "رؤيا اليمن (1311هـ – 1893م)" ترجمة وتحقيق، سامية نعيم صغير، في كتاب" رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي، المرجع السابق ص 27 – 137.

3- Glaser, E: Von Hodeida nach San a, Vom 24 April Bis, Mai 1885, dans Petermanns Mitteilungen, 32, 1886 pp. 1-10, 33 - 48

بغيرها من اللغات السامية. عندما أصدرت الأكاديمية الفرنسية مدونة جديدة للنقوش السامية باسم: Reprtoire d' Epigraphie* Semitique منذ عام 1928 – 1950م.

وعلى ضوء النتائج الباهرة التي توصل إليها (جلازر)، قررت أكاديمية العلوم ب "فينا"، إرسال بعثة إلى اليمن، بإشراف كل من: (د. ه مولر D.H. Muller)، (ك: لندبرج C. Landberg)، فتمكنت هذه البعثة من الوصول إلى بعض المناطق في حضرموت بصعوبة بالغة وأهم انجازاتها: هو كتابة بعض النقوش، من أبرزها: نقش (نقب الهجر)، ونقش (حصن الغراب).

ومن الرحالة العرب الذين زاروا اليمن في مطلع القرن العشرين: الرحالة اللبناني (أمين الريحاني)، الذي ألف كتاباً بعنوان (ملوك العرب) عام 1925م، والصحافي (نزيه مؤيد العظم)، الذي زار اليمن أكثر من مرة، وكتب (رحلة في بلاد العربية السعيدة) نشر عام 1938م.

وفي حوالي عام 1934م ومع قيام مرحلة جديدة من الانتشار البريطاني في جنوب اليمن، قام الضابط السياسي (أنجرامس W. H. Ingrams) بوضع تقرير عن الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لحضرموت، وقام وزوجته (دروين انجرامس) بجولة واسعة في البلاد أعقبتها في السنوات التالية بعد أن أصبح المستشار السياسي لسلاطين حضرموت، قام خلالها بعدة رحلات منها رحلة تعقب خلالها طريق البخور القديم، حيث أنطلق من بير علي (قنا) قديماً في اتجاه شبوة (عاصمة مملكة حضرموت). وأكتشف (عقبة فتوره) التي تربط (شبوة) الواقعة على وادي عرمة، ب (الجول) هضبة حضرموت، وسجّل النقش الذي نحت على تلك العقبة والذي سمي باسمه (انجرامس Ingrams I . I)[1].

توقفت الرحلات العلمية إلى اليمن في فترة ما بين الحربين العالميين، حينها كانت قد توافرت لدى الباحثين بضعة آلاف من نصوص اللغة اليمنية القديمة، إلا

---

* يختصر اسم المدونة إلى (ربرتوار أو RES) وقد شملت الأجزاء الثلاثة الأخيرة (الخامس – السابع) هذه المدونة، دراسة وتعليق على النصوص اليمنية القديمة، ويرجع الفضل في شرح تلك النصوص والتعليق عليها للسيد (جونزاك ريكمنز Ryckmans Ganzague) القائم على تدريس النقوش السامية في جامعة (لوفان) أنذاك. وكان صدور المجلدات المذكورة على النحو التالي: الجزء الخامس في عام 1929م، الجزء السادس في عام 1939م، الجزء السابع في عام 1950م.

1 – محمد عبد القادر بافقية: المستشرقون وآثار اليمن، (قصة المستشرف السويدي "الكونت كارلودي لندبرج" من خلال مراسلاته مع اليمنيين 1895 – 1911م) المجلد الثاني، مركز الدراسات والبحوث اليمني – صنعاء، 1988م، ص968.

أن القسم الأكبر منها كان يحتوي على أسماء أشخاص وقبائل، ونصوص دينية، ومنها عرفت أسماء عواصم الممالك، لكن المعرفة بالفن، والعمـارة، وجوانب حضارية أخرى ظلت مجهولة، ففي ذلك التاريخ لم يشهد موقع أعمـالاً حفرية وتنقيبية، سوى ما عثر عليه من قطع أثرية، ظفر باقتناء بعضها أولئك العلماء الذين زاروا اليمن، فاحتفظوا بها كملكيات خاصة بهم، وبعضـها الآخر جلبته المتاحف العالمية بوسائل شتى.

ثالثاً: التنقيبات الأثرية

لم تكن النقوش المكتشفة حتى تلك الفترة كافية لرسم صورة واضحة المعالم لتاريخ وحضارة اليمن، فبرز العديد من الاستفسارات عن جوانب مختلفة، أكتنفها الغموض، كما أن المعلومات المتوافرة ظلت مبتسرة، وبحاجة إلى مـا يدعمها ويؤكدها وكان السبيل الوحيد لسد تلك الثغرات هو القيام بالتقنيات الأثرية وإجراء المزيد من الاكتشافات.....

لقد بدأت أعمال التنقيب الأثري في اليمن عامي 1931 – 1932م، بمبادرة من العالمين الألمانيين: (فان وايزمن وكارل راتجن (H. Von Wissmann, and, Carl Rathjens) اللذين نفذا موسماً قصيراً من التقنيات في منطقة (الحقه) وهي موقع صغير يبعد مسافة (23 كم) إلى الشمال من صنعاء، ومع أنهما لم يكونا على علم تام بأصول التنقيب المنهجي، إلا أنهما كشفا من خلال عملها هذا عن معبد مع ساحته المربعة المكشوفة، يعود تاريخه إلى القرن الثالث ق.م، وعـثرا بالتالي على رأس أسد من البرونز، ومجموعة من اللقايا (هي عبارة عن أوان حجرية أو برونزية)، وغيرها من مواد أثرية صغيرة، وكانت نتائج أبحاث هذين الرجلين قد نشرت عام 1934م، في ثلاثة أجزاء[1].

وتوالت زيارات (فان وايزمـن H. Von Wissmann) ففـي عـام 1931م زار حضرموت برفقة الرحالة الدبلوماسي الهولندي (فان درميولن Van Dermeulen) تعرفا على العديد من المواقع الأثرية الهامة في وادي حضرموت، وعـاد بعدها إلى حضرموت مرتين الأولى عام 1939م، والثانية والأخيرة عام 1958م. وكـانت كتاباته الجغرافية التاريخية من أفضل ما كتب عن جغرافية وتاريخ اليمن القديم، وأهم أعماله كتاب مشترك مع العالمة الألمانية (ماريا هوفنر M. Hofner) عالمة

1- Rathjens. C. and H. Von Wissmann: "Vorislomische Altertumer", Hamburg, 1932.

الكتابات القديمة* بعنوان: (Beitrage Zur الجغرافية التاريخية للعربية الجنوبية قبل الإسلام (Virislamischen Sudarabiens historischen Geographie des
يعد هذا الكتاب أول دراسة موسّعة للجغرافية التاريخية لليمن القديم، ناقشا فيه وضع التضاريس، وتاريخ كل منطقة من الجوف غرباً إلى حدود وادي (المسيلة) شرقاً، ووصفاً المخلفات القائمة لكل الأماكن الرئيسية المعروفة، مستندين إلى كافة المصادر العربية والكلاسيكية، وأعمال الرحلة، والكتابات النقشية، وفيه أوردا تلخيصاً للنتائج التي توصلت إليها التقنيات الأثرية إلى ما قبل عام 1951م. وأهم ما في هذا الكتاب: المراجع والخرائط الأثرية الكاملة.

وفي عام 1938م عمل الكولونيل (هاملتون A. Hamilton) ضابطاً سياسياً في محمية عدن الغربية، وقام خلال وجوده بتنفيذ حفريات اختبارية في (شبوة)، بالقرب من الباب الشمالي للمدينة مستفيداً من المعلومات السابقة[1].

إن المسألة الجوهرية التي فتحت آفاق الاستكشافات والتنقيب في اليمن تتمثل في الاهتمام الواسع للبريطانيين بالمنطقة حينما أخذ نشاطهم يمتد ليشمل المحميّات الجنوبية.

وفي عام 1936 – 1937م قام العالم (جون فلبي H. St . J . Philby) أو (عبدالله فلبي) بعدة رحلات زار فيها أراضي الجزيرة، وأهمها رحلته المشهورة التي بدأها من جدّة، ماراً بعسير، فنجران حتى بلغ (شبوة) و (تريم)، كما أنه يعتبر أول من اهتدى إلى نقوش (العقلة) بالقرب من شبوة، من مؤلفاته (The Background of Islam) ترجم تحت اسم "سناد الإسلام" صدر عام 1947م.

وقد شكلت دراسة (هاملتون) و (جون فلبي) لشبوة معلومات أساسية استفادت منها العالمة الفرنسية (جاكلين بيرن J . Pirenne).

وفي عام 1936م زارت اليمن بعثة "فؤاد الأول" (القاهرة) وكان من بين أعضائها العالمان: الجغرافي "سليمان حزين" وعالم النقوش " خليل يحي نامي"، وكان حصيلة عمل البعثة (89) نقشاً معظمها من منطقة (ناعط) شمال صنعاء، كما قاما بتنقيبات سطحية في قاعدة معبد الإله (تألب ريام) في عام 1943م ونشرت نتائج أعمالها في كتاب (نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرقها).

---

*من أبرز العلماء الألمان، لها عدد من المؤلفات في قواعد لغة النقوش.

1- Hamilton. B. A. B. Six Weeks in Shabwa. "dans, Geographical Journal, Vol 3, 1942, pp. 107 – 123.

وفي عامي 1937م – 1938م شهد (وادي عمد) – وهو أحد الروافد الجنوبية لوادي حضرموت – أعمالاً تنقيبية، في منطقة (حريضة) "مذبم" القديمة، نفذتها بعثة أثرية بريطانية متمرّسة، بقيادة (كاتن تومبسون Caton Thompson) عالمة الآثار، وزميلتها الجيولوجية (أ. جاردنر A. Gardner)، والمؤرخة (فريا ستارك Stark Freya) صاحبة المؤلفات العديدة عن حضرموت، ولها فضل في العثور على النقش اليزني (RES 5080) المتضمن معلومات عن أعمال الري بأودية حضرموت.

ولقد أضافت تنقيبات "حريضة" لمداركنا الكثير من المعلومات، من خلال نتائجها القيمة التي توصلت إليها، إذ كشفت البعثة عن آثار لقنوات ريّ، ومعبد للإله (سين)، وكوخ مبنيّ من اللبن قرب المعبد، وقبرين على صخور الوادي، ومجموعة من القطه الأثرية المتنوعة التي يرجع تاريخها – كما ترى (كاتن تومبسون) – إلى القرن السادس أو الرابع قبل الميلاد.

وفي عامي 44–1945م، قام عالم الحشرات المصري "محمد توفيق" برحلة علمية إلى (الجوف)، درس خلالها المخلفات السطحية لآثار "معين" وتعتبر صورة ومخططاته أفضل عمل قدم لنا عن معين، في عام 1951م نشر نتائج أعماله في كتاب "آثار معين في الجوف". فيما عهد إلى (خليل يحي نامي) بتقديم النقوش، والتي نشرت في مجلد مستقل بعنوان "نقوش خربة براقش على ضوء مجموعة محمد توفيق".

وفي عام 1947م جاء إلى اليمن باحث مصري آخر هو أحمد فخري، الذي زار عدداً من المواقع الأثرية من بينها: (صرواح)، (مأرب)، (براقش)، (خربة سعود)، (معين)، (الحزم)، (كمنا)، (السوداء)، (البيضاء). ومن ثم قام برسم وتصوير ووضع مخططات للبنية الرئيسية، والعناصر المعمارية، والمنحوتات، والمواد الأخرى الصغيرة، ونسخ وصوّر عدداً كبيراً من النصوص فكانت نتائج تلك الأعمال قيمة للغاية، إلا أن أغلب تلك المواد التي وصفها وصورها تعرضت للسرقة بعد ذلك. أما نتائج تلك الرحلة فنجدها في كتابية: (رحلة أثرية إلى اليمن) و (اليمن ماضيها وحاضرها).

في عامي 50 – 1951م، جاءت إلى اليمن "البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان" والمكونة من 30 عضواً، بقيادة (ويندل فيليبس Wendell Phillips) رافقة في إطارها العالم: (و. ف البرايت W. F. Albright)، والأب جام (A. Jamme) وآخرون. وصدرت عن تلك البعثة مقالات ودراسات هامة عمّا أجرته من أعمال تنقيبية شملت كل مناطق مملكة قتبان، إذ أنصب تنقيبها – أولاً – على الموقع

الأثري الهام في العاصمة القتبانية (تمنع) هجـر كحلان حاليـاً، حيـث أقتصـر التنقيب على البوّابة الجنوبية لمدينة (تمنع).

ثم جرى التنقيب في الموقع المعروف حالياً ب (حيد بن عقيل)، وهو عبـارة عن تل يقع إلى جوار منطقة (هجر كحلان) حيث كشفت البعثة على مقابر المدينة القديمة، كما تمكنت من أن تجمع من هذا الموقع كمية من الفخار، تكفي لدراسـة نماذج من الصناعات الفخارية، ومعرفة التسلسل التاريخي[1]. كما كشفت عن آثـار نظم الري، ودرست الترسبات الغرينية[2].

وفي عامي 51 – 1952م انتقلت البعثة إلى مأرب، للقيام بحفريات فـي معبـد (أوام) المعروف حالياً ب (محرم بلقيس)، إلا أن خلافاً نشب بين أعضاء البعثـة والمشرفين على أعمال البعثة من اليمنيين، فانسحبت البعثة قبل أنْ تكمل أعمالـها من تصوير وتسجيل الآثار والنقوش الهامة التي اكتشفتها[3].

وقد قامت البعثة عام 1960م بالتنقيب في موقع أثري بأقليم " ظفار" (سـلطنة عمان) – يطل على (خورروري) ولا يبعد كثيراً عن (صلالة) حيـث عـثر فـي الموقع على مدينة قديمة ونقوش حضرمية.

وهناك عمل آخر في مجال التنقيب قامت به بعثة (سمشونيان) الأمريكية فـي وادي حضرموت، عام 1960م، حيث أجرت مسحاً أثرياً فيه، ورئيس هذه البعثـة (فان بيك Van Beek)، الذي سبق وأن شارك مـع البعثـة الأمريكيـة لدراسـة الإنسان، التي نقبت في بيحان عامي (51 – 1952م)[4].

لقد كانت نتائج البعثات عظيمة إذ وسعت مداركنا عن تاريخ وآثـار اليمـن، وفتحت أمام الباحثين آفاقاً رحبة للدراسة، ونخص بالذكر بعض الدراسات علـى سبيل المثال: كتاب أصدره (جاك ريكمنز J. Rykmans) بعنوان (المؤسسة الملكيـة في كل من سبأ ومعين)، حيث ركز في كتابة على التسلسل التاريخي لمعين وسبأ. معتمداً على النصوص النقشية التي تم اكتشافها[5].

1- R. Lebaron Bowen F. B. Albright,: Archaeological Discoveries in South Arabia, Publications of the American Foundation for the study of man , II (Baltimore 1958).

2-R. Lebaron Bowen: "Irrigation in Ancient Gataban, (A. D. S. A) pp. 43 – 88.

3 بافقيه: المستشرقون، جـ2، ص979.

4- Van Beek G. W. G. H. Cole and A. Jamme: In Archaeological… pp. 525534.

5- Ryckmans J. "L' institution monarchique en Arabie meridionale avant L' Islam (Ma'in et Saba) louvain 1951.

ودراسة العالمة الفرنسية (جاكلين بيرن J. Pirenne) التي أصدرتها عام 1955 بعنوان (الإغريق وسبأ) حيث حاولت الربط بين الخط اليمني القديم (خط المسند) والخط الإغريقي، وأشارت في دراستها هذه إلى أن الحضارة اليمنية تعود إلى القرن الخامس ق.م، وأن هذه الحضارة في – اعتقادها – كانت نتيجة التأثيرات القوية لليونان، والفرس، معتمدة في ذلك الاستنتاج على تتبعها لعلم تطور الخط في النقوش – علم الباليوجرافيا – ورغم أن فرضيتها تلك لم تجد قبولاً في الأوساط العلمية، إلا أننا نشيد بأعمالها الجلية حول تاريخ اليمن القديم، التي تعد مرجعاً هاماً لكل مختص في هذا المجال، كما أنها ترأست البعثة الفرنسية التي قدمت إلى اليمن الجنوبي (سابقاً) عامي 74 – 1975م.

ونلاحظ أن مجمل تلك البعثات كانت غير منتظمة بسبب الظروف السياسية السائدة في المنطقة آنذاك، حتى قامت ثورة سبتمبر، وأعلنت الجمهورية عام 1962م في الشطر الشمالي (سابقاً)، فبدأ الاهتمام بالآثار، تحت إدارة (الهيئة العامة للآثار ودور الكتب)، جاء إليها العديد من البعثات من ألمانيا وإيطاليا وفرنسا، وقامت جامعة صنعاء بتأهيل الكوادر اليمنية في مجال الآثار. أما في الشطر الجنوبي (سابقاً) فإنه بعد الاستقلال قام المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، بتوقيع بروتوكولات مع البعثة الفرنسية، كما تم التعاقد في المجال عينة مع البعثة الإيطالية، ومن ثم السوفياتية.

وعلى ضوء تلك المعطيات الأثرية والنقشية، تواصلت الجهود العلمية وتعدد المشتغلون من العلماء والمتخصصين باللغويات، والعصور الحجرية والآثار، والتاريخ القديم، وخلال التتلمذ على أيدي رواد تلك الدراسات، ظهرت أسماء لامعة ما فتئت تقدم بحوثها حتى الآن.

الفصل الخامس

نظريات حول

التسلسل التاريخي لأدوار التاريخ اليمني القديم

علم الكرونولوجيا Chronolology

في
علماء
النقشب
اليمني
وليس
في ذل
حول
بعض
الأشو
يفهم
مع س
مدارس
1- ال
يتز
ظهر
المعين
والقتب
النقش
ويجب
وف
الجوف
(هوما
هامة
أما
يرى أ

1- هو
القديم"
القاهرة
2- ج

في القرن التاسع عشر وبالذات في الفترة ما بين (1870 – 1880م) – تمكن علماء اللغات السامية من فك رموز اللغة اليمنية القديمة وشرح النصوص النقشية التي توافرت لديهم، فتم التعرف على أسماء العديد من حكّام الممالك اليمنية القديمة، ومن ثم أخذوا ينظمون تلك الأسماء في قوائم حسب الأنساب، وليس استناداً إلى علم الخطوط القديمة، لم تكن دراسة الخطوط القديمة ممكنة في ذلك الحين، بسبب عدم وجود الصور الفوتوغرافية للنقوش، فوضعت دراسات حول التسلسل التاريخي، إلا أن نقطة الخلاف بين العلماء ظلت قائمة. فقد اعتمد بعض الباحثين في تحديدهم للتسلسل التاريخي على التعاصر السبئي مع الآشوريين، ولكن الصلة بين الممالك الثلاث: معين وقتبان وحضرموت والتي يفهم من النصوص النقشية أنها متعاصرة مع بعضها بعضاً من جانب وتتزامن مع سبأ من جانب أخر كانت موضوع خلاف حاد دفع بهم للانقسام إلى ثلاث مدارس:

1- المدرسة الألمانية:

يتزعمها (فرتز هومل **F. Homel**)، تعتمد على التسلسل التاريخي الطويل، وقد ظهر ذلك من دراسته التي صدرت عام 1893م، والتي استند فيها على النصوص المعينية، وأعتبرها أصلاً لغيرها من النصوص، وارجع (هومل) تاريخ المعينيين والقتبان، وكذلك الحضرميين إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد مستفيداً من النقش (**RES 2775**) وأما تاريخ السبئيين فيرجعه إلى القرن الثامن ق. م[1]. ويجب الإشارة إلى أن هذا التاريخ لم يعد معمولاً به.

وفي عام 1866 تمكن العالم الفرنسي (جوزيف هاليفي **J. Halevy**) من زيارة الجوف، ونقل أول أخبار علمية من آثار الجوف ونقوشه، معتمداً على نظرية (هومل)[2]. ومنذ تلك الفترة بدأت (معين) تحظى باهتمام العلماء، وتحتل مكانة هامة كدولة وحضارة.

أما العالم النمساوي (جلازر **Glaser**): من علماء مطلع القرن العشرين فإنه يرى أن قلة عناية المؤرخين العرب بدولة (معين) يعود إلى قدمها، فهي في رأية

1- هومل فرتز: التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية، الفصل الثاني من كتاب "التاريخ العربي القديم" ديتلف نيلسن وآخرون، ترجمة واستكمله: فؤاد حسنين علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1993م، ص62 –63.

2- جوزيف هاليفي: مرجع سابق.

أقدم الممالك اليمنية[1]. ورسخ العالم الإنجليزي الرحالة (سان جون فلبي. St. J Philpy)[2]. ذلك الاعتقاد في منتصف القرن الحالي، عندما نشر قوائم ملوك (معين)، وذهب إلى أن أقدمهم يرجع إلى القرن الثاني عشر ق. م. فأخذ كثير من العلماء برأي أصحاب التسلسل التاريخي الطويل.

ولهذا اعتبرت (معين) استثناءً إلى اعتقاد هؤلاء أقدم الممالك اليمنية وبقي هذا الاعتبار إلى فترة زمنية قريبة.

2- المدرسة الفرنسية:

تزعمتها العالمة (جاكلين بيرن J. Pirenne) التي اعتمدت على التسلسل التاريخي القصير، ففي دراستها المنشورة عام 1955م تحت عنوان: (الإغريق وسبأ)[3] ذهبت إلى أن الحضارة العربية الجنوبية تعود إلى القرن الخامس ق. م. وأم هذه الحضارة كانت نتيجة للتأثيرات القوية لليونان والفرس ولكي تدعم وجهة نظرها افترضت بأن الكتابات التذكارية العربية الجنوبية التي تميز عهد المكاربة أخذت من الكتابات الإغريقية البدائية في القرن الخامس ق. م، وأن أصول المواد الحضارية الثقافية العربية الجنوبية وخاصة في مجال العمارة والنحت ترجع إلى التأثيرات الإغريقية الفارسية. وأصرت على أن أصول المجتمع واللغة العربية الجنوبية يجب أن تكون مشتقة من المشكلة التاريخية لأصل حضارتهم، ورفضت القول: بوجود تأثيرات لكل ثقافات الشرق الأدنى القديم على جنوب شبه الجزيرة العربية قبل انبثاق الفترة اليونانية - الفارسية، ولقد أيد هذه النظرية بعض العلماء ورفضها بعضهم الآخر.

3- المدرسة الأمريكية:

يتزعمها العالم (البرايت W. F. Albright)، ويتفق معه عالم النقوش (جام Jamme) و (فان بيك Van Beek) من أعضاء البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان، فقد توصل هؤلاء العلماء إلى نتيجة بعد التنقيبات التي أجروها في كل من تمنع (هجر بن حميد)، ومأرب - مفادها أن أقدم أثر عليه في (تمنع) عبارة عن خشبة متفحمة تم فحصها بالإشعاع (كربون 14) يعود تاريخها إلى (852 ق. م) تقريباً.

1- Glaser E: Von Hodeida nach saná …, pp. 1-10, 33 – 48.

2- Pirenne J. "Paleographie des inscriptionss Sud – arabes contribution a' la chronologie et a' L histoir de Arabie du Sud Antique. Bruxelles (1956) .

3- Pirnne J: "La Grece et Saba "une nouvelle base pour la chronologie sud – arabe, dans me moires pre sentes par divers par divers savants l' academie des Inscrions et Belles – Lettres, I. XV , 1955, pp. 89- 196.

وكانت البعثة الأمريكية قد رفضت ما ذهبت إليه العالمه (بيرن Pirenne) بخصوص أبجدية العربية الجنوبية، من أنها ترجع إلى تأثيرات الأبجدية الإغريقية مع بداية القرن الخامس ق. م. وذلك استناداً إلى ما عثرت علية البعثة من كتابة مثل أقدم كتابة تذكارية كانت قد دونت على جرة كبيرة هي من أنقاض معروفة الطبقات، عثر عليها أسفل الخشبة المتفحمة المشار إليها آنفاً هنا، لذلك فإنها ترجع على أقل تقدير إلى القرن الثامن ق. م. أو القرن التاسع ق.م احتمالاً إن لم تكن قبل هذا[1].

وهناك معطيات أخرى تدعم هذه الرؤية، كدراسة الفخار الذي اكتشفته البعثة عينها، وبقايا منشآت الري التي اكتشفها (باون Bawen) من خلال دراسته لتراكمات الطمى على القاع، فأثبت (باون Bawen) بأن عمليات الأرواء في وادي (بيحان) ترجع إلى منتصف الألف الثاني ق.م، بل ربما تسبق هذا التاريخ وبين أيضا أنه كان هناك استيطان ثابت في الوادي في أواخر تلك الفترة[2].

والمدرسة الأمريكية تقر فكرة معاصرة الأشوريين للسبئيين، وفقاً لما جاء في النقوش الأشورية من ذكر لملوك سبئيين في القرن الثامن ق.م. وبداية القرن السابع ق.م، وهي إذ تعتبر هذا الأمر مطابقاً لنتائجها النقشية والأثرية المكتشفة في كل من (تمنع) (هجر كحلان) و مأرب (معبد أوام) أو (محرم بلقيس)، وعلى هذا فهي ترفض رفضاً باتاً التسلسل التاريخي القصير (لجاكلين بيرن).

ومع تعدّد تلك النظريات أصبح من الصعب أن نحسم هذا الخلاف، في ظل غياب كثير من المعطيات الأثرية والنقشية، إلا أننا اتبعنا في دراستنا هذه التسلسل التاريخي، الذي يكاد يكون متفقاً عليه في تحديد بداية عهد ملوك سبأ بالقرن الثامن ق.م. أما بالنسبة للتسلسل التاريخي (لملوك سبأ وذي ريدان) فقد قدم الباحثان: الفرنسي (كريستان روبان Ch. Robin)، (محمد عبد القادر بافقيه) دراسة مستفيضة تحدد التسلسل التاريخي لملوك تلك المرحلة.

---

1 -Albright W. F. The Chronology of ancient South Arabia, in the loght of the first campaign of excavation Qataban, in (PASOR), 119, Baltimor, 1950, pp. 5 – 15.
2 - Bawen R. le Baron: Irrigation…, p.199 – 202.

الجزء الثاني

العصر الأول من التاريخ السياسي لليمن القديم

حضارة صيهد

الفصل الأول:

أولاً: مدخل إلى العصور التاريخية

ثانياً: دولة سبأ

الفصل الثاني: دولة حضرموت

الفصل الثالث: دولة قتبان

الفصل الرابع: دولة أوسان

الفصل الخامس: دولة معين

الفصل الأول

أولاً: مدخل إلى العصور التاريخية

ثانياً: دولة سبأ

أولا
و
الإط
المر
العص
و
هذا
أهم
-1
-2
-3
-4
-5
العص
-1
* ص
رملي
حضر
الغربي
2 أنظ

أولاً: مدخل إلى العصور التاريخية

وفقاً للأحداث التاريخية الهامة التي أثرت على مسار التاريخ يمكننا أن نقسم الإطار الزمني لتاريخ اليمن القديم إلى عصرين رئيسيين متداخلين يصعب على المرء أن يضع خطأ فاصلاً بينهما.

العصر الأول: حضارة صهيد[1] (رملة السبعتين اليوم)

ويبدأ من ضحى التاريخ في مطلع الألف الأول ق.م وحتى أواخره، وقد أمتد هذا العصر (1000) ألف عام تقريباً.

<u>أهم مميزات هذا العصر:</u>

1- تمركز الحضارة في المنخفض الانكساري.
2- ازدهار طريق اللبان، واحتكار اليمنيين لذلك الطريق التجاري، الذي يبدأ من الموانئ الجنوبية وحتى ميناء غزة.
3- الهجرة السبئية إلى البر الأفريقي حيث أقاموا أسس حضارة جديدة هناك.
4- **شهدت المنطقة إزدهاراً حضارياً في جميع المجالات، وبذلك اكتسبت سمعة عالمية فكتب عنها الكلاسيكيون منذ القرن الخامس ق. م، وتحدثوا عن ثرائها العظيم[2].**
5- أثارت أخبار ذلك الثراء العظيم الذي كان ينعم به اليمن القديم غيرة وأطماع الدول العظمى آنذاك، فخطط الرومان لغزو اليمن والسيطرة على بلاد اللبان، وعلى الطريق البري. ففي عام 24 ق.م تحركت الحملة الرومانية إلى جنوب شبه الجزيرة العربية.

العصر الثاني: حضارة المرتفعات الغربية

1- **ضعف مراكز الحضارة اليمنية في الشرق، أي انتقال الثقل السياسي من أطراف الأودية الشرقية التي تصب في "رملة السبعتين" إلى المرتفعات الغربية حيث القيعان الفسيحة والأمطار الغزيرة، إذ جاء ذلك نتيجة حتمية لازدهار الطريق البحري وضعف الطريق البري.**

---

* صهيد: اسم جاء في النقوش يقصد به "رملة السبعتين" اليوم، وهو عبارة منخفض انكساري رملي واسع يمتد غرباً من (مأرب) على مسافة (200) ميل، ويستمر في الامتداد شرقاً حتى وادي حضرموت، تصب في هذا المنخفض العديد من الأودية التاريخية الهامة، القادمة من المرتفعات الغربية، كوادي (أذنة) و (الجوف) و(بيحان) و(مرخة) و (عرمة) و (المعشار) ...

2 أنظر الفصل الثالث، "المصادر الكلاسيكية".

2- بروز دولة بني ذي ريدان (حمير)، بعد أن ازدهرت الموانئ بفضل النشاط الاقتصادي الكبير.

3- نشوب الصراع السبئي الحميري.

4- بروز سلطة الأقيال والأذواء بروزاً عظيماً بعد أن قلت هيبة السلطة المركزية في مأرب.

5- ظهور أطماع القبائل البدوية المتنقلة عبر الصحراء في حواضر الممالك اليمنية ومحطاتها التجاري، بعد أن تضرر أهل البادية من نقص الموارد لديهم، فأصبحوا ينقضون على ثغور الدويلات اليمنية.

6- بروز دولة أكسوم في الحبشة، وكان قيامها نتيجة لاستيطان سبئي دام قروناً هناك.

7- تطور اللقب الملكي بما يومئ إلى توسع الدولة المركزية بقيادة حمير.

8- ظهور الديانات التوحيدية: اليهودية والمسيحية، والتخلي عن الديانات الوثنية.

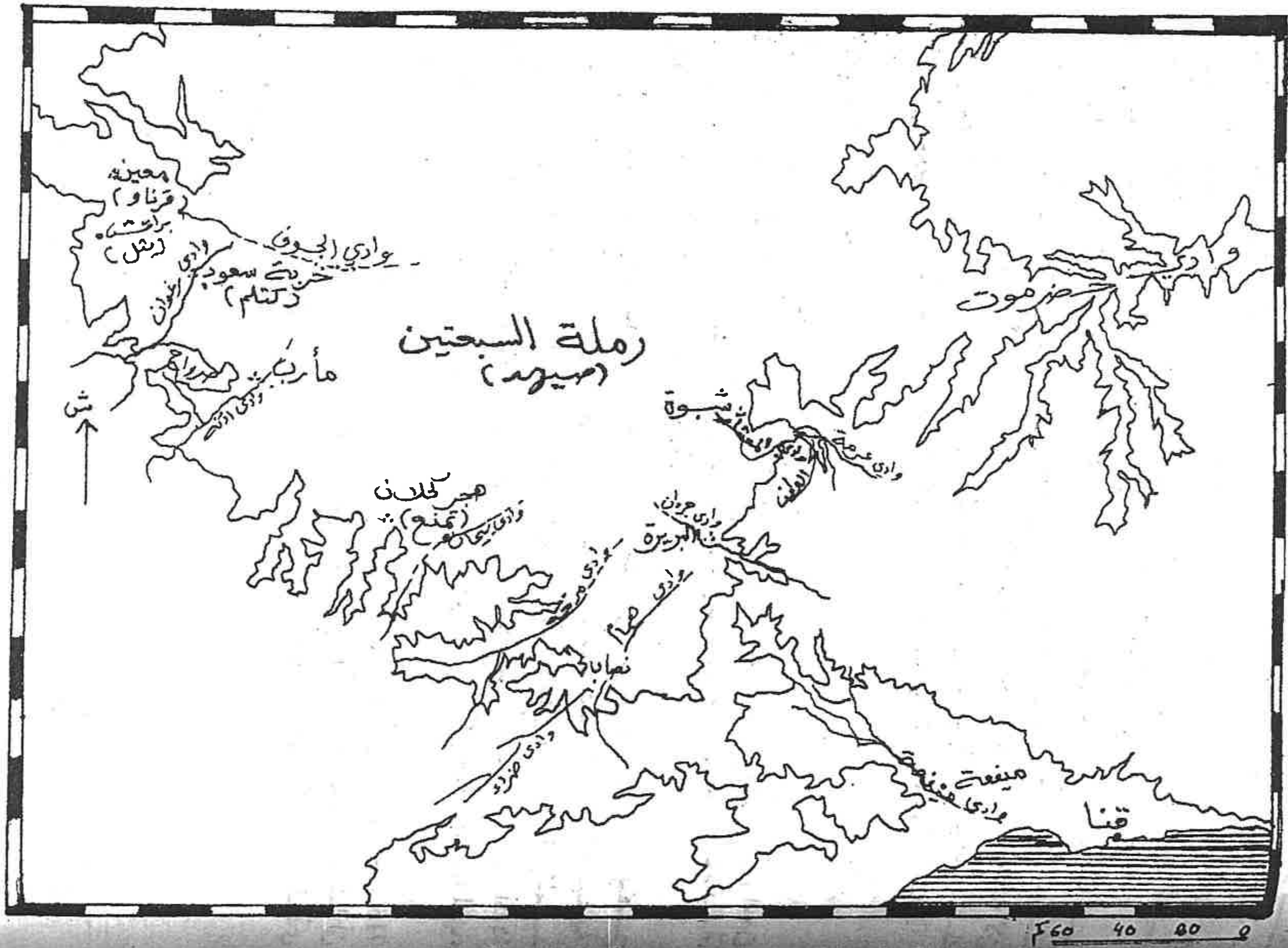
9- الأطماع الأجنبية في اليمن، منها الحبشة أولاً: والفارسية ثانياً، فكانت تلك الأطماع قد خلصت إلى سيطرة الأحباش والفرس على اليمن حتى مجئ الإسلام.

العصر الأول: "حضارة صيهد"

إذا ألقينا نظرة فاحصة على الخريطة التاريخية لليمن القديم، نجد أن عواصم الممالك اليمنية قد قامت وازدهرت على منافذ الأودية الشرقية القادمة من المرتفعات الغربية المطلة على الصحراء حول مفازة (صيهد) رملة السبعتين اليوم.

وقد أطلق عالم النقوش (بيستون Beeston) مصطلح "ثقافة صيهد" على الأدوار الأولى للحضارة اليمنية، وقد أتبعنا ما ذهب إليه. فقد نهضت (قرناو) العاصمة المعينية في الجوف وقامت (مأرب) العاصمة السبئية في وادي (أذنة)، كما قامت (تمنع) العاصمة القتبانية على وادي بيحان، وعند نهاية وادي (المعشار الذي هو امتداد لوادي (العطف) و(عرمة) قامت (شبوة) عاصمة حضرموت (أنظر خريطة رقم3).

وقد يتساءل المرء: لماذا لم تنشأ مراكز الحضارة في أدوارها الأولى على السهول الغربية من اليمن؟ تلك السهول التي تنفذ إليها الأودية الأكثر غزارة بالمياه إذا ما قورنت بالأودية الشرقية؟!



خريطة رقم (3) المراكز الحضارية حول رملة السبعين (صيهد)

أقول – رداً على ذلك: إن قيام العواصم على أطراف الأودية الشرقية لم يأت جزافاً ولم يكن صدفة، إنما كان لغرض السيطرة على الطريق التجارية العالمية - طريق البخور - تلك الطريق التي تبدأ من الموانئ الجنوبية مروراً بالعواصم اليمنية، ممتدة شمالاً باتجاه الشام حتى تصل إلى ميناء (غزة) على ساحل البحر المتوسط، فكانت هذه الطريق هي شريان الحياة الاقتصادية في تلك العصور.

وإذا ما نظرنا إلى تضاريس المنطقة ذاتها، وهي ترتقي في صعودها إلى الشمال، بدءاً من البحر الأحمر، نجدها على شكل حواجز وعرة تنحدر تدريجياً نحو الصحراء الداخلية الكبرى مخلفة وراءها أرضاً صلبة منبسطة، صالحة لأن تكون للقوافل طريقاً ممهدة. وكان لهذه التضاريس شأن عظيم في جعل تلك المناطق مهيأة لتأسيس ما عهدناه من تلك المدن الحضارية في بقاعها الرائعة.

ثانياً: دولة سبأ

أولاً: أقدم ذكر لدولة سبأ

لقد أصبح واضحاً من دون أدنى شك أن دولة سبأ هي الدولة الأولى في اليمن القديم، حيث كانت قد حظيت بشهرة عالمية لم تتوافر لغيرها من الدول اليمنية، ويمكن إرجاع ذلك إلى العوامل التالية:

- ورد ذكر قبائل سبأ في التوراة التي اعتبرتهم من أحفاد سام، كما يتضح مما جاء في التوراة أيضاً بأن أرض " شبا" المقصود سبأ كانت لها علاقة تجارية مع العبرانيين كما جاء في (سفر حزقيال 24/27)[1]: قنة وعدن تجار شبأ وكلمد وأشور هم تجارك، كما ذكرت التوراة زيارة ملكة سبأ للملك سليمان، والتي أكدها القرآن الكريم في سورة (النمل)، وسورة (سبأ)، إلا أنه لم يذكر اسماً محدداً لها، غير أن المفسرين ذكروا أنها تسمى "بلقيس".

خلد ملوك آشور* في نقوشهم أسماء لملوك سبئيين، فقد ذكر أنه في عام 715 ق. م أرسل مكرب سبأ (يثع امر) هدايا للملك سرجون الثاني ملك آشور، كما أن ذكر المكرب السبئي (كرب آل) جاء في نقش للملك الآشوري (سنحاريب) والذي يرجع تاريخه إلى عام 685 ق. م.

---

1 التوراة، سفر التكوين الاصحاح، 10 الآيات، 26، 28، سفر حزقيال الاصحاح 27 الآية 24.

*. ارجع للفصل الثالث الكتابات الآشورية.

ومن النقوش الآشورية هذه يتبين لنا أن أقدم تنويه للسبئيين يعود – تقريبا – إلى ما بين أواسط القرن الثامن ق. م، وبداية القرن السابع ق.م[1] وهذا أمر لا جدال فيه.

تحدث الكلاسيكيون كثيرا عن سبأ وثرائها، فقال (بليني Pliny): "بأنها أشهر من عرف من القبائل العربية". أما (سترابو Strabo) فقد أفرد للسبئيين فقرة مطولة، وصف فيها بلاد سبأ، وذكر أنهم شعب كبير التعداد وبلادهم شديدة الخصوبة وأنه بفضل التجارة صاروا أغنى القبائل، حيث كانوا يمتلكون كميات من المقتنيات المصنوعة من الذهب والفضة، ويقتنون الأرائك والآنية، كما أن منازلهم بادية الفخامة، إذ كانوا يكسون أبوابها وجدرانها وسقوفها بالفسيفساء الذهبية والفضية والعاجية المطعمة بالأحجار الكريمة![2]

وكان الكيان السياسي المتطور لدولة سبأ قد استمر إلى ما قبل الإسلام ومجيء الأحباش، وعلى الرغم من دخولها في إطار الدولة الحميرية، إلا أن اسمها بقي أساسا لاسم الدولة المركزية.

ثانيا: أرض سبأ

تمركزت الدولة السبئية في شمال الهضبة الغربية لليمن، وضمت كل المرتفعات والهضاب، مثل أرض (أرحب)، و (قاع البون)** ، وامتدت شمالا حتى (الجوف). ومن الصعب رسم حدود سياسية لدولة سبأ، ففي فترات قوتها توسعت لتشمل مناطق واسعة ربما غطت اليمن كله، ولكن في فترة ضعفها لا يبعد اتساعها أكثر من المناطق الشمالية للهضبة الغربية، وبالإمكان أن نحدد أرض سبأ بالأقاليم الجغرافية التي كانت تعبد الإله "المقه" (أنظر خريطة رقم 4).

وقد اتخذت دولة سبأ كلا من (مأرب) و (صراوح) و (صنعاء) عواصم لها في فترات زمنية متفاوتة.

ثالثا: أشهر مكارب وملوك سبأ

أضفي على سلطة أوائل حكام سبأ لقب "مكرب" وقد اختلف الباحثون كثيرا في تفسير الكلمة "مكرب" فمنهم من يرى أن المقصود "مقرب" أي التقرب إلى الإله،

1- Lundin A.G: "Gosudarstvo Mukarribov Saba" (Sabejskij e'ponimat Moskva), (Akademija Nauk SSSR Institut Vostoko – Vedenija) 1971, PP. 98 – 103.

2- Groom, op. – cit , p 80 - 88

** قاع البون: من القيعان الواسعة للهضبة الغربية يمتد شمال صنعاء، يقول (الهمداني): أوسع قيعان نجد اليمن هو حقل جهران والرحبة "صفة جزيرة العرب"، تحقيق: محمد بن علي الاكوع، دار اليمامة والنشر، الرياض، 1974م ص 243.

وأنّ الحكّام أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب عندما كانوا يجمعون بين السّلطة الدينّية والزمنيّة، أي بين الكهانة والملك، ومنهم من يرى أنّ لفظ "مكرب" أطلق على حكام سبأ بعد أنّ ضمّوا إلى دولتهم قبائل أخرى على شكل اتحاد قبلي، وهذا التفسير يتقارب مع ما جاء في المعجم السبئي فكلمة "مكرب" تعني رئيس مجموعة قبائل اتحادية[1]، ومهما يكن من أمر، فإن النقوش القديمة قد أطلقت لقب مكرب على عدد كبير من الحكام الذين يعتبر عهدهم أقدم عهود تاريخ سبأ، والدّليل على ذلك أنّ نقوشهم قد كتبت بالخط الحلزونيّ الذي أعتبره علماء الخطوط من أقدم الخطوط السبئية.

ويكاد يجمع الباحثون على أنّ أقدم النّقوش السبئية التي ورد فيها لفظ (مكرب) لا تتجاوز القرن الثامن ق.م. وقد جعل (البرايت Albright) تاريخ أقدم مكرب سبئي حوالي (800 ق.م)[2] ، وهو ما ذهب إليه (فلبي Philby) مشيراً إلى إن اسم ذلك المكرب هو (سمة عليّ) من غير نعت أو لقب. وتجب الإشارة إلى أنّ هذا التّاريخ المحدّد لا ينفي وجود السبئيين في تلك الأراضي المجاورة منذ وقت أبعد من ذلك التاريخ بكثير، ذلك ما أثبتته المعطيات الأثريّة الحديثة[3].

ومن الصعب تتبع كلّ أسماء مكربي سبأ، الذين ذكرتهم لنا النّقوش، وذلك لشح المصادر النقشيّة والأثرية التّي تتحدّث عن إنجازاتهم، لهذا نكتفي بذكر أبرز مكربي سبأ، ممن حفظت لنا الآثار والنقوش إنجازاتهم السيّاسيّة، والحضاريّة.

أ - المكرب يدع إل ذرح بن سمة عليّ:

يأتي المكرب (يدع إل ذرح) بعد (سمة عليّ) الذي لا نعرف شيئاً عن حياته، سوى اسمه الذي جاء في نقش (Glaser 1147). أما عن (يدع إل)، فقد خلدته كثير من النّقوش منها: نقش (Glaser 484) - التي تتحدث عن الإنجازات التي قام بها، خاصة بناء المعابد، فهو الذي أقام جدار معبد (اوام)، الواقع جنوب شرق مأرب والمخصص لعبادة الإله (المقه)، وبهذه المناسبة قدم القرابين للإله عثتر، كما سوّر معبد (المقّه) بصرواح، وإنشأ معبد (معرب) في قرية المساجد*، من أجل (المقه) أيضا.

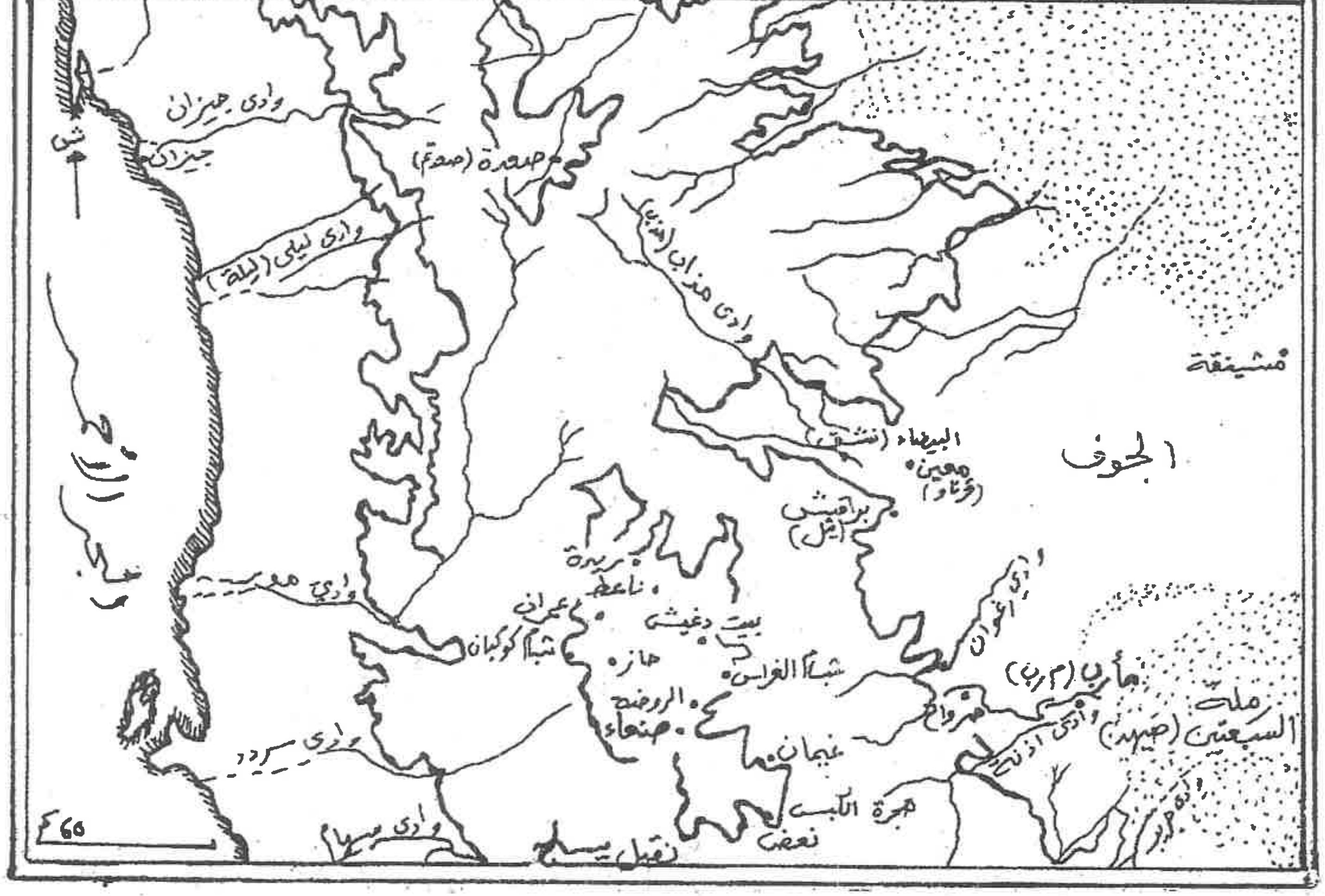
---

1 المعجم السبئي: مادة: كرب، ص 85.

2- Albright, W. F: The Chronology .., PP 5 - 15

3- A. de Maigret, and, ch. Robin: - cit.

* تقع قرية المساجد ببلاد مراد، على بعد 27 كم تقريبا، جنوب شرق مأرب.



خريطة رقم (4) أرض سبأ منذ مطلع الميلاد "عهد ملوك ســبأ وذي ريــدان"

وتذكر النقوش كذلك إنجازات أخرى للمكرب (يـدع إل) كتحقيقـه للتحـالف والاتحاد بين قبائل شعبه، وما حققه من انتصار حربي أدى إلى توسـيع رقعـة الدولة، وبما أن هذه النجاحات كانت قد تمت له بفضل الآلهـة: (المقـه) و (ذات حميم) و (عثتر) راح يعمل من أجلها على توسيع مساحات معابدها، وإحاطتـها بالأسوار.

ب - المكرب سمة علي ينف بن ذمر علي:

يرجع (البرايت) عهد هذا المكرب إلى القرن الخامس ق.م. أما (قلبي)[1] فـيرده إلى منتصف القرن السابع ق.م. والمكرب (سمة علي ينف) أقدم من ورد اسـمه على سد مأرب لهذا يعد أول مكرب ساهم في تأسيس السد. إذ جاء أسـمه فـي نقش (Glaser 514) أنه ثقب الحجر، وفتح ثغره فيه لمرور المياه منها إلى سـد (رحبم) "رحب"، لتسيل إلى منطقة "يسرن"، وقد ورد إسم (رحبم) في كتابة أخـرى من الكتابات الخاصة بهذا السد. أما "يسرن" فهي المنطقة التي تسيل إليها الميـاه من فرع (رحب) وهي مسيل وادي (أذنه).

ج - المكرب يثع أمر بين بن سمة علي ينف:

أكمل المكرب (يثع) ما بدأه والده فقام ببناء الجزء الجنوبي من السد، فوسـع بذلك رقعة أرض (مأرب) الزراعية وزاد في ثروة هذه المدينـة التـي أصبحـت عاصمة سبأ، وكان سد (حبيض) من أهم الأعمال الهندسية التي قام بـها (يثـع أمر). ومن إنجازاته الأخرى: بناء سور وحصن، وقلعة (حرب) أي: حريب كمـا ورد في نقش (Philpy 77)، وقد ورد اسمه في نقوش أخـرى مقرونـا ببعـض المنشآت العمارية[2].

وفي عهده شهدت الدولة السبئية نشاطا واسعا على المستوى الخارجي، فقـد تم الاتصال بين السبئيين وشعوب الشرق القديم، ومما يؤكد ذلك نقش ملك أشـور (سرجون الثاني - 715 ق.م) عندما ذكر أسم (أتي أمر) الذي قدم لسرجون هدية من الذهب، والأحجار الكريمة، والأعشاب، والجمال. ويرى كثير من المؤرخيـن أن المقصود هو المكرب السبئي (يثع أمر بين).

1- Philpy, H. St john : "the Background of L ' Islam " , Alexandria. 1947 , P. 32.

2 جواد علي: المفصل ... جـ 2، ص 217.

د – المكرب كرب إل وتر بن ذمر علي:

أحد مكاربة سبأ وأكثرهم شهرة، جاء ذكره في النص الآشوري باسم (كريبي ايلو) الذي خطه الملك الآشوري (سنحاريب) في حوالي عام 685 ق.م، تحدّث فيه عن هدية كان قد أرسلها إليه هذا المكرب، ويتفق كثير من الباحثين على أنّه هو نفسه الملك السبئي (كرب إل وتر)، صاحب نقش النصر = RES 3945 Glaser) 1000) على هذا فأنّ حكمة يعود إلى القرن السّابع ق.م.

يعدّ نقش النّصر الذي خطه المكرب (كرب إل وتر) من أطول وأهم النقوش السبئية على الإطلاق، ويتضح انّة كتب في فترة شهدت فيها المنطقة ازدهاراً حضارياً على جميع المستويات، فقد أنشئت حينها العديد من المعابد، والسدود والقصور، وتوسّعت الأراضي الزراعيّة، وعمل السبئيون على توطيد علاقاتهم بالعالم الخارجيّ، فجاءت سياسته التّوسعيّة تكملة للسّياسات السّابقة، ورغبة في مزيد من الهيمنة والرفعة، وكان نقش النصر قد سجل على واجهة مبنية من كتل ضخمة من الحجر في معبد (المقه) بصرواح.

ويستهل (كرب إل) نقشه هذا بذكر ما أوجده لمدينته من منجزات، حققتها بفضل آلهتها فأشار إلى الأعمال الإنشائية التّي أقامها، كأعمال الري المختلفة لغرض توفير الرخاء لبلده ذاكراً أسماء السّدود والحواجز والقنوات، ثم تحدّث عن نشاطه العسكري وانتصاراته، فوصف غزواته التي شنها على مناطق شاسعة أمتدّت من المعافر (الحجرية اليوم) غرباً حتى (عرمة) و (ميفعة) شرقاً، ومن (ساحل) أبين جنوباً إلى أطراف (نجران) شمالاً.

ويذكر الانتصارات التي أحرزها بعد أن أخضع أغلب المناطق، ويتضح من هذا النقش أنّ الخصم الأساسيّ للمكرب السبئي هو دولة (أوسان) التي كانت قد شكلت بتوسعها خطراً يهدّد ليس الدّولة السبئية فحسب بل أيضاً جارتيها: قتبان وحضرموت لذلك نجد (كرب إل) يكسب تضامن الدولتين، وبفضل نقش النصر أصبح لدينا صورة واضحة للمساحة الجغرافية التّي كانت تحتلّها مملكة (أوسان) وما وصلت إليه من ازدهار حضاريّ في عهد ملكها (مرتع).

وبعد الانتصار الكبير الّذي حققه (كرب إل) أعاد توزيع الأقاليم التّي خضعت له، ولا سيّما قبيلة (فيشان)* كما تنازل عن بعض الأراضي لدولتي قتبان وحضرموت، ربما كان ذلك تعويضاً لهما عن اعتداء (أوسان) على أراضيها في الماضي.

---

* فيشان: قبيلة كبيرة جاء ذكرها في النقوش مع سبأ (Ja 558) (Ja 639)، كانت قد أتخذت من (شبام أقيان – كوكبان) مركزا لها، أنظر الارياني: نقوش مسنديّة، ص 170 – 171.

وقد اتبع (كرب إل) في تلك المعارك القسوة، فأكثر من القتل والسّبي، واحرق المدن، وسلب مقتنياتها الثمينة ولإضعاف القوة الاقتصاديّة لخصمه فرض أنواعا مختلفة من الغرامات، ثم فرض جزية وهي مبلغ يتكرر دفعه سنوياً، واستخدم السّكان كأجراء أو مستأجرين فيها، كما أزال أسوار المدن لاضعافها، وقام بإحلال السبئيين في بعض المدن والأراضي المهزومة[1].

وأصبح هذا الرصيد من الغنائم مصدراً لنمو قوّة نفوذ سلطته، فجمع قبائل سبأ، وحدّد ميثاقها، وقارب بين آلهتها حيث جاء في النقش "هذا ما ملكه (كرب إل بن ذمار عليّ) مكرب سبأ للمقة وسبأ في عهد حكمة، وذلك يوم أخذ العهد على الناس ليكون لكلّ قوم منهم إله، وراع، وميثاق، والتزام (ايّ: معبود خاص بهم يعبدونه، وراع يحميهم، وحبل يعتصمون به ويؤيدونه)، وضحّى لعثتر بثلاث ذبائح وواحدة للآلهة (هوبس) .. !

إن هذه السّياسة التي أتخذها المكرب (كرب إل) في ضمّ الأراضي لدولته في القرن السابع ق.م، بمثابة المحاولة الأولى من نوعها في التاريخ القديم لشبه الجزيرة العربيّة لإرساء دعائم دولة مركزيّة موحدة.

وعلى الرّغم من شح مصادرنا عن مرحلة ما بعد غزوات (كرب إل) فإنه يبدو جليّا أنّ المنطقة شهدت نهضة حضاريّة عظيمة على المستويين: المحليّ والخارجيّ.

أما أسماء الملوك الذين جاؤوا بعد (كرب إل) فهم كثيرون وللأسف لم تقدّم لنا النّقوش تفصيلات كاملة عن أعمالهم، وما حدث من تطورّات تاريخيّة في فترة حكمهم. وقد بذل علماء النقّوش جهوداً لتجميع تلك الأسماء وترتيبها معترفين بوجود فجوات في التسلسل الزّمنيّ الذي أقترحوه.

ومن ضمن الأسماء البارزة لملوك سبأ نذكر (سمة عليّ ذريح) "RES 3603"، ثم إبنه (إلي شرح) (CIH 374) (Glaser 485) الذي أقام جدار معبد المقّه، ورمم أبراج هذا المعبد، وحفر الخنادق ووفى بجميع نذوره التي عاهد إله "المقّه" على الوفاء بها. ثم جاء بعد (إلي شرح) العديد من الملوك الذين لا تقل إنجازاتهم عمّن سبقوهم.

أمّا ما يميّز مرحلة ملوك سبأ على المستوى السّياسي فهو الصراع القتبابي – السبئي، فقد دخلت قتبان في اشتباك مع سبأ وألحقت بها ضرراً كبيراً. وأمّا على المستوى الحضاريّ فقد برز العديد من الإنجازات التي أقامها ملوك سبأ: كبناء

1 بافقيه: تاريخ اليمن ... ص 61.

التحصينات حول العاصمة، إذ تم بناء سور جديد لمدينة مأرب في القرن الثاني ق.م، لحماية المدينة التي أخذت تنمو وتتوسع بسرعة، واستكمل بناء سور معبد الإله "المقه" في مأرب، ونشطت حركة إصدار القوانين الخاصة بوضع المستوطنين في المدينة التابعة لها.

رابعا: آثار دولة سبأ:

أولا: المدن السبئية:

1 - مأرب:

هي العاصمة السبئية، ورد اسمها هذا في النقوش مكتوبا بخط المسند على نحو (م ر ي ب)، وكانت هي المدينة الوحيدة التي ارتبط اسمها بسبأ، كما هو واقع الحال في النقوش ذاتها، فكان غالبا ما يطلق عليها (مأرب سبأ) وتطلق النقوش أيضا، على ملك سبأ "ملك مأرب".

وتلكم أطلالها الباقية، وآثارها الماثلة في الضفة اليسرى من وادي (أذنة)، تدلنا على ما كانت عليه المدينة قديما من كبر وضخامة، إذ كانت مساحتها تزيد على الكيلومتر المربع، وكان يحيط بها سور دائري عرضه متر واحد تقريبا، وله ثمانية أبواب موزعة بانتظام على كافة الجهات.

وكان لموقع (مأرب) الجغرافي - على مشارف الصحراء - أهمية استراتيجية عظمى، مما جعلها تتحكم بالطريق الرئيسية للتجارة، تلك الطريق التي كانت تعرف يومها "طريق اللبان" حيث غدت مأرب - حينها - مركزا تلتقي عنده المسالك المختلفة لهذه الطريق التي بفضلها ضمن السبئيون موردا اقتصاديا ضخما من الضرائب.

وكان أيضا لموقعها الطبيعي على وادي (أذنة)، شأن عظيم، جعل السبئيين يستغلون مياه هذا الوادي ايما استغلال، فراحوا لذلك ينشئون سد مأرب الشهير، فتوسعت رقعة أراضيهم الزراعية، فكانت لهم - عندئذ - من انتاجها الوفير ريع غزير، وخير كثير.

أ - تخطيط المدينة وتسويرها

كانت المدينة قد خططت على شكل مربع مستديرة أركانه (على هيئة نوبات)، ومن ثم حوطت بأربعة حيطان، في منتصف كل منها باب، ونرى أن باب مدخلها الغربي المسمى ب (باب المدينة)، ما برح قائما حتى يومنا هذا أما بوابات الجهتين الشمالية والغربية فلم يعد شيء ظاهر منها إلا أطلال من بقاياها، وأما سور المدينة القديم: إذا ما اقتفينا آثاره، فسنجدها ماثلة للعيان في مواضع كثيرة حول المدينة، خاصة في الجانب الغربي منها، إذ نرى جدران السور الحجرية،

وبوّابته القديمة قائمة، حتى أنّ ارتفاعها يصل إلى 90 سم تقريباً وهنـــاك علـى السور عينه تبرز عدداً من النقوش قام بنسخها مجموعة من علماء الآثار، مـن أبرزهم: (هاليفي) و (جلازر)، و (توماس أرنو) الذي زار موقـع المدينـة عـام 1836م، وكشف لنا حينها عن شيء من آثارها ونقوشها[1].

ومن بعد هؤلاء زارها من المهتمين – أيضاً – بالآثار كل من: (أحمد فخـري) عام 1947م، و (جام) في الأعوام (1950 – 1953)، و (كريستيان روبـان) عـام 1975م، وقد سجّل لنا هذا الأخير شيئاً ممّا لاحظه على بقايا تلك الآثار والنقـوش التي اندثر أغلبها، أو أنطمر.

وإذا ما عدنا لتفحّص البقية الباقية من تلك النقوش، نجد أن أغلبها قـد أكـل عليه الدهر وشرب حتى عفا عنه الزّمن تماماً وما ظل سليماً منها أخذ يتعـرض باستمرار للتخريب عمداً[2]، وللتدمير عنوة من أولئك الذين يقومـون – حاليـاً – بنقل الكتل الحجريّة القديمة لبناء منازل حديثة لهم.

ب – (سلحين) الملكيّ:

ورد ذكر هذا القصر في كثير من النقوش منها ذلك النقش (ارياني 14) الـذي يعود إلى عهد الملك السبئيّ (شعر اوتر) القرن الثالث الميلادي تقريباً، وفيه ذكـر هذا القصر مع ذكر قصر (غمدان) الشهير. ويحكي لنا هذا النقـش: أنّـه عنـد مجيء الحميريّين إلى (مأرب)، سرعان ما تحققت للقب الملكيّ صيغته التّوحيديّـة المتمثلة بعبارة (ملك سبأ وذي ريدان)، التي تثبّت بصورتها النهائية حينما وصـل الملكان: (ياسر يهنعم) وابنه (شمر يهرعش) اللذان سارا مـن القصـر الملكـي (ريدان) (بظفار) العاصمة الحميريّة، إلى (سلحين) (بمأرب) العاصمـة السـبئية لتسلّم مقاليد الحكم هناك.

وعلى الرّغم من أن إسم (سلحين) قد تكرر ذكره في نقوش شتّى، وفي فترات زمنية مختلفة، إلاّ أنّ المهتمين من علماء الآثار لم يتمكنوا من تحديد موقع هـذا القصر، وإن ذهب نفر منهم إلى القول بأن التّلّ الذي تتموضع عليه (قرية) مأرب

1- أحمد فخري: "رحلة أثرية إلى اليمن"، ترجمة: هنري رياض، د. يوسـف محمـد عبـدالله، مراجعة عبد الحليم نور الدين، وزارة الثقافة والاعلام، (مشروع الكتـاب 21 (2)، الجمهوريـة العربية اليمنيّة، (1988) ص 115.

2- Robin: " Resultats epigraphiques et archeologiques de deux brefs sejours au republique Arabe du Yemen ". dans, Semitica XXVI, 1976, pp. 180 - 182.

حاليا، هو عينه موقع القصر الملكي (سلحين)[1]. أما (الحسن الهمداني) فيذكر في كتابه (الاكليل) أنه كان في مأرب ثلاثة قصور، هي: سلحين، والهجر، والقشيب[2].

ج- معبد الإله (المقة) بيت (أوام)[3]:

ورد في النقوش أن معبد المقه، يقع على بعد أربعة كيلو مترات إلى الجنوب من مأرب على الجانب الآخر من وادي (أذنه). وكان هذا المعبد واحدا من أهم المعابد السبئية القديمة التي شيدت للإله (المقه) الذي هو (بعل أوام) أي: "سيد أوام".

وقد درج المسلمون يطلقون عليه (محرم بلقيس)، ويبدو أنهم عمدوا إلى هذا تأثرا بما جاءت به الروايات عن الملكة السبئية التي عرفت لديهم باسم (بلقيس).

ومع مرور الدهور أخذت الرمال تغطي أجزاء كبيرة من المعبد الذي تصفه البعثات الأثرية بأنه بيضاوي الشكل، يتموضع بين تلين من الحجر الجيري، ومدخله الرئيسي كائن في الجهة الشمالية الشرقية، تتقدمه ثمانية أعمدة من الجرانيت متراصة في صف متناسق[4].

د- المقبرة (مقبرة مأرب):

وخلال عامي 1951 – 1952م كانت تنقيبات البعثة الأمريكية في مأرب قد أسفرت عن اكتشاف عظيم – إضافة إلى ما اكتشفته من آثار المعبد السالف الذكر – تمثل هذا الاكتشاف بعثورها على مقبرة كبيرة في المنطقة ذاتها[5]. وكان (هاليفي) قد سبق وأن أشار إلى هذه المقبرة[6].

ويلاحظ المرء أن موقع هذه المقبرة، يحتل الجانب الشرقي لحائط المعبد البيضاوي، ومن خلال ما تم العثور عليه فيها من آثار برزت أهميتها التاريخية من حيث إنها تحوي في طيها قبورا لشخصيات تاريخية ذات قدر جليل عند السبئيين القدماء، وهي شخصيات تنتمي للسلالات المالكة في سبأ بصلات من القرابة والقربى، ناهيك عن أن المقبرة ذاتها تتكون – على الأقل – من حجرتين

1- Bafaqih. M: "L' unification du Yemen antique, La lutte entre Saba-Himyar et Hadramaut, du I er au III er siecle de l'ere chretienne" Paris 1990, P. 81 – 90.

2- الهمداني: الاكليل، جـ2، تحقيق الاكوع، ص 317.

3- أوام: مربع تابع لديار عشيرة (مرثد) السبئية التي انحدر منها كثير من ملوك سبأ.

4- بول جينية: "ملاحظات على أثار جنوب الجزيرة"، دراسات يمنية، العدد 27، صنعاء (1987م)، ص109، 138.

5- Albright. F.B. et Lebaron Bowen --- op. Cit, P. 287 – 295.

6- جوزيف هاليفي، مرجع سابق، ص 190.

غائرتين تحت الأرض، كلاهما تضمان من الدواليب ما يقارب (160)، جميعها داخل الحائط، مرصوفة في أربعة صفوف، كل منها فوق الآخر.

وكانت الآثار المكتشفة في هذا الموضع مطمورة تحت الرّمال الكثيفة المتراكمة، وممّا عثر عليه من هذه الآثار أيضاً:

- قطعة من البرونز مشكّلة تماماً على هيئة قدم لثور صغير.
- أربعة تشكيلات نحتيّة لرؤوس رجال مصنوعة من الرخام.
- تمثال صغير من الطّين الصلب، وغير ذلك من الملتقطات الهامّة.

هـ- سد مأرب:

حظي سد (مأرب) بشهرة واسعة، خاصة وأنّ القرآن الكريم قد ألمح إليه إلماحاً عند حديثه عن السبئيين عندما جرف سيل العرم ديارهم، وذلك في قوله تعالى: "لقد كان لسبأ في مسكنهم آية: جنتان عن يمين وعن شمال كلوا من رزق ربكم، وأشكروا لهُ، بلدة طيّبة ورب غفور* فأعرضوا، فأرسلنا عليهم سيل العوم وبدلناهم بجنتيهم جنتين. ذواتي اكل خمط وأثل وشى من سدر قليل. ذلك جزيناهم بما كفروا، وهل نجازي إلا الكفور* وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة، وقدرنا فيها السّير، سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين* فقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا، وظلموا أنفسهم، فجعلناهم أحاديث، ومزقناهم كلّ ممزّق إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور"[1].

بعد ذلك نجد أخبار سدّ مأرب تتصدر أحاديث الاخباريين، وكتب المؤرخين[2]، فامتزج وصفهم للسدّ بالخيال والأساطير، وأبرز هذه الأخبار التي أوردها، أن اللّه عاقب أهل مأرب بأن أرسل إليهم فأراً كبيراً ذا أسنان ومخالب حديديّة، قرضت حيطان السدّ الحجريّة، حتى تداعت، فابتلعت المياه، كل المباني وأهلكت الزرع.

إلا أن هناك من المؤرخين من تميزت كتاباتهم بالدّقة العلميّة فالهمدانيّ – مثلاً – كان قبل ألف عام قد زار مأرب، وسجّل ما شاهده من آثارها، ومنها السّدّ الذي وصفه وصف شاهد عيان، قائلاً: " وأمّا مقاسم المياه من مذاخر السّدّ فيما بين الضّياع فقائمة كأن صانعها فرغ من عملها بالأمس ورأيت بناء أحد الصّدفين (الجانبين) وهو الذي يخرج منه الماء، قائماً بحالة على أوثق ما كان ولا يتغير إلاّ إلى أن يشاء الله عزّ وجلّ"[3].

---

1 سورة سبأ الآيات رقم 15–19.

2 ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله: "معجم البلدان"، ط 4، دار صادر، بيروت 1977م، ص383.

3 الهمداني: الإكليل، جـ8، ص 95–108، 186.

الغرض من بناء السدّ:

شيد سدّ مأرب عند أضيق نقطة في وادي (أذنه)* بين مضيق الجبلين، البلق الشمالي والبلق الأوسط.

ومن المعلوم أنّ وادي (أذنة) يستقبل عدداً من الأودية الغزيرة بالمياه القادمة من المرتفعات الغربيّة، وتقدّر مساحة المساقط المائية للوادي بنحو عشرة آلاف كيلو متر مربع، أمّا كميّة المياه المنحدرة من تلك المساقط فهي متفاوتة وغير ثابتة، وقد قدّرت إجمالاً بمتوسط (200 مليون) متر مكعب، كما تختلف قوة اندفاع السّيول المتدفقة إلى الوادي بين الفترة والأخرى[1].

لقد كانت تلك المياه الغزيرة تتفرق في الوادي، وتضيع في التربة دونما فائدة، ففكّر السبئيين منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد تقريباً في إيجاد حل لتلك المشكلة، واهتدوا إلى ذلك الإبداع العظيم، ألا وهو بناء سدّ مأرب الشهير مستهدفين من بنائه عدة أغراض، منها:-

1. التقليل من اندفاع السيول إلى الوادي، تلك السيول التي كان جريانها – أحياناً – يؤدي إلى انجراف التربة وتدمير القرى، خاصة في مواسم الأمطار الغزيرة.
2. رفع مستوى المياه عدة أمتار حتى تصل إلى المدرجات الزراعيّة المرتفعة على جانبي الوادي.
3. التّحكم في توزيع المياه حسب الحاجة، بواسطة مصرفيين** كبيرين على جانبي السد. فالغرض إذن من بناء السدّ، ليس حجز المياه في (بحيرة) صناعية، ولكن كسر حدة السّيل والتّحكم في مياهه.

وصف السدّ:

تفيد المعطيات الأثرية والنقشيّة لبقايا آثار منشآت السدّ، أنّ المنشآت التي قام عليها نظام الرّي في منطقة سدّ مأرب تتألف من[2] :

---

* أذنة واد ذكر في النقوش اليمنيّة القديمة (أ ذ ن ت)، يعد من الأودية الهامة والغزيرة بالمياه.

1 يوسف عبدالله: أوراق، جـ1، ص 84 –85، 89.

** المصرفان: يطلق عليهما أيضاً الصدفان أو الهويسان.

2- يوسف عبدالله: أوراق، جـ 1، ص 90 عن A- Fakhry: " An Archaeological Journcy, and, Jurgen Schmidt: Archacological Bcricht. And, Brunncr: Uli Archaeologische Berichte and dem Yemen II. S. Swiss Final Report.

وانظر النقوش التالية: (Ja 671, CIH 540, CIH 541)

1- سدّ مأرب: أو جدار السّدّ الذي يحجز الوادي، وهو عبارة عن جسر من التراب، غطيت واجهته بالحجارة لمواجهة تيار الماء.
2- المصرفان الكبيران اللذان يقعان عن يمين ويسار السدّ. والتي تتدفق عبرهما المياه.
3- القناتان الرئيسيتان اللتان تربطان المصرفين بالجنتين.
4- مقاسم المياه في الجنتين: وهي عبارة عن سدود تحويليّة صغيرة تقوم بتقسيم المياه التى تصلها من القناتين الرئيسيتين.
5- شبكة الرّي المؤلفة من القنوات الفرعيّة والتي تسقي الضياع والحقول.
6- حقول الجنتين بأشكالها المستطيلة والمربعة والتي تكوّن في مجملها أراضي الجنتين في وادي سبأ* (وادي أذنة).

ويبدو من خلال تلك الدراسات الأثريّة، أنّ يمتد نحو (860) متراً عبر الوادي ما بين المصرفين، أمّا ارتفاعه فيبلغ (16) متراً تقريباً، وقدّر سمكه بحواليّ (20) متراً[1].

لقد كان سدّ مأرب قائماً على قاعدة ثابتة الأساس بنيت بالحجارة الضخمة، تمتد ما بين بوابتي المصرفين وعبر الوادي على امتداد الحاجز كله. وكان جدار السّدّ يعلىّ تدريجياً وفقاً للظروف المستجدة كترسبات الطمي المتراكم خلف السد في باطن (بحيرة) السد. وقد أشار (الحسن الهمدانيّ)، إلى تلك القاعدة الصخريّة الثابتة حيث قال: "إنّما وقع الكسر في العرم وقد بقي من العرم شيء مما يصالى الجنة اليسرى، يكون عرض أسفله خمسة عشر ذراعاً. ويضيف: "وكان العرم مسنداً إلى حائط (واثر) ما بين عضاد بالمذاخر بمعازب من الصخر عظام ملحمة الأساس بالقطر"[2]

أمّا المصرفان فهما عبارة عن مخرجين كبيرين نحتا في الصخر ثم استكملا بناءً على صخور جبلي البلق بحيث يكونا قناتي توصيل كبيرتين شق أسفلها من الصخر وشيّد أعلاهما بواجهات سميكة من الحجارة الكبيرة، مربعة الأضلاع، قصّت بعناية فائقة وثبت بعضها فوق بعض بتلاحم وترابط. وتمكن وظيفة هاتين القناتين في تصريف المياه المتدفقة من السد عبر حوضين صغيرين[3].

---

* يسمى حالياً وادي عبيده.
1- يوسف عبدالله، أوراق جـ1، ص 95 عن 36.
-A- Fakhry: An Archaeological Journey- P
2- الهمداني الاكليل، جـ 8، ت: الاكوع، ص 96 – 97، 99.
3 -يوسف عبدالله: أوراق.. ، جـ 1، 95-96.

وآثار المصرفين (الصدفين) لا تزال قائمة، ومن خلال مشاهدته لآثار سد مأرب – قبل ألف عام – يقول الهمداني: "ورأيت بناء أحد الصدفين باقياً وهو الذي يخرج منه الماء قائماً بحالة على أوثق ما كان ولا يتغير إلى أن يشاء الله عز وجل"[1].

أما المقاسم فهي عبارة عن سدود تحويليّة صغيرة وظيفتها تقسيم المياه التي تصلها من القناة الرئيسيّة عبر فتحات أعدت لهذا الغرض. وقد شاهد (الهمداني) آثار تلك المقاسم حيث قال: "وأمّا مقاسم الماء من مذاخر السد بين الضياع فقائمة كأن صانعها فرغ من عملها بالأمس..."[2].

بواسطة تلك المقاسم تنتقل المياه إلى شبكة معقدة من القنوات الفرعيّة، ومن هذه القنوات الفرعيّة تسقى الحقول والضياع على أن الحقول قد تسقى بعضها بعضا عن طريق مناسح مثبّتة في (أعرامها) وتلك القنوات في معظمها ترابيّة ليسهل تحويلها وإغلاقها عند الحاجة. كما أنّ سعة كل قناة قد صمّمت لتنقل أقصى كميّة من مياه الوادي الواصلة إليها، أي أنها تتسع كميات من المياه الفائضة التي قد تتدفق عبر القنوات أو السّدود الموصلة إليها في حالة مجيء سيول جارفة فتوزع المياه بسهولة ويسر.

أمّا عن مساحة (بحيرة) السّدّ قديماً فقد قدّرت بحوالي (8) كيلومترات مربعة، وسعتها الإجمالية بلغت حوالي (55) مليون متر مكعب، وتقدّر طاقة القناتين الرئيسيتين معاً بحوالي (60) متراً مكعباً في الثانية، أمّا المساحة التي كان السّدّ يرويها قديماً فقد حددت بحوالي (000، 10) هكتار[3].

متى بنيّ السّدّ؟

أثبتت الدراسات العلميّة الحديثة أنّ أساس سدّ (مأرب) يعود تاريخه إلى مطلع الألف الأول قبل الميلاد[4]. ومنذ رحلة الصيدلاني الفرنسي (توماس أرنو) عام 1843م، كشفت لنا النقوش التي سجّلت على جدار السّدّ عن أسماء عدد من المكاربة السبئيين الذين ساهموا في تأسيس ذلك الصرح العظيم، فقد ذكر أحد النقوش بان المكرب (سمه علي ينف) حفر في الناحية اليمنى من جبل (البلق) وبنى سداً يسمّى (رحب) رحاب، لتسهيل عملية السقي، وفي نقش آخر نجد أن

---

1 -الهمداني: الاكليل، جـ 8، ت: الاكوع، ص 96.
2 – المصدر نفسه.
3- يوسف عبدالله: أوراق، جـ 1، 96. عن: Brunner: Archalogische Berichte II. S. 122
4 – المرجع نفسه، ص 78. عن ... Brunner: Archaologische

المكرب (يثع أمر بين بن سمه على ينف) واصل ما بدأه والده فحفر فتحة أخرى في (البلق) لكي يسهل السقي أيضاً. لم يتفق العلماء على وضع تسلسل تاريخي خاص بمكاربة سبأ، لهذا فأننا نجهل عهدهما بشكل دقيق، ولكن أغلب الظن أن عهديهما قد يبعدان عن منتصف الألف الأول قبل الميلاد.

انهيار السدّ:

تعرّض سدّ مأرب للانهيار أكثر من مرة نتيجة للسيول الجارفة، وتراكم الإرساب خلف السدّ، مما سبب ضغطاً شديداً عليه فلم يتحمل مقاومة تلك العوامل الطبيعيّة، أضف إلى ذلك عوامل بشريّة تمثلت في إهمال الدّولة لمنشآت الري بشكل عام، أمّا نتيجة لضعف دب في أوساطها أو لانشغالها بالمشاكل السياسية الداخلية، كما إن انتقال الثقل السياسي من أطراف الأودية الشرقيّة إلى المرتفعات الغربية، بسبب تحول الطريق التجاري من البر إلى البحر، كل تلك العوامل كانت بمثابة النذير الخطير لانهيار سدّ مأرب، وفي كل مرة كان ملوك سبأ يقومون بإعادة ترميمه وتلافي ما يصيبه من صدوع.

وأول إشارة عن ترميم السدّ جاءت في نقش (Ja 671)، الذي يعود لمنتصف القرن الرابع الميلادي، يذكر النقش إن الملكين (ثأران يهنعم وابنه ملكي كرب يهأمن) قاما بإعادة بناء الهويس الشمالي. كما ترك لنا الملك (شرحبيل يعفر) نقشاً (CIH 540) تحدث فيه عن ترميمه لسدّ مأرب عام (449م) وانه قام باصلاح تصدع آخر حدث في العام التالي (450م): وقد شمل النقش معلومات تفصيليّة عن عملية الترميم، وسجّل عدد الرجال الذين ساهموا في ذلك العمل حيث كان عددهم (20000) رجل من كل أنحاء اليمن، وذكر كميات الطعام والمشروبات التي استهلكوها خلال فترة العمل.*

أما (أبرهه) فقد سجّل هو الآخر نقشاً (CIH 541) ، قلّد ما جاء في نقش (شرحبيل) من حيث تفاصيل العمل، وعدد العمال والمأكولات .. كان ذلك في عام (542م).

ظل سدّ مأرب يؤدي أغراضه حتى نهاية عهد أبرهه عام (571م)، أي بعد إنشائه بأكثر من أحد عشر قرناً، ثم انهار نهائياً عام 575م، وقد جاء ذكر ذلك الانهيار النهائي للسد في القرآن الكريم (سورة سبأ آية 15): "فأعرضوا فأرسلنا

---

* زار كريستان روبان مأرب عام 1975م وتحدث عن ما شاهده من آثار سد مأرب، وأشار إلى أن نقش شرحبيل (CIH 540) قد تهدم. أنظر. Robin. Ch: Resuitats – PP . 167-187.

عليهم سيل العرم[**] وبدلناهم بجنتيهم جنتين: ذوات اكلٍ خمطٍ، وأثل وشئ من سدر قليل".

وبسبب الانهيار الأخير تفرق شمل قبائل سبأ، فهاجروا إلى أنحاء متفرقة من شبه الجزيرة العربية. فقالوا " تفرقوا أيدي سبأ "[1].

2- صرواح

تعتبر صرواح[*] المدينة السبئية الثانية بعد مأرب، ويرى بعض الباحثين بأنها العاصمة الأولى للدولة السبئية.

تقع صرواح على وادي صرواح بين صنعاء ومأرب، على بعد 40كم جنوب غربي مأرب تقريباً[2].

عندما زار (نزيه مؤيد العظم) صرواح، وصفها بانها خربة، بُني على أنقاضها قرية تتألف من عدد من البيوت، فشاهد فيها بقايا القصور القديمة، والأعمدة الحجريّة المنقوشة بالمسند، وأشار الى أنّ القسم الأعظم من المباني القديمة مدفونة تحت الانقاض، عدا أربعة أو خمسة قصور لا تزال ظاهرة على وجه الأرض[3].

أمّا (أحمد فخري) فذكر أنّ خرائب (صرواح) تتمثل اليوم في ثلاثة مواقع أثريّة هي: (الخريبة)، (القصر)، و (البنا)، وهي على امتداد خطّ واحد في وسط الوادي الواسع، وتشغل (الخريبة) منطقة القلب في الجزء الأوسط من هذا الخط الطوليّ، وتقع (البنا) وبقايا خزان للمياه وسدّ على بعد (900) متر تقريباً، شمال (الخريبة)، أمّا قرية (القصر) فتقع على بعد (800) متر جنوب (الخريبة)، وقد كشف (أحمد فخري) عن بقايا معبد الإله (المقّه)، فقال: إنّ الأجزاء الكبيرة من المعبد مازالت محفوظة، فالجزء العلويّ من المعبد مزيّن بأفريز جميل من رؤوس الوعول، وهناك أيضاً بعض النقوش على الجدران الخارجيّة على الجانبين الشماليّ والشرقيّ، وهي بحالة جيدّة"[4].

** العرم: أو (العريم) هو السد، جاء في النقوش اليمنيّة القديمة (ع ر م ن) والجمع (أعرام).

1- أنظر مجمع الأمثال للميدانيّ، أحمد بن محمد (ت 1124هـ).

* الموقع الأثري يسمّى اليوم (صرواح خولان) لتميزه عن (صرواح ارحب) (مدر) قديماً وحديثاً. تقع على بعد 15 كم شمال شرق (ناعط). موقع غني بالآثار.

2- أحمد فخري: رحلة اثرية – ص 65-87.

3 نزيه مؤيد العظم: " رحلة في البلاد العربية السعيدة "، من مصر إلى صنعاء، جـ 2، ط2، مؤسسة فادي برس، لندن، دار قتيبة، بيروت (1985) ص 65-87.

4 أحمد فخري، رحلة أثرية، ص 65-87.

أمّا الباحث (كريستيان روبان) الذي زار الموقع عام 1975م فقد أشار إلــى أنّ الآثار التي تحدث عنها (أحمد فخري) كبقايا المعابد، قد اختفت تقريبـــاً، إلا أنــه سجّل مشاهدته لآثار سور المدينة القديم[1].

ومما يلفت الانتباه إن (صرواح) فقدت أهميتها بعد بروز (صنعاء) كعاصمــة ثانية للسبئيين في عهد ملوك سبأ وذي ريدان أي منذ مطلع الميلاد.

---

1 - Robin. Ch: "L, Arabie du sud antique, le royaume de Saba, dans Bible et Terre Sainte, 177, Janvier, 1976, pp . 8 – 11.

الفصل الثاني

دولة حضرموت

أولاً: الموقع الجغرافي

ثانياً: حضرموت في المصادر

ثالثاً: حضرموت وجيرانها

رابعاً: الوضع السياسي لحضرموت مع بداية الميلاد

خامساً: آثار حضرموت

أو

العر
البح
رقـ
اسـ
(حض

ثاني

(الـ
معبد

البلد

القدي
الجف

عص
كثـ
الدّو
طـب
التّط

– 1
don

-3

أولاً: الموقع الجغرافي :

شغلت دولـــة حضـــرموت مساحة جغرافيّة واسعة من جنوب شبه الجزيرة العربـيَة، فحدودهـا كانت تمتد من حدود (قتبان) غرباً، وحتّى عُمان شرقاً ومن البحر العربيّ جنوباً؛ وحتّى (العبر) وصحراء الربع الخالي شمالاً (أنظر الخريطة رقـم 5). قد ورد اسم حضرموت في النقوش (ح ض ر م و ت) أو (ح ض ر م ت) . أما اسـم الـوادي فكـان يسمى (س ر ر ن). وجاء في التّوراة حاضرميت) – أي (حضرموت)– كأحد أبناء يقظان بن عامر بن شامخ[1].

ثانياً: حضرموت في المصادر:

جـاء ذكر حضرموت عند الكتّاب الكلاسيكيين فقد قال عنها (بليني) في كتابه (الـتّاريخ الطّبيعـيّ): "(حضـرميتا) ومركزها (سبوتا) مدينة تحتوي على ستين معبداً[2]. والمقصود بَ (سبوتا) "شبوه" عاصمة الدولة.

أمّا الحسن الهمدانيّ –من علماء القرن العاشر الميلاديّ– فيقول: "تسببت هذه البلدة إلى حضرموت بن حمير الأصغر. . . "[3].

ظلّت حضرموت تحتفظ باسمها لقرون طويلة، ولم يختف الاسم بزوال المملكة القديمـــة، كمـــا حـــدث لغـــيرها من الممالك، بل ظلّ حتّى يومنا هذا لكنّ الحدود الجغرافيّة لهذا الإقليم اختلفت عمّا كانت عليه.

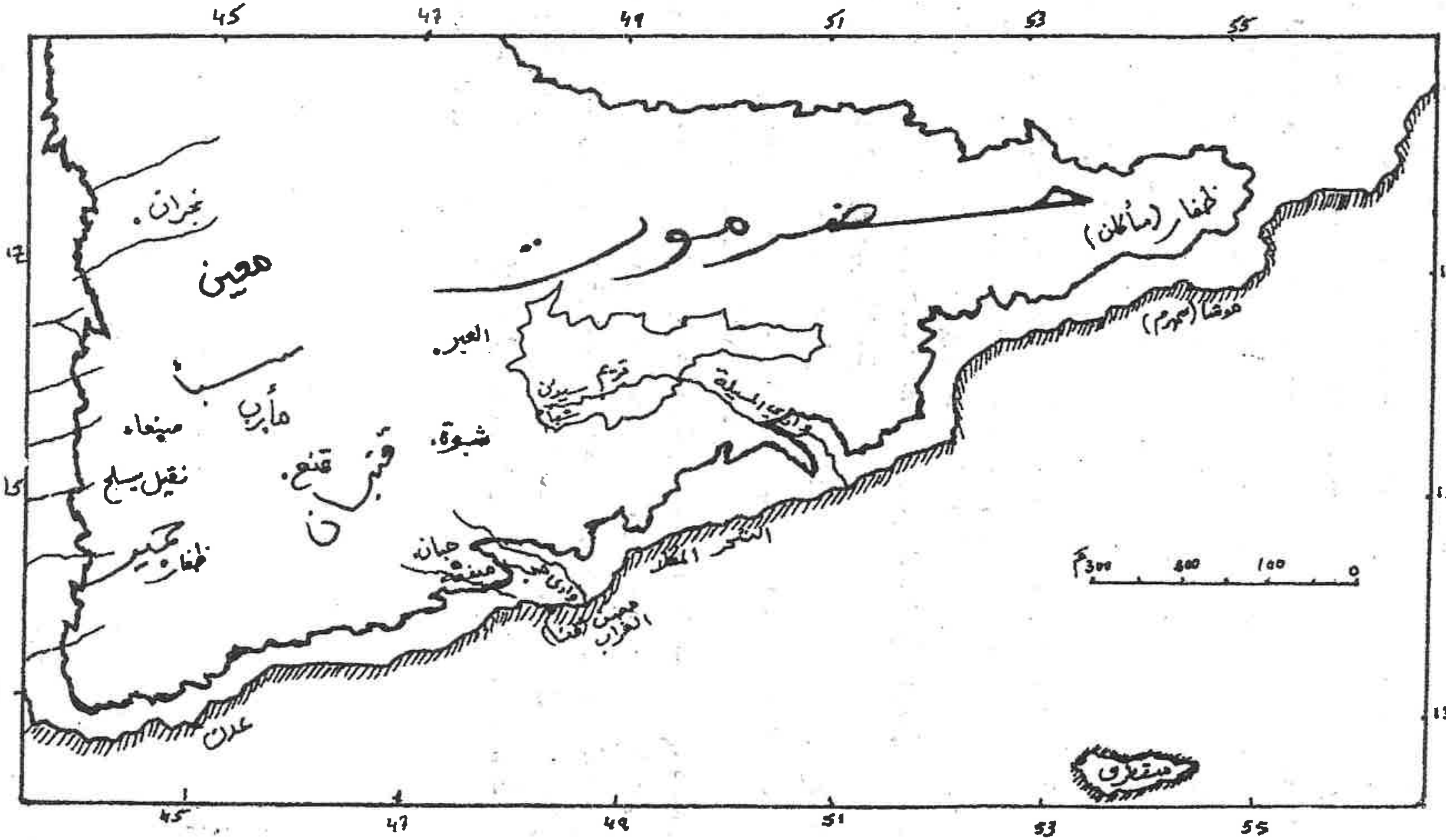
ولا يـزال الغموض يكتنف أجزاءً من تاريخ حضرموت السّياسيّ، وخاصة في عصـور قـبل الميلاد. فالمعلومات المتوافرة شحيحة للغاية، وهذا النقص شجع كثـيراً مـن الباحثين لوضع فرضيّات مختلفة حول بداية التّكوين السّياسيّ لتلك الدّولة. وعلى الرّغم من شح المعلومات، إلاّ أننا نستطيع أن نؤكد بأن حضرموت طـيلة النصف الثاني من الألف الأوّل ق.م، ظل ثقلها المؤثر والعظيم في مجرى التّطوّر العام للحضارة اليمنيّة.

---

1 – التوراة، العهد القديم، سفر أخبار الأيام الأول، الاصحاح الأول، أية رقم (20).

2-Pliny :" Natural History ", translated by . H . Rackham , London Cambridge , 1969 , BK 6 , sec 32 .

3- الهمداني: الصفة، ص 165.



خارطة رقم (5): دولة حضرموت

ويؤكـد الباحـثون بأن حضرموت عرفت نظام المكاربة، اذ تقدّم لنا النّقوش عـدداً مـن أسماء هؤلاء المكاربة، كانوا قد حكموا حضرموت. وحاول الباحثون ترتيبهم ترتيباً زمنياً لكنّهم اختلفوا في طبيعة هذا الترتيب.

ثالثاً: حضرموت وجيرانها

كانـت علاقـة حضرموت بكل الممالك المعاصرة لها، علاقة تحكمها المصالح والمواقف، ولذلك كانت هذه العلاقة تتأرجح بين مشاعر الودّ والمنفعة الاقتصاديّة حيناً، ومشاعر العداء والحروب المدمّرة حيناً آخر.

ويـرى الباحـثون أنّ هـناك علاقـة اتحادية قديمة كانت قد نشأت بين سبأ وحضرموت منذ عهد المكاربة، فقد عثر على أسماء لمكاربة سبئيّين وملوك من حضرموت، وذلك في عهد الكتابة الأكثر قدماً، كما عثر – في الوقت ذاته – على آثار السبئيّين في حضرموت سواء أكان ذلك على صعيد اللهجة أم الدّين أم الفنّ[1].

أمّـا علاقتها – أعني حضرموت – بمعين فقد امتازت بخصوصيّة فريدة، فقد ذكر اسم الملك (صدق إل) ملكاً على حضرموت فقط، إذ ورد في نقش (RES2775) اسـم هذا الأخير مرفقاً لاسم (أب يدع يثع) ملك معين، حيث ذكر بأنه تقرب إلى الإلـه (عثتر ذو قبضم) ببناء برج على أحد الأسوار في مدينة (قرناو) العاصمة المعينـيّة. ثمّ من بعده (معد كرب بن اليفع يثع) ملك معين، ثم شقيقه (اليفع ريام بن اليفع يثع) الذي يظن –في الأغلب– أنه حكم معيناً وحضرموت معاً.

وهكـذا تسـتمر تلك الحال من العلاقة المتميّزة بين حضرموت ومعين، والتي نجهل تفاصيلها لفترة من الزمن يصعب تحديدها.

في تلك الآونة نجد حضرموت تحظى بأهميّة خاصّة، كمنطقة تنتج أجود وأثمن أنـواع البخور، فقد تحدّثت الكتب الكلاسيكيّة عن تجارة هذه السّلعة الثّمينة، وأن "شـبوة" (العاصمة الحضرميّة) كانت مركزاً رئيسياً لتجميعها. وراح الكلاسيكيّون يتـناقلون اسم هذا المركز –أعني شبوة– وأهميته السيّاسيّة والدّينيّة والتّجاريّة. وأشـار (بلينـي) وغيره من الكتّاب الكلاسيكيّين أيضاً إلى أشجار المرّ واللبان، وطريقة جمعهما، وما يصاحب هذا الجمع دائماً من طقوس متّبعة في ذلك[2].

رابعاً: الوضع السياسي لحضرموت مع بداية الميلاد

ومـع بداية ميلاد "يسوع" عليه السلام، أخذت (حضرموت) تعيش فترة كبيرة ومديدة من القوّة والازدهار وكانت مظاهر ذلك الازدهار تتمثّل بما يلي:

1-Pirenne: "Les temoine ecrit de la region de Shabwa et l'histoir", (fouilles de Shabwa) tome 1 , Paris (1990) .p . 130 ...

2- Pliny : op.-cit. Bk. 6 Sec (32).

1- اقتســـامها الـــنّفوذ السيّاسيّ -في المنطقة- مع أعظم مملكتين من الممالك اليمنيّة الأخرى، هما: (سبأ) الدّولة الكبرى، و(حمير) الدّولة الفتيّة.

2- إنّــه في الوقت الذي ظلّ فيه السبئيّون في صراع مرير مع الدّولة الجديدة (حمير)؛ فأنّ حضرموت -في المقابل- استمرّت تتحكّم في إنتاج الطيوب وتصديرها.

3- احـــتكارها عملـــيّة "الترانزيـــت"، وقـــيامها بوظيفتها؛ مستفيدة من موانئها السّاحليّة.

4- ســيطرتها علـــى إقليم "ظفار" (عُمان) -أغنى الأقاليم المنتجة للبان والمر- وعلى جزيرة سقطرى الواقعة على مشارف السّاحل الأفريقيّ والتي يرتادها التّجار من كلِ حدب وصوب دائماً.

5- امـــتداد نفوذها السيّاسيّ إلى وادي (بيحان)[1] في أعماق دولة (قتبان)، وذلك بعـــد أن دبّ الضعف في هذه الأخيرة، وأخذت تتجاذبها مطامع الأقوياء من الدّول اليمنيّة آنذاك.

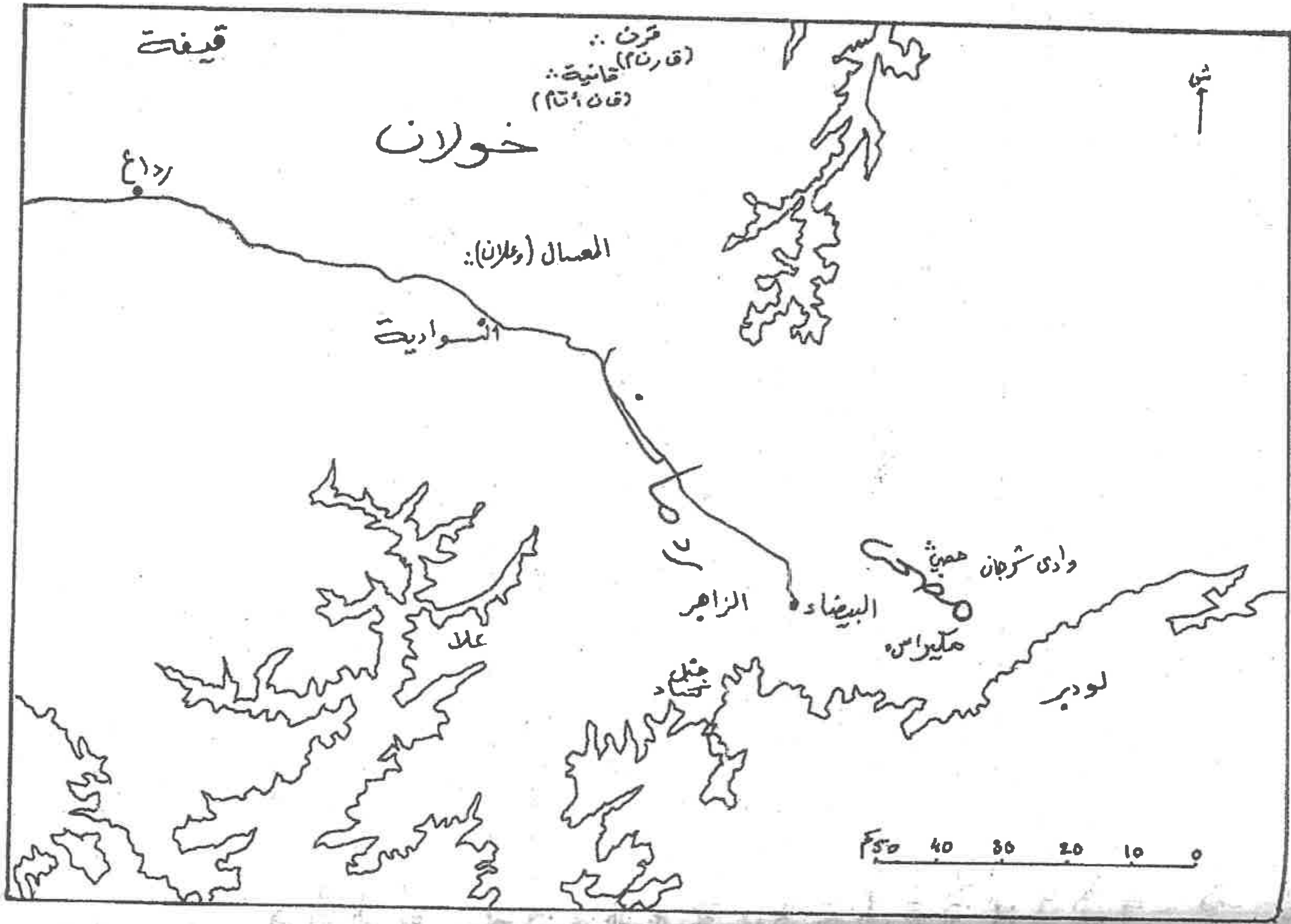
إلاّ أنّ اســـتمرار حضرموت في تطلعها إلى الهضبة الغربيّة كان قد أدخلها في مشـــكلات كبـــيرة مـــع سبأ وحمير، مما سبّب لها متاعب لا حصر لها ولا عدّ! فحيـــنها (القـــرن الثاني الميلادي) دخلت مع سبأ في حرب ضروس، وكان على رأس جـــيش السّبئيّين الباسل والقويّ (سعد شمس أسرع) وابنه (مرثد يهحمد)، الاّ أنّ حضرموت لم تدخل هذه الحرب منفردة ، وإنّما ضمن تحالف ضمّ: كلاً من: ملكهـــا (يـــدع إل)، وقـــيل ردمـــان (وهب إل)، وقبائل خولان، وكلّ (ولد عمّ)، و(أوسان) و(مضحى- أو مضحم) (انظر الخريطة رقم6). وتقابل الفريقان:- سبأ مـــن جهـــة، والأطراف المتحالفة من جهة أخرى- في منطقة (وعلان)، وانتهت المعركة بانتصارِ السبئيّين، وهزيمة أطراف التحالف هزيمة منكرة[2].

وممّـــا يلفـــت النظر أنّه في عهد ملك سبأ (علهان نهفان) يطالعنا اسم الملك الحضرميّ (يدع إل)، وذلك حينما دخلت العلاقة بين حضرموت وسبأ طوراً جديداً، اتسمت بالمودة والاحترام المتبادل، وكان هذا بعد أن عقد الملك السبئيّ حلفاً مع صـــنوه الحضرميّ، على أثر لقاء تمّ بينهما في (ذات غيل) من أرض قتبان وهذا يعني أنّ ملك حضرموت (يدع إل) قد وصل بنفوذ دولته إلى الأرض القتبانيّة*.

1- Von Wissmann :" Himyar Ancient History " , le Museon 77 , 3 -4 , 1964 p . 467-.

2 - بافقيه: موجز ... ص39 -40.

* - نامي نقوش ساميّه 19.



خريطة رقم (6) ردمان ومضحى

وبعد ذلك تولى حكم حضرموت الملك (يدع أب غيلان)، وراح للتو يحالف أيضا الملك السبئيّ (علهان نهفان)، ثمّ انضمّ إلى الحلف نفسه ملك الحبشه (جدرة)** وكان المغزى من هذا الحلف هو وضع حدّ للتوسّع الرّيداني، ودرء مخاطره.

وعندئذ انتصر الحلفاء في تحقيق ما هدفوا إليه سياسياً وعسكرياً، ومن ثمّ تمكّنت حضرموت من الوصول إلى أجزاء من الهضبة الغربيّة.

ثم يطالعنا اسم الملك (إل عزيلط بن عم ذخر) القرن الثالث الميلادي، الذي وصل نفوذه إلى مركز (ردمان) ذي الأهميّة الاستراتيجيّة، الواقع بين الأطراف الجدوديّة لأراضي الممالك الثلاث (سبأ، وقتبان، وحمير). وفي نقش (Ja 921) ورد ذكر تلك الرّحلة التي قام بها (إل عزيلط) إلى حصن (أنود)* ، لكي يلقب رسمياً بلقب (ملك)، ورافقه في رحلته هذه عدد من الزعماء والأعيان البارزين من علية القوم، وجماعة من أشراف حمير ووجهائها كما جاء في نقش (Philby 82). ولتخليد ذكرى هذا الحدث الجليل، راح (إل عزيلط) -وقد غدا ملكاً- يدوّن كلمة قصيرة في المناسبة ذاتها، قال فيها: "إل / عزيلط / مُلك / حضرموت / بن / ذخر / سير / اد / جندلن / انودم / هسقلب". (RES 4910). ومعنى هذا النصّ: أنّ "إل عزيلط ملك حضرموت ابن عمّ ذخرسار إلى حصن (أنود) ليتلقب بلقب ملك".

وفي النقش عينه ورد -أيضاً- ذكر لأسماء جملة من رجال الحاشية الملكيّة الحضرميّة، الذين بايعوا (إل عزيلط) ونصّبوه ملكاً. وفي المناسبة ذاتها سجّل رجلان من أشراف حمير بأن" الملك (ثأران يعوب) أوفدهما لحضور حفلة تنصيب (إل عزيلط) ملكاً لحضرموت"[1].

ويبدو- في أغلب الاحتمال- أن هذا الملك هو نفسه الملك الحضرميّ، الذي ذكره كاتب الطواف حول البحر الارتيريّ وسماه (اليازوس Eleazus)، وأخبرنا عنه بأنه يقيم في عاصمة (سباتا Sabata) وامتدّ نفوذه إلى (قنا) الميناء الحضرمي الشهير[2].

وكانت العلاقة بين حضرموت وسبأ قد توطدت كثيراً في عهد هذا الملك، حينما توثّقت الرّوابط الأسريّة بين ملكي الدّولتين عن طريق المصاهرة، حيث تزوّج (إل عزيلط) الملك الحضرميّ (ملك حلك) ابنه الملك السّبئي (علهان نهفان) إلا أنه في عهد ابن هذا الأخير (شعر أوتر) (210 -230 م) انعكس حال هذه

** راجع نقش (CIH 308)

* راجع نقش (ارياني 13).

1 – محمد عبدالقادر بافقيه: "آثار ونقوش العقلة"، دراسة ميدانيّة لاحد المواقع الأثرية بالقرب من شبوة في منطقة حضرموت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، والنشر، القاهرة، 1967، ص33-55

2- "The Periplus of the Erythraean sea" , Trans: Schoff. W. H New York 1912, Sec 27.

العلاقـــة، فتحوّلـــت من ودّ إلى حرب شنّها الملك السّبئيّ (شعر أوتر بن علهان نهفان) على الملك الحضرميّ (إل عزيلط)، وكانت رحى هذه الحرب قد دارت في منطقة (ذات غيل)، ونتج عنها أنْ أسِر الملك الحضرميّ، وقتل أولاده ووزراؤه جميعاً. وبعـد ذلـك للتو أرسل (شعر أوتر) إلى شبوة، حملة عسكريّة أخرى؛ قوامها أربعة آلاف (4000) مقاتل، اتجهت صوب القصر الملكيّ فيها، حيث تقيم أخته (ملك حلك) وذلك لحراستها وحمايتها. وعلى إثر ما جرى من معارك هناك تهدمت شبوة تماماً[1].

ثـم اتجهـت القـوات السبئيّة إلى الميناء الحضرميّ (قنا) ودمرته، ومن ثم توغلت هذه القوات في المناطق الحضرميّة الدّاخليّة، وبهذا الزحف المظفر يكون الملك السّبئيّ (شعر اوتر) -يومئذ- قد حقق نصراً كاسحاً[2].

وعلـى مـا يـبدو أنّ تلك الظروف السّياسيّة المضطربة كانت قد هيّأت -في حضرموت- وضعاً جديداً لظهور أسرة جديدة، تعتلي العرش، وتتولى الحكم فيها، فكانـت هذه الأسرة تنتمي إلى أحرار (يهبئر)، وكان أوّل ملوكهم هو (يدع إل بن ربشـمس)، ليس هو من الأسرة المالكة أصلاً، وإنّما وصل إلى العرش باجتهاده ومسـعاه الشخصيّ الحثيث. وفي الوقت نفسه يذكر النقش عينه أنّ أصحاب هذا الملـك قاموا بمساعدته، ولم يذكر نوع هذه المساعدة، ولعلهم -كما يبدو- كانوا قد ساعدوه في الوصول إلى الحكم، وارتقاء عرش الدّولة[3].

وكانـت حضـرموت -فـي عهد هذا الملك وابنه (الريّام يدم)- قد دخلت في معـارك ضـاريّة مع الحميريّين الذين تمكّنوا قبل ذلك من أن ينتزعوا من الملك نفسه مركز (ردمان) الحضرميّ الاستراتيجيّ.

وخـلال تلـك المعـارك المدمّـرة راحت الجيوش الحميريّة تحرق العاصمة الحضرميّة وقصورها حرقاً كلياً وكان ذلك في القرن الثّالث الميلادي[4].

وهكذا استمرّ الصّراع دائراً في عموم المنطقة. ولهذا ظلت حضرموت تتعرّض لاجتياحات الحميريّين المتواصلة، فأثر ذلك عليها كثيراً، وأضرّ ببنيتها الاقتصاديّة ضرراً بالغاً.

ومـع مطلـع القرن الرّابع الميلاديّ استطاع (شمر يهرعش) -ملك سبأ وذي ريـدان- أن يخضـع أجزاءً عديدة من حضرموت؛ ويضمّها لدولته، أمّا الأجزاء الأخرى من الدّيار الحضرميّة فقد استمرّت تقاوم ذلك الزّحف الجارف، بموازرة، ومعونـة مـن دولـة (كـنده) التي كانت تربطها بحضرموت وشائج من القرابة الحميمة، وعلاقات تعاون وطيدة.

1 -راجع نقش (ارياني 13) في كتابه: نقوش مسندية، ص 109 - 122.
2 -المصدر نفسه.
3 -أنظر نقش (Ja 949).
4 أ-نظر نقش (Ja 665).

خامساً: آثار حضرموت

أ – العاصمة الملكيّة "شبوة":

جـاء هذا الاسم كما هو موثّق في النّقوش (ش ب و ت). وكانت شبوه – في تاريخها الأثيل مدينة مزدهرة- أقيمت في الطّرف الشّرقي من حوض (السبعتين)، على وادي (المعشار) الّذي يمثّل امتداداً لوادي (العطف) و (عرمة) (انظر خريطة رقـم 3). وعلى الرّغم من هذا الموضع الصّحراوي فقد ازدهرت (شبوه) بفضل جمله من العوامل المهيأة لذلك الازدهار، أهمّها:

1- تحكّمها بوسائل الريّ، ومؤسساته المختلفة المتوافرة فيها.

2- اسـتفادتها المـثلى من موقعها الاستراتيجيّ الهام، فهي تقع -أيضاً- على طـريق القوافـل الواصـلة إلـيها من ميناء (قنا)، وقد جعلها هذا الموقع الجغرافيّ الرّائع، مركزاً حيوياً -لا غنى عنه البتّة- عند مدخل وادي حضرموت.

3- اتصـالها المباشر ب (تمنع)، ومن ثمّ ارتباطها -في المواصلات- (بمأرب) و(نجـران) وغـيرهما مـن المحطّات التّجاريّة المبثوثة على امتداد طريق القوافل حتّى (غزة) عند ساحل البحر المتوسط.

ولا عجـب أن تكـون (شـبوة) – لهـذه العوامـل يومذاك- عاصمة دولة حضـرموت، والمدينة الأكثر شهرة من بين مدن تلك الدّولة عبر تاريخها الأثيل، ولهـذا أسـهب الكتّاب الكلاسيكيّون في الحديث عن ثرائها ومعابدها فقد أعطانا (بليني) صورة حيّة عن "طريق البخور" التي كانت واسطة العُقد بين هذه المدينة -أعنـي شبوة- ومدينة (روما)، وعمّا كانت تدرّه هذه الطريق من أموال طائلة لصالح (حضرموت) والدّول اليمنيّة الأخرى عموماً، حيث كانت تلك الأموال تدفع كتكاليف لعبور القوافل منذ أن تنطلق من أول محطة حتى وصول آخرها عبر تلك الطريق، لتبلغ -في نهاية المطاف – غايتها الأخيرة باتجاه دول البحر المتوسط. ويذكـر لـنا الكاتـب عيـنه ما كان يقدم – في الوقت ذاته – لإله (شبوة) من الضرائب، وما يؤدي لملك (قتبان) من الأتاوات نظير مرور تلك القوافل بالعاصمة القتبانـيّة ومـا كـان يدفـع من حصص ماليّة: للكهنة، والحرّاس، والبوّابيّن، والخـدم، والمـاء والعلـف ناهيك عما كان هناك من "رسوم المرور" بالمحطات الأخـرى المنتشـرة علـى امتداد الطريق ذاتها، والبالغ عددها 65 محطة، حتى تنتهي إلى "غزة" وصولاً. وهذا هو السرّ الذي جعل سعر البخور باهضاً للمقتنيين له من سكان روما، وذلك هو ما شاهده (بليني) بأم عينيه في عصره إبّان القرن الأول الميلاديّ[1].

أمّـا كاتب "كتاب الطّواف" فقد وصف (سباتا Sabata) شبوة بأنّها عاصمة بلد

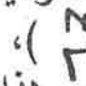
1- Pliny : op.-cit, Bk6, 34

البخور، ومكان إقامة الملك (اليازوس Eleazus)[1]، (إل عزيلط).

وكــان أول مــن اكتشف هذه العاصمة الحضرميّة هو العالم (فلبي) وذلك في العام 1936م، حينما وضع يده على آثار المدينة، وعثر على نقوش فيها وتمكّن من كشف موقع أثري آخر، يسمّى (العقلة) على مقربة من شبوة ذاتها حيث يقع حصن (أنودم) الذي كان موضعاً خاصاً لتتويج ملوك حضرموت[2].

وعــندما زار (هاملــتون Hamilton) شبوة، عام 1938م، لاحظ "الخرائب قد راحــت تغطــي القسم الأعظم من الموقع ذاته"[3]. وحينما شرعت البعثة الفرنسيّة بأعمالهــا التنقيبــيَة الأثــرية في المنطقة، بدءاً من عام 1975م –ولعدة مواسم حفــريّة– تمكّنت خلال هذه المواسم من أن تكشف لنا آثار المدينة، ومن أبرزها: السور، والقصر، والمعبد، والمقابر، والآبار[4].

1- الســور: ممّــا كشــفت عــنه بعثات التّنقيب في (شبوة)، هو سور المدينة المحصن باستحكامات منتظمة بارزة، بابان في الجهة الشّرقيّة منه، واقعان علــى الجــدار الغربــيّ للمدينة. ومن الظريف أنّ على تلك الأبواب جميعها سجّلت نقوش، تذكر لنا اسم مدينة (شبوة)، وتحكي عن شيء من أمورها السّالفة.

2- القصر الملكيّ: عثر المنقبون الأثريون في المنطقة على آثار القصر الملكيّ (شقر) على مقربة من باب المدينة الغربيّ، وتوثّق النّقوش اسم هذا القصر علــى نحو: (ش ق ر). ومما يلفت الانتباه أننا نصادف الاسم عينه مسجّلاً علــى عمــلات النّقد الحضرميّة – في أحد وجهيها – بحروف متشابكة في رسمها الخّطيّ هكذا ()، ويسمّى هذا الخط (مونوجرام)* ولا غرابة – عندئذ– أن نجد اسم القصر هذا مسجّلاً على النّقد الحضرميّ القديم، لأنّ ذلك كان تقليداً رسميّاً متبّعاً في كلّ الممالك اليمنيّة القديمة، فتلك العملة القتبانيّة – مــثلاً– كانــت تحمــل اسم القصر الملكيّ (حريب)، وعلى نحوها كانت عملات النّقد الرّيدانيّة تحمل اسم (ريدان).

1-The Periplus : op . - cit , Sec 27

2-Philby H. St. John: " The Land of Sheba " dans Geographical Journal vol XCII July 1938 , p . 165 .

3- Hamilton : op . - cit , pp . 107 - 123 .

4- Pirenne. J: "Ce que trois campagnes de fouilles nous ont deja appris sur Shabwa "capitale de Hadramaut antique , dans Raydan vol, 1 , 1978 . p . 125 - 142 .

* لمعــرفة المزيد عن (المونوجرام) الرمز في النقوش والمخربشات اليمنية القديمة، انظر: محمد عــبدالقادر بافقيه: "بحلف سبأ وحمير وحضرموت"، مجلة ريدان، العدد (5)، دار الهمداني، عدن 1988م، ص 49...

وإذا ما قلّبنا العملة الحضرميّة القديمة، رأينا على وجهها الآخر -أيضاً- صورة "الطائر النّسر"، وهو يرمز إلى الإله (القمر) -إله الحضارمة الشهير، وهو المعروف عندهم بالإله (س ي ن).

وكان القصر (شقر) مركزاً رئيسيّاً للسّلطة الحضرميّة، ومكاناً لإقامة العائلة المالكة، وكبار وجهاء الدّولة[1]. وتوثّق النقوش -أيضاً- بعضاً من الأحداث العصيبة والجسيمة التي لحقت بالقصر من جرّاء الحروب العدوانيّة، وعانتها المدينة عموماً: ففي أواسط القرن الثالث الميلاديّ تعرّض كلّ من المدينة والقصر لهجوم عدواني عنيف، شنّه -آنذاك- الملك السبئيّ (شعر اوتر) على الملك الحضرميّ (إل عزيلط)، فكان أن أسر هذا الأخير، وقُتل أولاده ووزراؤه في تلك الحرب، وهدّمت العاصمة الحضرميّة، ودمّر قصرها الملكيّ تدميراً كاملاً. (انظر النقشارياني 13)، ويذكر لنا النقش -كذلك- أنّ الملك السبئيّ ذاته (شعر اوتر) لم يكتف بذلك الهجوم؛ فشنّ هجوماً أخر على ميناء (قِنا) ومدن حضرميّة أخرى. وبعد انتهاء تلك الحوادث المروّعة أعاد ملوك حضرموت -الذين جاءوا بعد (إل عزيلط) بناء القصر، وتخطيط المدينة مجدداً بعد أن حرقها الحميريّون عن بكرة أبيها.

3- المعبد: عثر على أنقاض معبد الإله (سين ذي اليم) في شرق المدينة، وسط الطريق الرئيسيّة، وكانت البعثة المنقبة عن الآثار، قد كشفت عن المخطط الهندسيّ لهذا المعبد المتميّز بفنّ عماريّ رائع، وفريد في بنائه وتصميمه الهندسيّ[2].

4- القبور: وفي المدينة ذاتها -شبوة- تمّ الكشف عن مجموعة من قبورها، واقعة على التّل الكائن في الشّمال الشّرقيّ منها، وممّا يميّز هذه القبور عن غيرها أنها ذات مداخل هندسيّة بديعة الشكل ومن طريف الصّدف أنّه لمّا أجريت حفريات في واحد منها اتّضح جليّاً أنّه عبارة عن غرفة شكلها مستطيل على وجه التّقريب، مقسّمة إلى جزأين متساويين. وممّا عثر عليه فيها: ملتقطات جنائزية متنوعة الأحجام والأشكال[3].

1- Pirenne. J: " Deuxieme mission Archeologique Francaise Au Hadramout, Yemen- du Sud " , de Desmbre 1975 a Fevriere 1976 . Academie des inscriptions et belles - lettres , Paris , 1977 , pp . 412 - 426.

2- Breton . J .F, et Audouin . R, et Seigne. J: "Rapport prelinaire sur la fouille de chateau royale de Shabwa , (1980-1981) dans " , Raydan vol , (4) 1981.

3- Prienne . J. et Roux . J. CI: Deux tombes de Shabwa 1975- (Raport).

ب - ميناء الدّولة الحضرميّة الأول (ميناء قنا) وخرائب "عرماوية" (حصن الغراب) حالياً:

ورد الاسم (قنا) -دالاً على الميناء الحضرميّ الرئيس- المسمّى به في التوراة (سفر حزقيال)[1] أولاً، وفي عدد وفير من النّصوص النّقشيّة اليمنيّة القديمة. ولم يغب ذكره -كذلك- عن بال كثير من الكتّاب الكلاسيكيّين، وكان صاحب كتاب (الطّواف حول البحر الإرتيريّ) خير من تحدّث -من هؤلاء- عن ذلك الميناء، وما كان له من أهميّة اقتصادية عظيمة، وذلك في القرن الثالث الميلاديّ -على وجه التّقريب-، حيث أشار في كتابه إلى أنّ (قنا) ميناء في حضرموت مملكة (اليازوس-Eleasus) الذي عرّف به الباحثون بأنه (إل عزيلط) صاحب بلاد البخور، وهناك إلى الدّاخل -من هذه المملكة- مدينة (سبوتا)، أيّ: (شبوة) حيث يقيم الملك، ويحمل إليها -يعني إلى هذه المدينة- البخور على ظهر البعير (الجمال)، فكأنها مستودع له. ولها علاقات مع أسواق الشاطئ الإفريقيّ وفارس المجاورة والهند، ثم يذكر جملة من المنتجات والبضائع المستوردة التي كانت تصل إلى الميناء عينه، ومن ضمنها: القمح، والخمور والنحاس والقصدير، وغيرها إضافة إلى ما كان يجلب للملك خصّيصاً من حاجات أرستقراطية: كالفضة، والمنتوجات الحريريّة، والأوعيّة الذّهبيّة، والخيول، والتماثيل، وما إلى ذلك ثمّ يتحدث عن جزيرة (سقطرى)، فيذكر بأنها "كانت تابعة لملك حضرموت في ذلك الزّمن"[2] أي: (في القرن الثالث الميلادي تقريباً).

وكان ميناء (قنا) -منذ عصور أثيلة في القدم- ملتقىً للسلع المختلفة القادمة عن طريق البرّ والبحر، ولذلك كانت شهرته تزداد بازدياد وظيفته التّجاريّة ونشاطه الاقتصاديّ الدّؤوب، وممّا هيّأ له ذلك، وقوّى من مكانته الاقتصاديّة: تحصيناته الطبيعيّة، وحساسيّة موقعه الاستراتيجيّ، وقربه من مناطق حيويّة زراعيّة ومنتجه، هي من أخصب البقاع، وأكثرها غنىً بالمنتوجات المرغوبة لدى العالم القديم يومذاك، وخاصّة شعوب الشّرق الإفريقيّ والهند. وظلّ هذا الميناء على ما هو عليه من الازدهار، حتى كان سقوط الدّولة الحضرميّة تحت سنابك الخيول الحميريّة، فكان أن دانت أراضي حضرموت برمّتها لملوك (سبأ وذي ريدان) في القرن الرابع لميلاد يسوع عليه السّلام.

وعن اكتشاف ميناء (قنا) وخرائب قلعة عرماوية (حصن الغراب حالياً) تقول (جاكلين بيرن). كما جاء في تقرير (ولستد) أحد مكتشفي الموقع: "في صباح السادس من شهر أيار (مايو) من عام **1834**م، ألقينا المرساة على الساحل

---

1 - سفر حزقيال: الإصحاح 27، الآية24.

2- The Periplus : Secs 27-32 .

العربـــي، في ممر ضيق، قصير، مغلق من أحد جانبيه بجزيرة صغيرة منخفضة، ومن الجانب الآخر بصخرة ضخمة، قاعة، وعرة، ألقى عليها ملاّحنا اسم "حصن الغــراب".. وبالــنظر إلى أنّ ثمة خرائب بدت لنا على قمة هذه الصخرة، توجه فــريق منّا إلى الساحل بغية تفحّصها نزلنا إلى البر على طريق رمليّة امتدت إلى أسفل التل، فألفينا أنفسنا بين أطلال وأبراج ومنازل كثيرة"[1].

تقع موقع هذه الأطلال والخرائب على بعد أربعة (4) كم إلى الجنوب من (بير علـــيّ) الحاليّة، وهذا الموضع يتكوّن من صخور بركانيّة متماسكة، وعظيمة في علوهـــا وعلى ما يبدو فإنّ تلك الصخور -وهي مجتمعة كوحدة مترابطة- تشكّل في تماسكها المتين، كتلة واحدة، هي أشبه ما تكون بالأكمة الضّخمة، تجثم على قمـــتها قلعـــة (عرماويّة) المعروفة حالياً ب (حصن الغراب). وكانت هذه القلعة قديماً هي الحامية لمدينة (شبوة) وميناءها (قنا) في تاريخها القديم[2].

ومـــن غريـــب الصّـــدف أنّ الضّـــبّاط الـــثلاثة الإنجلـــيز -من بينهم (ولستد R.Wellested)- عـــثروا علـــى كتابة أثرية في الخرائب والأطلال الكائنة في هذا الموقع الحصين، هو نقش (CIH 621) حيث يعتبر من النقوش الهامة للغاية دوّنه قـــيلٌ مـــن الأقـــيال اليزنيّين، يسمّى (سميفع أشوع)، وفيه يتحدّث هذا القيل عن احـــتمائه ومجموعة كبيرة من أقيال القبائل بذلك الحصن المنيع. ولهذا فإنّ لهذا النقش قيمة أثريّة عظيمة، لأنّه وثيقة تاريخيّة نادرة بين أيدينا، تحدّثنا عن وقائع تاريخـــيّة ذات شأن عظيم، تعود إلى القرن السّادس الميلاديّ، وبالذات تلك التي جرت أحداثها أثناء الغزو الحبشي لليمن عام 525 م.

كما تمّ العثور على مجموعة أخرى من النّصوص النّقشيّة المفيدة (CIH 984. CIH 728). إضـــافة إلى ما اكتشف من بقايا مبانٍ، وأشلاء بيوت، وأطلال أبراج، وحصون، وصهاريج[3].

ج - ميفعة (نقب الهجر):

ورد الاســـم (مـــيفعه) فـــي النقوش على نحو (م ي ف ع ت)، وتفيدنا هذه الـــنقوش عينها بأنّ (يدع إل بيّن بن سمه على) قام بترميم أسوار مدينة (ميفعة)

1- جاكلـــين بـــيرن : " اكتشـــاف جزيرة العرب "، خمسة قرون من المغامرة والعلم، نقله إلى العربـــية: قدري قلعجي، قدم له: الشيخ حمد الجاسر. منشورات الفاخريّة - الرياض، ودار الكتاب العربي - بيروت، بدون تاريخ، ص 350-351.

J.R. Wellsted, Travel in Arabia, London, 1838, II, 421-426.

2- Doe Brain : " Port of Husn al-Qurab or Site of Qana " Centre of Ancient Archaeologycal Bulletin No. 3 , Aden July 1964 pp . 9-13 . .

3- R. Wellested : op.-cit, p.421...

هذه، ويبدو أنها ذاتها التي أطلق عليها كاتب الطّواف اسم (مفاريليس- Mapharitis)[1] وهي تقع على بعد (320) كم إلى الشرق من عدن، وتحتل موقعاً استراتيجيّا في الوادي المسمّى بالاسم عينه -أعني (ميفعة)- فكان أن جعلها هذا الموقع تتحكم في طرق القوافل المؤديّة إلى كلّ من (تمنع) حاضرة القتبانيّين، و(شبوة) عاصمة حضرموت (أنظر الخريطة رقم 7).

ومنذ عام 1835 م توافد العديد من أعلام الآثار المشهورين، إلى هذا الموقع، فكان (ولستد Wellested) أوّل من زاره[2]، ثمّ جاء إليه مؤخّرا طاقم البعثة الفرنسيّة، لاستكشاف ما ينطوي عليه من خبايا آثريّة.

وأوّل ما يصادفه الزّائر في هذا الموقع الأثري أنّ أطلاله وخرائبه تقوم على تلين، يصل ارتفاعهما فوق الوادي ما بين (6) و (7) أمتار تقريباً وهناك على التّل الغربيّ يشاهد المرء لتوّه أبنية مكشوفة ماثلة للعيان بل أنّ الموقع برمّته يبرز محصّناً تحصيناً متيناً، إذ هو محاط بجدار متين من الحجارة الكلسيّة المعمولة والمعمورة جيّداً والمتماسكة بناءً[3].

ومما كشفت عنه -أيضاً- البعثة المذكورة هنا: البوابتين المتقابلتين اللّتين تقع إحداهما على الجانب الشماليّ من الموقع والأخرى تقع على الجانب الجنوبيّ منه[4].

لقد ذهب كثير من الباحثين إلى الاعتقاد بأن هذه المدينة الأثريّة -أعني (ميفعة)- كانت هي العاصمة الأولى لحضرموت[5]، وذلك لما تتمتع به من مزايا وسمات، هي على نحو ما هو آت:

1-ضخامة بنائها، وكبر اتّساعها.

2-موقعها الاستراتيجي الحسّاس على طريق القوافل، وعند ملتقى شتّى الطرق.

وقوعها وسط أراضٍ زراعيّة خصبة، تحيط بها من كافة الجهات تقريباً.

---

1 -The Periplus , op. - cit , Sec , 31.

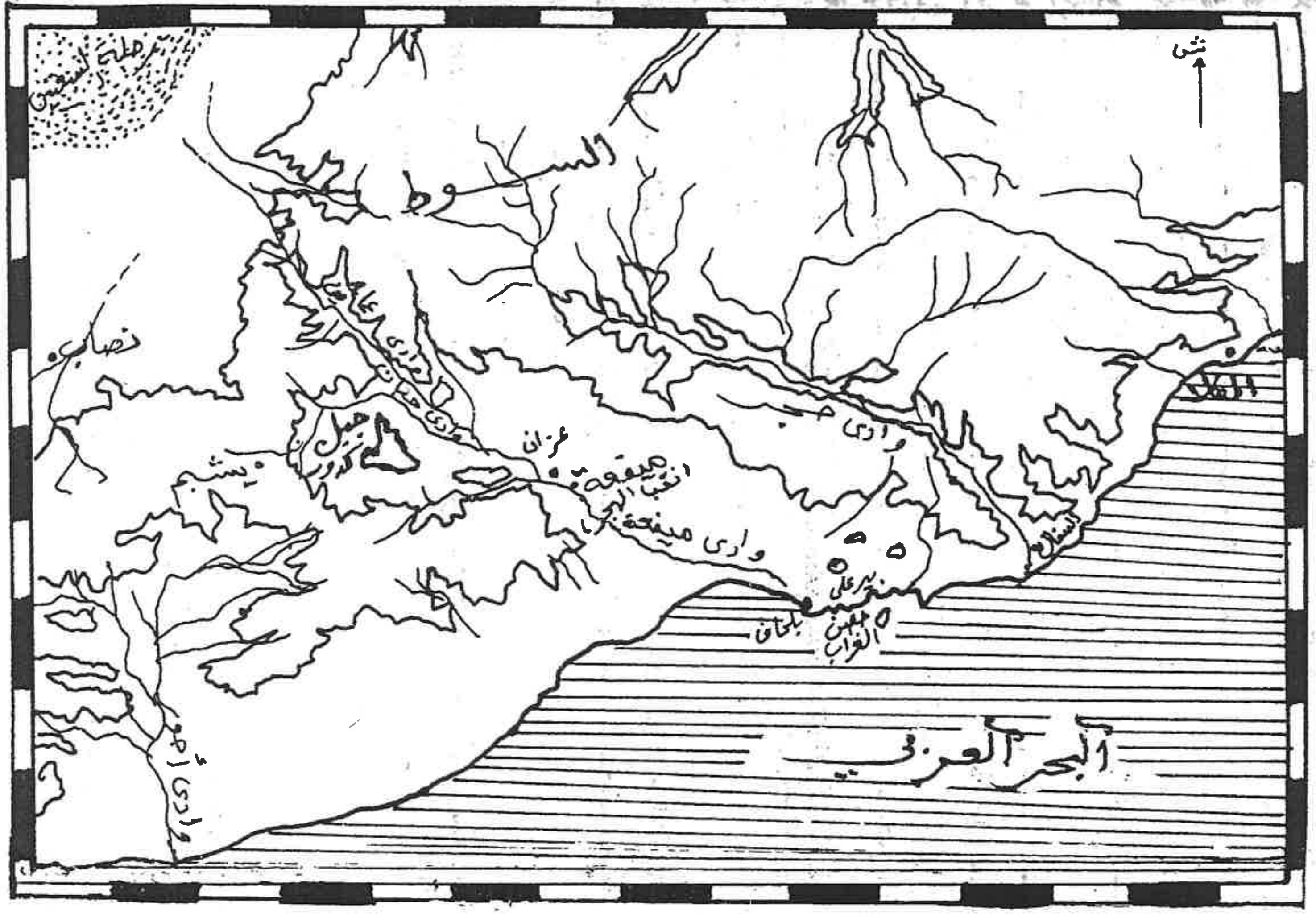
2-R. Wellested : op.-cit, p.421...

3- Breton . J. F , Robin . ch , Seigne J , Audouin . R : " La Muraille de Nagab Al -- Hagar (Mayfa'a) " Extrait de la revue Syria tome LXIV, 1987 , Paris , 1987 , pp 1 - 20 .

4 – Doe . B : Southern Arabia , pp 186-190.

أنظر أيضاً : بيرن: اكتشاف جزيرة العرب، ص353، 395، 401

5- Doe : Southern Arabia , p . 186 .



خارطة رقم (7):ميفعة البوابة الجنوبية لحضرموت

د- مواقع وادي حضرموت الأثريّة:

كشـفت بعثات التنقيب على عدد من المواقع الأثريّة الهامة، والمنتشرة على طـول وادي حضـرموت وفروعه الرئيسيّة (أنظر الخريطة رقم 8)، ونحصر هنا أبرز وأهم تلك المواقع:

1- ريـبون: وهي من المواضع التّاريخيّة الهامّة الغنيّة بمحتوياتها الأثريّة تقع على وادي (الهجرين) المتفرع من وادي دوعن أحد الروافد الجنوبيّة لوادي حضرموت، وفي هذا الموضع كشفت البعثة الفرنسيّة عمّا يلي من الآثار:-

أ- عـدد من المباني البديعة من أبرزها مبنىً كبير، قامت البعثة ذاتها بمسحه وتنظـيفه، فظهر أنه معبد لا يختلف في تصميمه وتخطيطه عن تلك المعابد المكتشـفة فـي كـلّ من منطقتي (باقطفة) و (مشغة) سوى أنّه يتكوّن من سـور، ومدخل على شكل سلّم (مدرج)، وقدس الأقداس أو المحراب (وهو بناء منعزل ومقفل واقع من وسط المعبد)[1].

ب- العثور على كثير من القطع الفخاريّة، والنقوش الوثائقية أيضاً.

ج- كما عملت البعثة السوفيتية في الموقع عينه وكشفت عن آثار متنوعة تعود لعصور مختلفة[2].

2- حريضة: منطقة تاريخيّة وأثريّة عريقة، أطلقت عليها النقوش اسم (م ذ ب م). وهـي تقع في الطرف الشرقيّ من وادي (عمد) أحد الفروع الجنوبيّة لوادي حضرموت أيضاً.

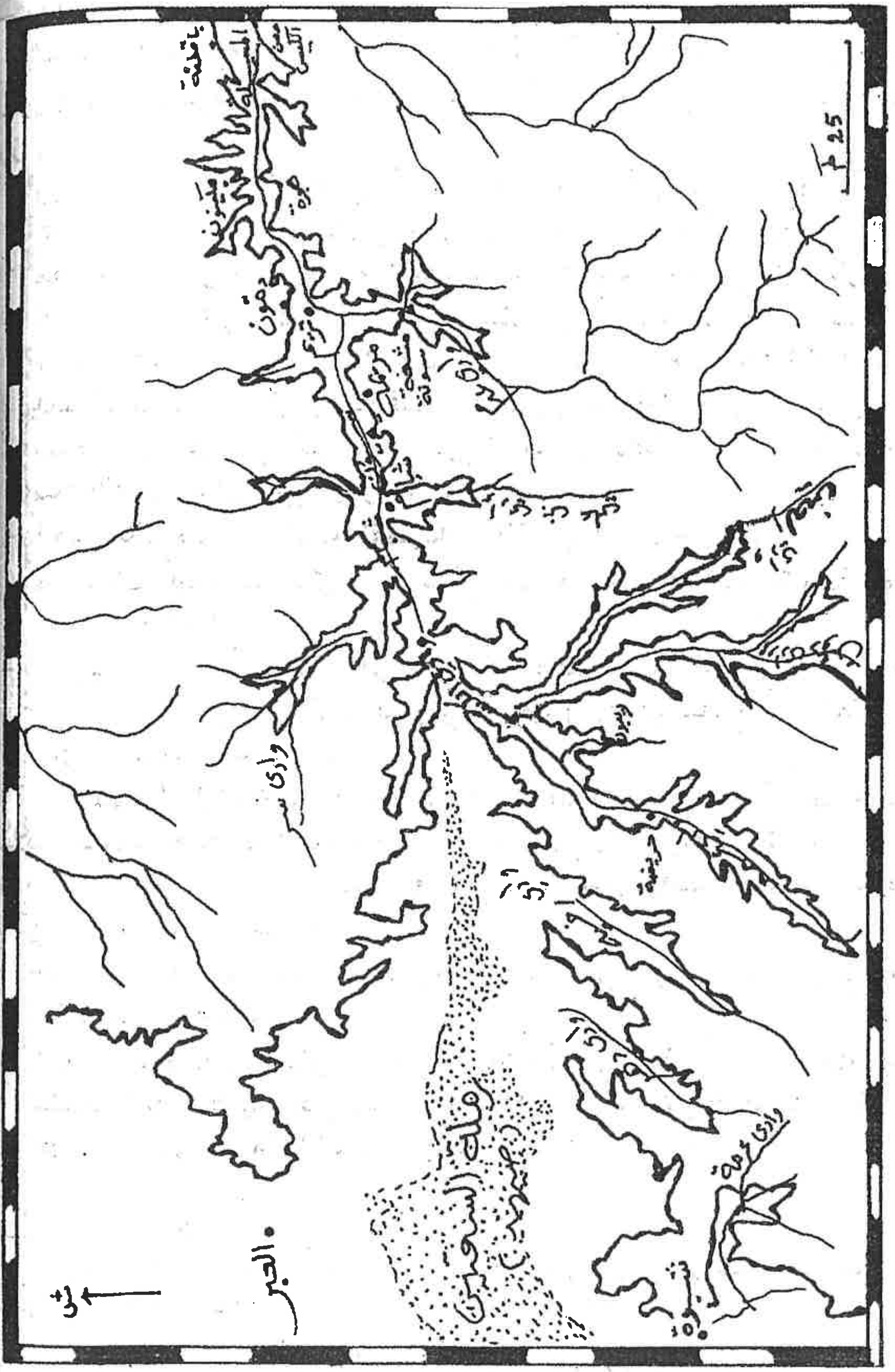
فـي عـام 1937م تولّت التنقيب في هذه المنطقة بعثة إنجليزية، مكوّنة من ثـلاث سـيدات هن: (كاتن تومبسون Thompson . C) و(فريا ستارك Stark. F) و(جاردنر Gardiner). فأسفرت تنقيباتها عن نتائج باهرة وقيّمة للغاية، إذ كشفت لنا في ذات الموقع عمّا يلي:-

أ- آثـار معـبد الإله (سين)، الذي يعود تأريخه إلى القرن الخامس ق.م وفقاً لتقديرات البعثة ذاتها.

ب- قـبور محفورة في صخور رسوبيّة، ومن ثمّ أجري حفر في قبرين مدوّرين مـنها، فعـثر فـيها على جثث آدميّة، وكثير من الأواني الفخاريّة، والقلائد النفيسة وغير ذلك من الأدوات الأخرى.

1- جـان فرانسوا بريتون وريمي أودوان وليلى بدر و جاك سيني: "وادي حضرموت تنقيبات"، المركز اليمني للأبحاث عدن 78-79 م ، بيروت 1980 ، ص 25 - 26.

2- راجع تقارير البعثة السوفيتية للأعوام 85 ، 86 ، 1987م.



خارطة رقم (8): وادي حضرموت

ج- بقايـا منشـآت زراعـيّة، ومجموعـة كبيرة من الفخار، والعديد من النصوص النقشيّة والمخربشات[1].

وهناك مواضع أثريّة أخرى في وادي حضرموت منها[2]:

1- (سونة): وهي موضع أثري، كائن في الضفة الشرقيّة لوادي (عدم).
2- (مشغة): وهذا الموضع يقع على الضفة الغربيّة لوادي (عمد).
3- (باقطفـة): يتموضع على الضفة الشماليّة لوادي حضرموت، وعلى مسافة بضعة كيلو مترات، إلى الغرب من قرية (سنا).
4- حصن (كيس): الواقع على طرف تلّ، بالقرب من قرية (سنا) أيضاً.
5- حصن (العرّ): يمثل قلعة حصينة، يراها المرء مستويّة على جبل كائن وسط وادي حضرموت بين (تريم) و (السوم).

هـ- البريّره:

مـن أقدم وأهم المواقع الأثريّة، يقع على وادي (جردان). وكان (فان وايزمن Von Wissmann) قد زار هذا الموقع في عام 1952م، وعثر فيه على:

- عدد من النّقوش.
- مجموعة من القطع الفخاريّة.
- ستّ وستين قطعة من العملات النّقديّة، من ضمنها قطعتان من شبوة[3].

و- إقليم ظفار* "عمان":

يتمتع إقليم ظفار. بموقع -استراتيجيّ واقتصاديّ- جليل الشّأن والأهميّة، منذ

---

1 -أنظر أيضاً

- Caton , Thompson . The Tombs ... p. 71 Rycumans. J:" Les fouilles du Hurayda (Hadramaut)" Museon LVII . 1944, p. 163-175.

2- بريتون، فرانسوا، وآخرون. وادي حضرموت تنقيبات ص أنظر أيضاً:

- Breton. J F: Rapport sur une mission Archeologique dans le wadi Hadramaut , en 1979 Academie des inscriptions et belles - lettres - paris 1980 pp . 57 - 80. Breton :" le Temple de SYN - D - Hlsm a Baqutfa" Raydan Vol 2 ,1979,pp. 185-202 .

3- Von Wissmann : al- Barira in Gardan , le Museon No : Lxxv 1962 . pp. 177-209.

- Drewes: Note Additiennelles au sujet d'AlBarira , le Museon No : Lxxv , 1967 . pp . 211-212.

*- يعـد إقليم ظفار حاليا من المناطق الجنوبية لسلطنة عمان، وما برح معروفاً بهذا الاسم حتى يومنا هذا.

عصـــور قـــبل التاريخ[1]. وإذا عدنا إلى النصوص النقشيّة المتوافرة لدينا، نجدها تطلق على ظفار اسم (سأكلهن).

وكان هذا الإقليم جزءاً لا يتجزأ من مملكة حضرموت في تاريخها الحضاريّ، وتاريخ الدّول والممالك اليمنيّة عموماً، بل كان أعظم المناطق التابعة لحضرموت المنـــتجة لأنواع الصمغيات آنذاك، ومنها المرّ واللبان، التي كان لها رواج عظيم فـــي العالم القديم. وهذا ما قرره (ويندل فيليبس W. Phillips) حينما كتب يقول: "لقـــد كانت حضرموت بلاد البخور، لأنها كانت مملكة مترامية الأطراف، تتوسط بلاد العرب، وتمتّد إلى ظفار أعظم المناطق المنتجة للبخور"[2].

الحفريات الأثريّة:

أ- موقع سمهرم (خورروري) حالياً:

وللتثبـــت مـــن تبعـــيّة (ظفار) سياسياً لمملكة حضرموت قديماً، قامت (البعثة الأمريكـــية لدراسة الإنسان) بتنفيذ ثلاثة مواسم أثريّة في الفترة الممتدة من عام (1952) إلـــى عام (1962)، حيث شرعت في تنقيباتها -بادئ ذي بدء- بمنطقة خـــور (روري)، وتحديـــداً فـــي الموقع الذي تطلق عليه النقوش اسم (سمهرم)، الواقـــع إلـــى الشرق من (صلاله)، بين قريتي (البلاد) و (مرباط)؛ حيثما الأطلال والخرائب قابعة في الشرق من هذا الخور إذ بدأ العمل في جزء من أطلال مدينة ساحليّة موغلة في القدم، قدّر عالم النّقوش (البرايت) عمرها التاريخي بما يقارب (2300) عـــام[3] وما أن رفعت الأنقاض في هذا الموقع، وتمّ إزاحة الخرائب عن موضعها؛ لتميط اللثام عمّا كان يختفي تحتها من آثار مذهلة حيث تم اكتشاف ما يلي:

1- معـــبد متكامل البناء والقسمات، كان ذا نظام دينيّ معقّد في مزاولة طقوس الطهارة من وضوء واغتسال.
2- العثور على مذبحين للقرابين، وعدد من القطع النّقديّة البرونزيّة، وكميّة من البخور القديم.
3- العثور على لوح برونزيّ، دوّن عليه نصّ نقشيّ من ستّة أسطر، ذو أهمية عظيمة، يعود تأريخه -فيما يرى (البرايت)- إلى القرن الثاني لميلاد يسوع علـــيه الســـلام أمّا أهميته -أعني هذا النص- فتتمثل في توثيقه اسم مدينة

---

1 -العربـــي خـــالد يحي: "الواقع التاريخي والحضاري لسلطنة عمان" دراسة ومشاهدات، بغداد (1986)، ص 304-305.

2- Phillps, W:" Unknown Oman", London, (1966) , p . 307.

3- Phillips: Oman, p. 188.

(سمهرم) للأجيال على نحو (س م ه ر م)[1].

ناهيك عن أنه يذكر لنا إله حضرموت الأكبر والرئيسي (سين ذا أليم) وهذا دليل واضح -لا ريب فيه- على أن إقليم (ظفار) كان جزءاً لا يتجزأ من مملكة حضرموت، ويؤكد في الوقت عينه ما كان بينهما من الصلة الحميمة.

ولمّا توغلت البعثة الأمريكيّة في حفرياتها التنقيبيّة داخل أبواب المدينة، عثرت هناك -أيضاً- على سبعة نصوص نقشيّة محفورة على أحد الجدران، وجميعها يذكر كلاً من اسم الملك الحضرمي (إل عزيلط) ومدينة شبوة[2] وهذا يدعم -في دلالته- طبيعة العلاقة التي سادت بينهما، وترابط بعضهما ببعض ربطاً وثيقاً على امتداد ثلاثة قرون من الزّمن، وهي الفترة الممتدة من مطلع القرن الأول إلى نهاية القرن الثالث للميلاد تقريباً.

وضمن تلك النّقوش التي عثر عليها صدفة: هناك نقش قدّمه صاحبه هديّة للإله (ودّ أب)، وهو ما يرجح في دلالته -أنّ جالية معينيّة أو أوسانيّة، كانت تقيم هناك، وتعبد الإله (ودّاً) وهذه الحالة تذكرنا بما هناك من حالات مماثلة لها في الممالك اليمنيّة القديمة الأخرى، وفي بعض المراكز التجاريّة العالمية حيث نقل المعينيون إلاههم (ودّ) إليها*.

ولقد كشفت لنا الحفريّات بوضوح تامّ أنّ مدينة (سمهرم) حصينة ومسوّرة، وعلى سورها برجان: أحدهما عند طرفها الجنوبيّ الشرقيّ، وثانيهما عند طرفها الشماليّ الغربيّ. ومن الطّريف أنّ السّور -في أغلب نواحيه- يتموضع على صخرة شديدة الانحدار اللّهم من ناحيته الغربيّة الشماليّة فإنه يقوم على أرض منخفضة يتساوى انخفاضها مع مستوى سطح الخور. وعلى أيّة حال فإن عرض جدار السّور في هذه النّاحية، يبلغ ثمانية (8) أقدام. وفي النّاحية ذاتها: هناك القلعة تقبع شامخة؛ لحماية المدينة من أيّ خطر يهدّدها، أو يمكن أن يداهمها من الاتجاه ذاته[3].

أمّا مدخل الخور فهو يتمتع بحماية طبيعيّة وفرها له ذلك المرتفع الصّخريّ الشّاهق الممتدّ في انبساطه بدءاً من طرف البحر مباشرة ولهذا لم يكن بإمكان أحد أن يرتقبه أو يجتازه إلا من النّاحية الشماليّة وعلى ظهر هذا المرتفع عينه:

1- Ibid: p. 188.

2- Ibid : p . 192

* عثر في مصر وفي منطقة (ددان) العلا حاليا، وفي جزيرة (ديلوس) اليونانية على نقوش مهداة للإله (ود)، تركها هناك بعض التجار المعينين. انظر (RES 3427 , RES 3570).

3- Phillips: Oman, p. 192.

كـــان هناك سور كبير يقبع لمزيد من إحكام مناعة الموقع برمّته[1] وما فتئت آثار ذلك السور المنيع ماثلة للعيان حتى وقتنا الراهن.

ب - موقع (حنون) الظفاري:

ولــم تكن الحفريّات الأثريّة لتنقيبات البعثة الأمريكيّة في الإقليم لتقتصر على مــنطقة خــور (روري) فقــط، أو على موقع المدينة (سمهرم) تحديداً، وإنّما تم التنقيــب أيضــاً في موقع آخر يعرف حالياً باسم (حنون)، وكان يطلق عليه في العصــور الأثيلــية اســم (سانان)، وهو من المناطق الغنيّة بأشجار البخور على امتداد تلك العصور، وفيه عثر المنقبون على الآثار التالية:-

1- نقــش ذو قيمة تأريخيّة عظيمة، لأنه يذكر لنا -موثقاً في ثنايا نصوصه- كلاً من الإله (سين) ومدينتي: (شبوه) و (سمهرم).
2- مبخرة يبلغ ارتفاعها قدماً ونصف القدم، وعليها تدوين لكتابة قديمة.
3- تسعة مستودعات فسيحة في طولها، كائنة في الرّكن الجنوبيّ الشرقيّ من مديــنة (ســمهرم)، أقرب في شبهها إلى مستودعات مخزنيّة على النحو المعلــوم لدينا في عصورنا الحديثة. وتعد هذه المستودعات أبرز ما كشف عنه من آثار في ثنايا أطلال، وتحت أنقاض خرائبها. ويذهب علماء الآثار إلــى أنّ هذا الموضع كان -على ما يبدو في سالف عهده- محطة للإقامة المؤقتة طوال موسم جمع اللبان[2].

ج- جزيرة سقطرى:

تمثل جزيرة سقطرى أحد المراكز التجارية البحرية الهامة منذ العهود الأثيلة، فقد جاء ذكرها في المصادر الكلاسيكية، كمركز تجاري هام يتبع دولة حضرموت، وقــد أطلــق علــيها (اجارثارخــيدس)، اسم "جزيرة السعادة"، ويتضح أن الاسم (سقطرى Socotra) مشتق من التسمية (ديفباسوخاترا Divpa Sukhatra) في اللغة السسكريتية)[3]. أما صاحب كتاب (الطواف حول البحر الارتيري) فقد أطلق عليها اسم (ديزكوريدا Discorida)[4].

تعــد جزيرة سقطرى من أكبر الجزر في البحر العربي، فهي تقع على مسافة (560) كــم مــن الساحل العربي و (800) كم جنوب شرقي (عدن) أقصى امتداد

1- Ibid.
2- Ibid, P. 192...
3- حوراني، جورج فضلو: "العرب والملاحة في المحيط الهندي"، ترجمة: يعقوب بكر، وتصدير يحي الخشاب، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، بلا تاريخ ص 62.
4- The Periplus... Sec, 30

لجزيـــرة (ســـقطرى) من الشرق إلى الغرب (135) كم ومن الشمال إلى الجنوب (42) كــم، وبالـــرغم من قربها من الساحل الأفريقي، إلاّ أنه ليس لها أية علاقة أنثروبولوجية بأفريقيا[1].

لقـــد كســـبت جزيرة سقطرى أهميتها التجارية من أولا: موقعها الاستراتيجي الذي يمثل حلقة وصل بين الهند واليمن القديم وشرق أفريقيا، فهي بمثابة محطة استراحة تتوقف عندها السفن قبل أن تنطلق إلى الهند. ثانيا: أهمية ما تنتجه من سلع مرغوبة حيث يزرع بها أنواع من البخور، يرى(N. Geoom) أن في سقطرى وحدها يزرع ثمانية أنواع من البخور[2].

ويوجد بها أيضا أنواع الصبر الذي أرتبط اسمه باسم الجزيرة وسمى بالصبر السقطري، ويتوفر بها الصمغ والأعشاب الطيبة النادرة مثل "شجرة دم الأخوين، وتـــنمو في هذه الجزيرة نباتات تستخدم في صناعة العقاقير الطيبة وفي صباغة الملابس.

وبالـــرغم من أن صاحب كتاب (الطواف) لم يتحدث عن تصدير سقطرى لأي نـــوع مـــن تلـــك السلع، الأنة ذكر تبعيتها لملك حضرموت مما جعلنا نستنتج أن سـلعها تصـــدر دون أدنى شك عبر الميناء الرئيس لدولة حضرموت ميناء (قنا) مـــثل ما كان يحصل لبخور ظفار (عمان) والتي كانت تتبع ملك حضرموت، حيث ينقل اللبان منها إلى ميناء (قنا) للتصدير[3].

1-Bafaqih: Lunification... P.241

2- Groom: op. cit, p. 104-105.

3-Bafaqih: Lunification. p.241.

أولاً:

ثانياً:

ثالثاً:

رابعاً

خامس

الفصل الثالث

دولة قتبان

أولاً: الموقع الجغرافي

ثانياً: التكوين السياسي للدولة القتبانيّة

ثالثاً: نظام الحكم في دولة قتبان

رابعاً: قتبان و جيرانها

خامساً: آثار قتبان

أولاً:
إلـ
شرق
قد ضـ
حالياً
زمنيّة
القتبا
لنشاط

ثانياً:
اخـ
كيانهـ
ق.م،
وجود
الكيا
البعثة
إيجابـ
(هجر
متقنة
أنها فـ
(البرا
بدائيّة
سيره
مقلوبـ
من أ
و
درا
القديم
لطبقا
في تل
فقد ا

أولاً: الموقع الجغرافي

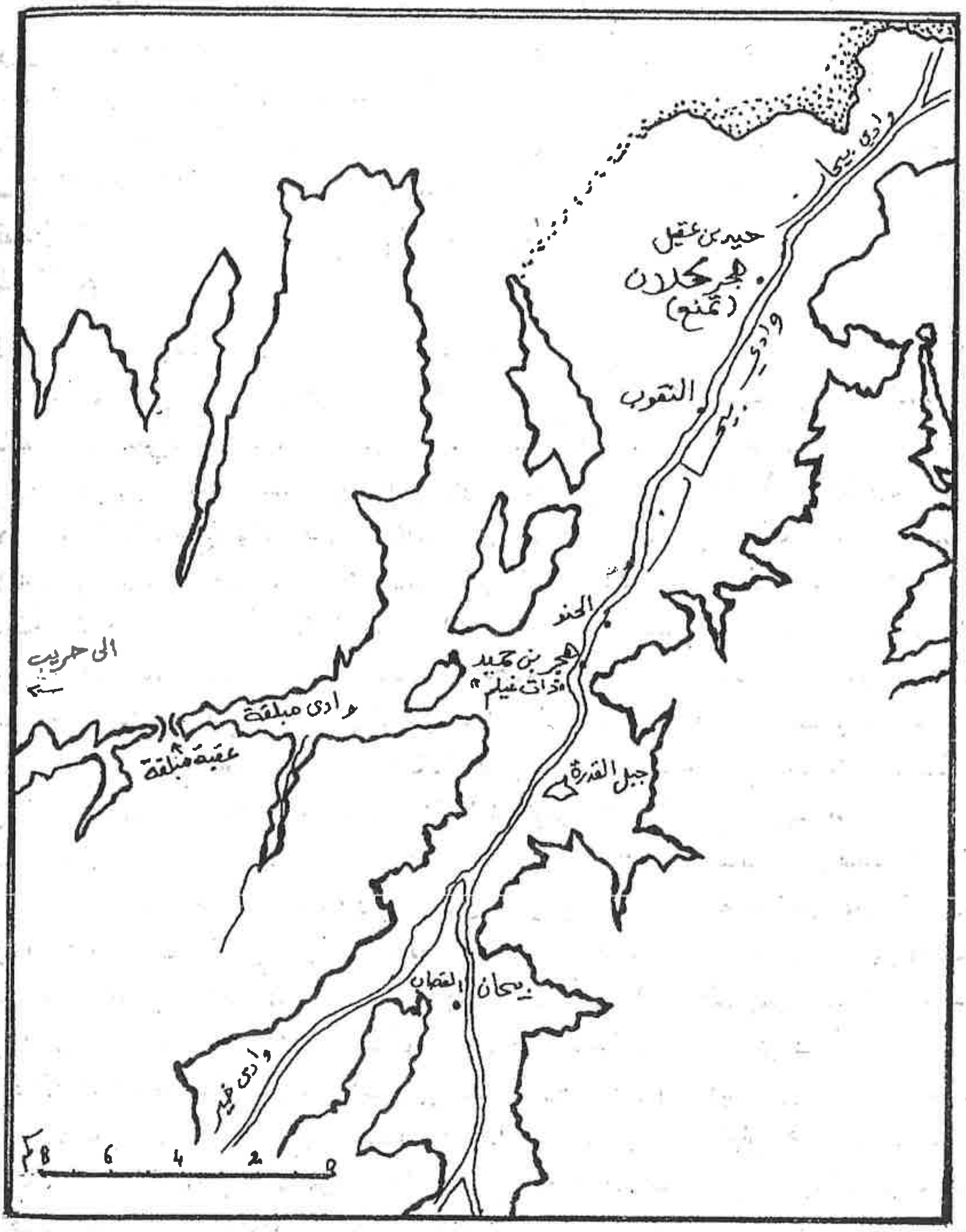
إلى الجنوب الشرقيّ من دولة سبأ، وتحديداً على وادي (بيحان) الواقع شمال شرق عدن، على بعد 300 كم تقريباً، قامت دولة قتبان، التي كانت في الوقت ذاته قد ضمّت إليها كلاً من وادي (حريب) غرباً، ووادي (مبلقة) ووادي (آخر) يسمّى حالياً وادي (خر) (أنظر خريطة رقم 9). ومن ثمّ أخذت هذه الدّولة -في فترات زمنيّة لاحقة- تمتّد وتتسع رقعتها الجغرافيّة، ومن أول وهلة لقيامها اتّخذ القتبانيون من (تمنع)- المعروفة اليوم ب (هجر كحلان)- عاصمه لهم، ومركزاً لنشاطاتهم.

ثانياً: التكوين السياسي للدولة القتبانيّة

اختلفت رؤى الباحثين في تحديد البداية الأولى لانطلاق القتبانيّين في تأسيس كيانهم السّياسيّ، فمنهم من يرى أنّ تلك البداية كانت في منتصف القرن التاسع ق.م، ومنهم من يرى أنّها تعود إلى القرن السابع ق.م. ولكن آثار القتبانيين في وجودهم الاجتماعيّ، ونشاطهم الاقتصاديّ، تفرض علينا أنْ نرجع نشوء ذلك الكيان إلى تاريخ أبعد بكثير من ذينك التاريخيين المذكورين آنفاً هنا، ذلك أنّ البعثة الأثريّة الأمريكيّة تمكّنت من إزاحة الستار عن هذا الأمر، فقدّمت لنا نتائج إيجابيّة بصدده، حسمت الخلاف فيه، وقطعت الشك باليقين حينما عثرت -في (هجربن حميد)- على نصوص قتبانيّة من مخربشات نقشيّة (أي نصوص غير متقنة في رسمها النقشي)، تتّجه كتابة سطورها من اليسار إلى اليمين مما يعني أنها قديمة العهد، ناهيك عمّا أثبته عالما النقوش الأمريكيّين: -(جام Jamme) و (البرايت Albright)- وهما من أعضاء البعثة ذاتها- فيما أبدياه من تأكيدات على بدائيّة هذه المخربشات، سواء في أشكال حروفها أم في رسمها الذي لم يلتزم في سيره اتجاهاً ثابتاً، نرى منها ما يميل يميناً، ومنها ما يميل يساراً، وبعضها مقلوب، وبعضها الآخر قد رسم على جانبه ويرجع علماء النقوش هذا المنحنى من أسلوب الكتابة إلى القرن العاشر أو الثاني عشر ق . م . تقريباً[1].

وإذا تتبعنا ما كتبه كل من (فان بيك Von Beek) و (باون Bowen) من دراسات عن هذا الموضوع، نجدهما -فيما توصلا إليه- يزكيّان هذا الوجود القديم لكيان القتبانيّين سياسياً واجتماعيّاً واقتصاديّاً. فقد قام (فان بيك) بدراسة لطبقات العمران في (هجر بن حميد) وكيفيّة تتابع الفخار في أقدم ما كان سائداً في تلك الطبقات الأثرية -إلى القرنين الحادي عشر و العاشر ق.م- أمّا (باون) فقد انطلق يدرس الطمي الزراعي، ومنشآت الرّي في المنطقة ذاتها، فاستنتج أنّ

1-Albright , W . F : The Chronology ... pp . 5 - 15 .



خارطة رقم (9): وادي بيحان

عمليات الإرواء في وادي بيحان ترجع خلفاً إلى منتصف الألف الثاني ق.م، بل يمكن أن نذهب أبعد من هذا التاريخ ويبيّن لنا في دراسته أيضاً أنّ هناك استيطاناً ثابتاً، قد شرع في الظهور منذ أواخر تلك الفترة[1].

ويضيف (ويندل فيليبس W. Phillips) -إلى ما ذكره كل من (فان بيك) و(باون) هنا- رؤية افتراضية الاحتمال، استنبطها من ملاحظته لطبقات المباني في المدن القتبانيّة القديمة، مفادها -أعني هذه الرؤية- أنّ بناء بعض تلك المباني قد تمّ في أواسط الألف الثاني ق.م[2]. وبتحديد الفترة التاريخيّة لانطلاق القتبانيّين على هذا النحو يكون (فيليبس) و (باون) متفقين على كون بداية الاستيطان في وادي (بيحان) إنما تعود إلى منتصف الألف الثاني ق.م، إلاّ أن للباحثة (جاكلين بيرن J. Pirenne) وجهة نظر أخرى[3] تخالفها في هذا التحديد.

ومع هذا نرى أنّ نقش النصر (RES 3945) = (Glaser 1000) يبرز لنا أقدم ذكر لقتبان باسم (ولدعمّ)، إذ نجدها مذكورة فيه مع دولة (أوسان)، التي كانت هدفاً رئيسياً للحملات الحربيّة، التي شنّها المكرب السّبئيّ (كرب إل وتر) عليها في القرن السابع ق.م. وكان من نتائج تلك الحروب: أن تمكّنت قتبان من الاستيلاء على عدد من الأراضي والمناطق التابعة ل (أولاد عمّ)، وهي أوسان، ودثينة، ودهس (يافع)، وتبنو (تبن). وهذا يعني أنها بسطت نفوذها على مساحات شاسعة من الأراضي الزراعيّة الخصبة، التي كانت ترويها العديد من الأودية الغزيرة (أنظر خريطة رقم 10)، ولا ريب أنّ تلك الأراضي كانت مصدراً لتصدير المرّ، وموطناً لأشجاره. ولم تكتف قتبان بالاستيلاء على كل تلك المناطق، بل راحت تسيطر تماماً على كافة الشريط الساحلي الممتد بمحاذاة المحيط الهندي[4].

ثالثاً: نظام الحكم في دولة قتبان

بدأ الحكم في الدّولة القتبانيّة بالنهج نفسه الذي سارت عليه، وبدأت قديماً سائر الممالك اليمنيّة الأخرى، إذ تلقب حكامهم الأوائل بلقب (مكرب). إلا أنّ هذا النهج أخذ يتغيّر بعض التغيّر في سلّم التطور، منذ بداية القرن الرّابع ق.م. فيما

1- Lebaren Bowen : " Irrigation, pp . 199 - 207.

2- Wendell Phillps : " Qataban and Sheba Exploring Ancient Kingdoms , on the Biblical spice Route's of Arabia " London 1955 , p . 120 - 121 .

3- Pirenne J : " Chronique d'archeologique sud - arabe , 1955 - 1956 ,dans, Annales D'ethiopie No II , 1957 . p 37 - 40 .

4- Wendell Phillips : Qataban... , p. 221.

يرى (البرايت Albright) -فمن حينها انطلقوا يتلقبون بلقب ملوك[1]-. ومع هذا فإنّ هناك من ملوكهم من بقي متمسكاً بلقب (مكرب) إلى جانب لقب (ملك)[2].

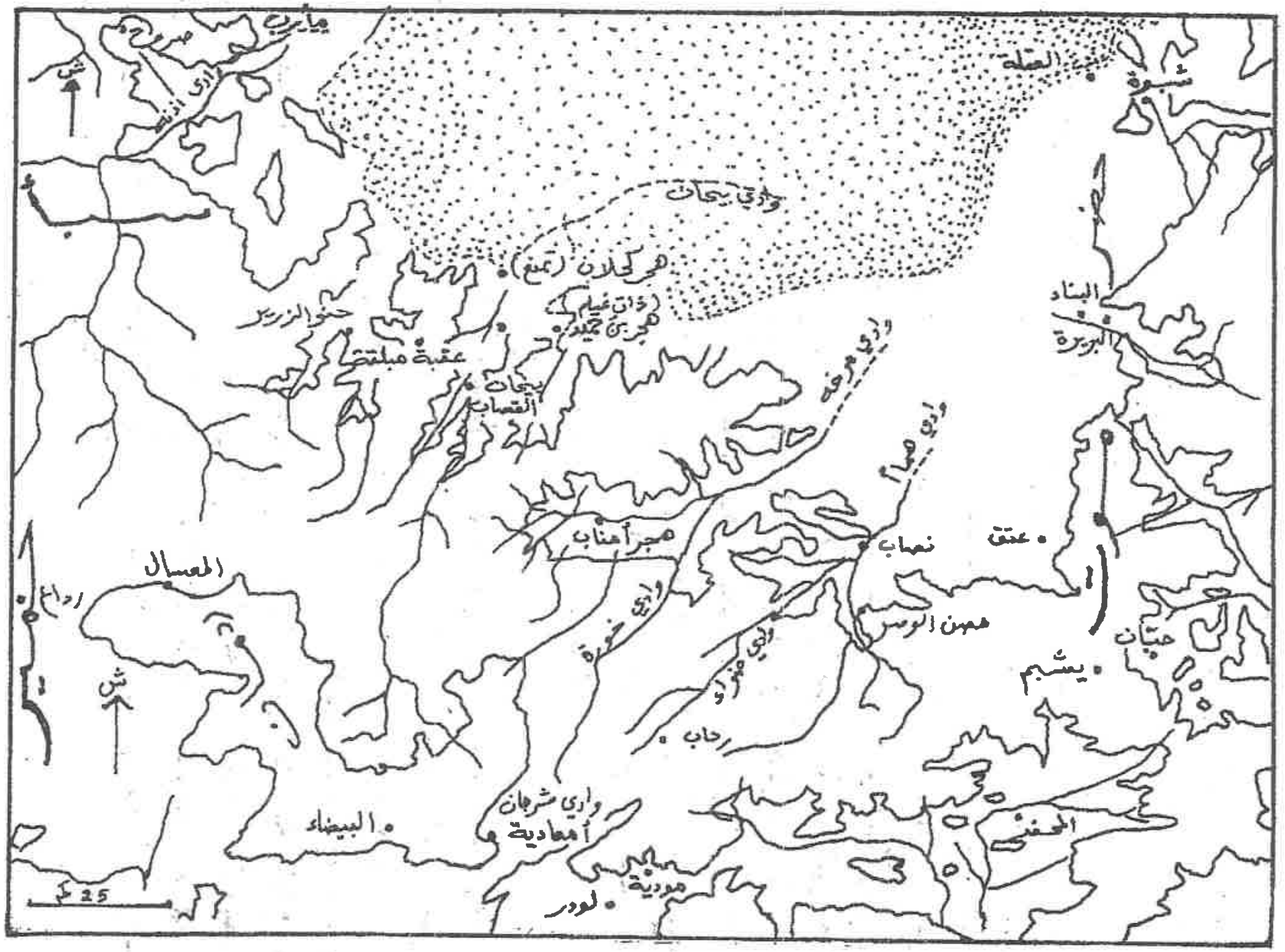
أمّا إذا نظرنا إلى طبيعة الحكم في قتبان، فإنّه كان يقوم على النظام الوراثي، كحال ما كان سائداً في الدّولة السبئيّة تماماً. وإبّان الملكيّة تكوّن -في قتبان- مجلس للأعيان من شيوخ القبائل، ورجالات الدّولة، وكبار موظفيها، أطلق عليه اسم (م س د) أو (مسود) وحينها جرت العادة على أن يجتمع هذا المجلس- بدعوة من الملك- مرتين كلّ عام، على الأغلب، في العاصمة (تمنع).

أشهر ملوك القتبانيّين:

1- من أشهرهم في القرن الثاني ق.م تقريباً "يدع أب ذبيان" الذي قام بعدد من الإنجازات العظيمة، أهمّها:

- شق الطرقات من أجل أحكام السيّطرة على التجارة الخارجيّة، وتشجيعها، والإشراف المباشر عليها، وكان هذا المجال من مشروعات الأعمال التي تقوم على أسس من التخطيط الهندسيّ، كما يفهم من نقش (Glaser 1600) الذي يبيّن لنا أنّ هذا المكرب كان قد شقّ طرقاً معبّدة في أماكن جبليّة وعرة، كانت تستوجب إحداث فتحات كبيرة (أو ثغرات واسعة) في الصّخور الضّخمة وتشكّل في نهاية الأمر نفقاً طويلاً على امتداد الطريق، تمرّ فيه القوافل التجاريّة، ويصل بين طرفي امتدادها. وكان الذي صمّم هذه الأعمال من هندسة الطّرقات رجل متخصص فيها، ينتمي إلى (آل مدهم)، واسمه (أوس بن يضرعم)، وكان -كما يبدو- من كبار مهندسي الدّولة، وذوي العلم والخبرة في فتح الأنفاق وشقّ الطرقات إذ تمّ رصف الطّريق وتبليطها وإنجازها على خير ما يرام وهاكم ممر (عقبه مبلقة) الجبليّ -الّذي يصل وادي (بيحان) بوادي (حريب) عبر سلسلة الجبال الواقعة هناك -ما يزال ماثلاً للعيان، كشاهد حيّ على تلك الأعمال، ونموذج رائع لها.

1-W.F Albright : The Chronology ..." p. 5-15 .
2-Ibid .



خريطة رقم (10): قتبان ولد عم أوسان

إذ كانت أرضية هذا الممرّ -البالغ امتداده نحو ثلاثة أميال، وباتساع يتراوح ما بين أربعة إلى خمسة أمتار، قد مهدت بأحجار عريضة صلبة، وكانت القوافل القادمة من (تمنع) والقادمة من (عدن) إلى نواحي مأرب تعبر هذا الممرّ بسهولة ويسر ناهيك عمّا أقيم من أحواض للمياه على طرفي خط هذه الطريق الطّويلة، لخدمة القوافل وسقاية المسافرين والإبل، ولم يكن هذا المشروع هو الوحيد فيما أنجزه القتبانيّون من طرق، وإنّما هناك كثير غيرها، قاموا بتمهيدها وتعبيدها.

- تجديد بناء بيت الإله (ودم)، (ود) وكان هذا من الأعمال العمرانيّة التي نفّذها المهندس نفسه، المشار إليه آنفاً، بتكليف من المكرب نفسه (يدع ال ذبيان)، كما ورد في النقش السالف الذّكر، الذي يذكر لنا عدداً من الآلهة، من أبرزهم: (عثتر)، (عمّ)، (انبي)، (حوكم)، (ذات رحبن)، وغيرهم.
- ما سنّه الملك ذاته من قوانين جزائية، لتثبيت الأمن والاستقرار في قتبان، وهذا ما يثبته لنا نقش (RES 3878)، الذي عثر عليه في البوابة الجنوبيّة للعاصمة (تمنع)، فقد وثّق لنا النقش -فيما وثّق- قانوناً جزائيّاً؛ حدّدت فيه عقوبة القتل، مضمونها أنّ القاتل يحرم من كل الحقوق المدنيّة والدينيّة، لخروجه عن القانون بارتكابه جريمة القتل، فإذا ما تجاهل ما يقتضيه هذا الحكم، بإصراره على البقاء في قتبان، أباح الملك دمه، دون أن يترتب على قاتله أيّة عقوبة أو ملامة البتّة.

2- الملك شهر هلال بن يدع أب:

واصل الملك (شهر هلال) إنجازات أبيه (يدع إل) في مجال التجارة وحمايتها، فقد وجدت مسلّة حجريّة صغيرة داخل العاصمة (تمنع)، سجّل عليها نص نقشي (RES 3540) هو عبارة عن مرسوم تشريعيّ، ينظم التّجارة الدّاخليّة، والضرائب، لضمان حقوق الدّولة من الضرائب التّجاريّة، وحماية مصالح المواطنين من التجار والمستهلكين، وتركيز التّجارة في العاصمة (تمنع) وبالذات في سوق (شمر)، ناهيك عما ينبغي أن يلتزم به التّجار الأغراب من تبليغ الدّولة عن شئون تجارتهم، سواء للإذن بممارستها، أم لتحديد الضّرائب عليها.

وكان (بيستون Beeston[1]) قد قام بدراسة هذا المرسوم القانونيّ، ومن ثم لخصه في نقاط نوجز أبرزها:-

---

1- Beeston . A . F . L : " The Mercantile code of Qatban . part of Qahtan " : studies in old south Arabian Epigraphy, Luzac, London Fascicule I of 1959, and Fascicul 2 of 1971. : أنظر أيضا لنفس المؤلف -Katabān, dans Encyclope`die : de l'islam (nouvelle e'dition) , tome 4 , 1978 , pp . 775.

1- تركيز التّجارة وحصرها في الموضع المسمّى (شمر)، وهو سوق (تمنع).
2- حظر عمليّات البيع والشراء ليلاً، لضمان جباية الضّرائب، والرسوم المفروضة على التّجارة.
3- تركيز التّجارة في أبناء قتبان الأصليّين، وفرض رسوم إضافيّة على غير القتبانيين.
وانتهى المرسوم بالنّص على أنّ للملك حقّ السّيادة على كلّ معاملة، وكلّ تجارة تجري في منطقته، وهذا أمر ينبغي على كل ملك لاحق أن يعمل به، ويسير عليه.

وإلى جانب عناية القتبانيين بالتّجارة وطرقها، عنوا أيضاً بالزراعة فأقاموا مشاريع للري في وادي (بيحان) و (حريب). فقد كشفت البعثة الأثريّة الأمريكيّة في وادي (بيحان) عن قناة رئيسيّة تمتدّ مسافة طويلة، ولها مصارف تتحكّم في مياه السيول، وتقوم بتوزيعها على الجداول الفرعيّة التي كانت تشكّل شبكة منتشرة في الأراضي الزراعيّة الواقعة على جانبي الوادي. ويرجّح الباحثون أن تكون هذه القناة قد أنشئت في القرن الخامس ق.م. تقريباً. وهم يذهبون أيضاً إلى أنها ظلّت تؤدّي وظيفتها حتّى القرن الأول لميلاد يسوع[1].

ومن مؤسّسات الرّي التي شيّدها القتبانيّيون: حفر الآبار، وبناء الصهاريج التي ما انفكت معالمها ماثلة العيان حتى يومنا هذا.

رابعاً: قتبان وجيرانها

شهدت العلاقة بين قتبان وجيرانها أطواراً مختلفة، وانعطافات متباينة، من المدّ والجزر، من الهدوء والاحترام المتبادل تارّة، والصراع والحروب تارّة أخرى فكانت، تتأرجح بين صداقة حيناً، وعداء حيناً آخر، وأحياناً تكون وسطاً لا هذا ولا ذاك، واقفة عند حدّ الحياء، أو الحياد وكان هذا التّأرجح يخضع لتأثيرات الأحداث على سيادتها، أو الموقف من مصالحها، وبما ينسجم مع ما يستجدّ من ظروف سياسيّة ومواتية أو متقلّبة، وهذا أمر طبيعيّ في العلاقات بين الدّول.

وقد مر بنا كيف وقفت موقفاً تضامنياً مع (سبأ) إبّان حربها مع (أوسان) في عهد الملك السّبئي (كرب إل وتر) في القرن السابع ق.م، وكيف كافأها على ذلك الموقف (RES 3945). ومع هذا فانّ تلك العلاقة التّضامنيّة بين الدّولتين –سبأ وقتبان– لم تدم طويلاً، فلم تستمر على ما ساد بينهما من وفاق ووئام! وإنّما دبّت الصّراعات السّياسيّة بينهما فيما بعد، وراحت تتصاعد تدريجيّاً، وتشتّد بين الفينة والأخرى، إلى أن تأزم الموقف تماماً، و بلغ السّيل الزّبى في مجرى تصدّع العلاقة بين الطرفين، وتدهورها نهائيّاً. وكان هذا أمراً بديهيّاً بحكم حساسيّة

1- Bowen : Irrigation - pp . 43 - 88 .

جوارهما، حينما نشأ التنافس بينهما، حتى انتهى بـهما إلـى حتمية الصدام المسلح، وفي نهاية المطاف تمكنت قتبان من حسم الصراع لصالحـها، ومدت نفوذها إلى مساحات شاسعة من الأراضي السبئية (أنظر الخريطة رقم 11).

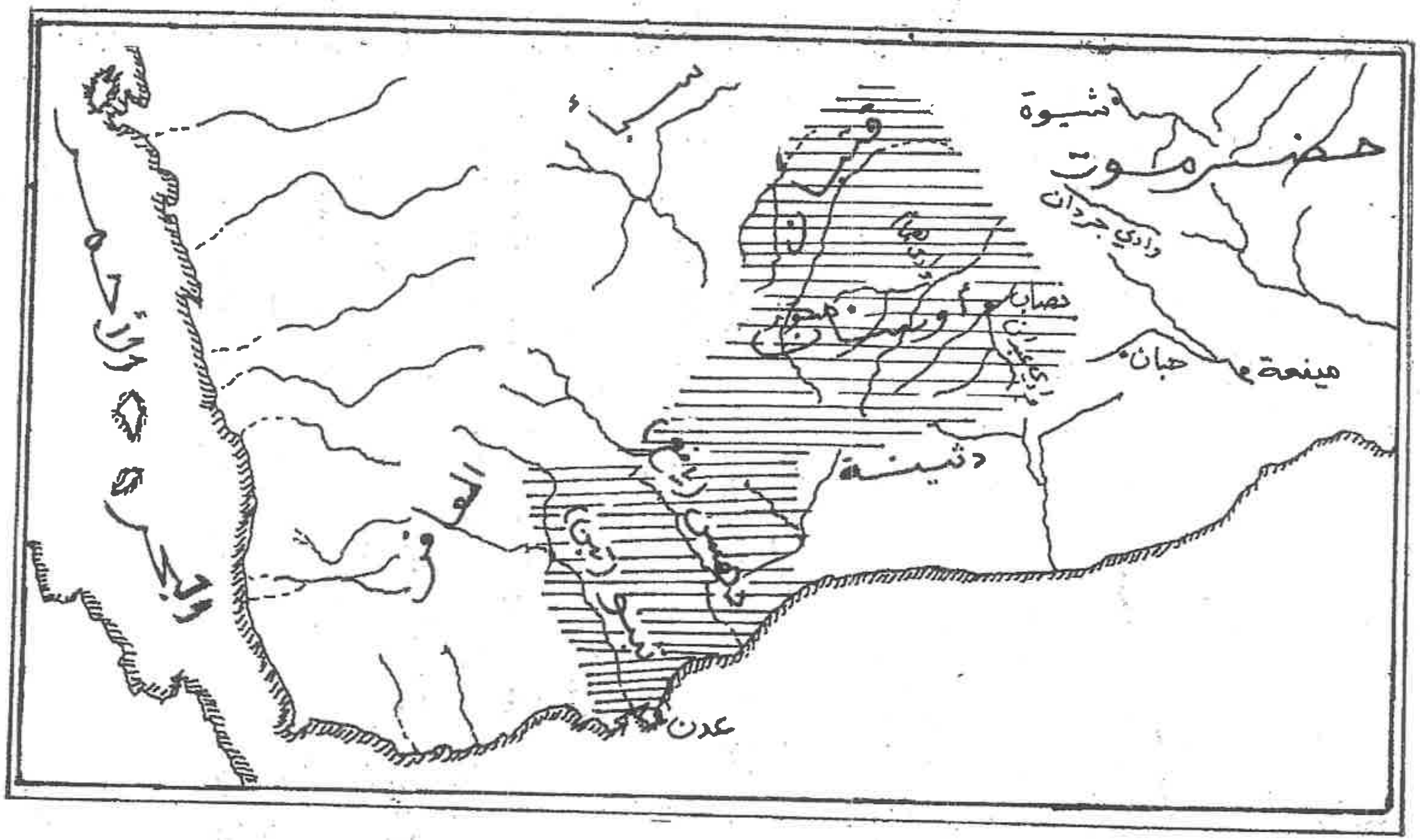
وبعد ذلك عاش القتبانيون فترة ازدهار جديدة في عهد ملكـهم (شـهر يجل يهرجب) الذي يؤرخ حقبة حكمه إلى حوالي 125 ق.م، وفقا لما نشره (فان بيك) من تسلسله التاريخي[1]، ومن حينها راحت قتبان ترنو إلى دولة (معين)، فراحت تعقد معها حلفا، هدفت من ورائه -كما يبدو- تضييق الخناق على دولة (سبأ)، إلا أن هذه الأخيرة لم تمهل دولة (معين) كثيرا، إذ سرعان ما انقضت عليها في الوقت الذي كانت فيه (قتبان) تدافع عن أراضيها من خطر جديد يهددها، وأخذ يداهمها، آلا وهو قبائل (حمير).

ومع نهاية القرن الأول ق.م، راح الحميريون يضمون كثيرا مـن الأراضي القتبانية اليهم، فتمكنوا من السيطرة كاملا على الشريط الساحلي الجنوبي، فنتج عن ذلك أن فقدت (قتبان) سيطرتها على التجارة البحرية تمامـا، كما سيطر الحميريون أيضا على أرض (ردمان)[2].

وفي مرحلة بعينها من القرن الأول الميلادي راح الملـك القتبـاني (وروءإل غيلان يهنعم) يسك عملة نقدية، تحمل اسم قصره (حريب)[3]. ويبدو لنا من نقش (RES 4329) إن أخا له يدعى (فرع كرب يهوضع) قد تولى الحكم[4]. ومن بعده توالى على عرش (قتبان) كثير من الملوك، من أبرزهم: الملك (شهر هـلال بن ذرأ كرب) الذي أصدر مرسوما ملكيا، موجها إلى كبير العاصمة، يطلب منه القيام بتحصيل الضرائب من ساكني منطقة (سرو)، ومزارعي أراضيها، آمـرا هـؤلاء المزارعين بالالتزام الصارم بما نص عليه هذا المرسوم.

وفي عهد الملك (شهر هلال يهقبض) تعرضت (تمنع) لحريق، لم يعرف سبب نشوبه، أو المتسبب فيه، وكان وقوعه في الفترة ما بين الأعوام (90 إلـى 100م) تقريبا، كما يرى (فون وايزمن)[5]، إذ كانت البعثة الأثرية الأمريكية قـد عثرت على آثار ذلك الحريق أثناء ما قامت به من حفريات في المنطقة ذاتها وقد اتضح لنا تاريخيا أنه على أثر هذا الجريق – وما كان قد سـببه مـن خـراب شـامل للعاصمة (تمنع).

1-Albright , W.F : The Chronology ... , p. 5 -15 . أنظر نقش (RES 2999) .
2-Van Wissmann : Himyar .. p. 431 , 442 .
3-Phillips , W : Qataban ... p . 220 .
4 – بافقيه : تاريخ اليمن ، ص 35.
5-Wissmann : Himyar .. p. 465 .



خارطة رقم (11): قتبان بعد حروب "كرب إل وتر" على أوسان

ومما يلفت الانتباه أن نقش (Ja 629) يذكر لنا أن الملك (نبط يهنعم إبن شـهر هلال) كان معاصرا لملكين من ملوك (سبأ و ذي ريدان) همـــا: (سـعد شـمس أسرع) وأبنه (مرثد يهحمد)[1].

والملاحظ أن (قتبان) في هذه المرحلة من تاريخها أخذت تدخل في طور مـــن الضعف والإنـهيار، اذ اتجهت إليها أنظار الأقوياء من الممالك اليمنيـــة الأخـــرى، التي راحت كل واحدة منها تبحث عن نصيب لها من المنـــاطق القتبانيـــة، لتمـد نفوذها فيها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا. وقد أوضحنا فيما سبق من حديث كيـف تمكن الحميريون من توجيه ضارباتهم الموجعة المتلاحقة إلى دولة (قتبان)، ممـا جعلهم يتوغلون في الشريط الساحلي الجنوبي. وفي ظل هذه الأجـــواء السـاخنة تهيأت لدولة حضرموت ظروف مواتية، إذ وجدت أمامها الفرصة سانحة لأن تمد سلطانها فعلا على حساب القتبانيين، فسيطرت على أجزاء من أراضيهم، وتمكـن الملوك الحضارمة من بناء مدينة (ذ - غيلم) فيما استولوا عليه مـــن الأراضـي القتبانية[2]، التي صارت مركزا لإقامة الملك حيث شيد له قصر فيها، وتسمى حاليا (هجر بن حميد)، (أنظر الخريطة رقم 9).

أما انهيار قتبان بصورة كلية ونهائية، فقد كان مـــع نهايـــة القـــرن الثـــاني الميلادي حينما وجه إليها السبئيون والحميريون -في آن معا- (ملوك سـبأ وذي ريدان)، ضرباتهم القاتلة والساحقة.

خامسا: آثار قتبان

العاصمة (تمنع):

يستطيع المرء أن يشاهد أطلال هذه العاصمة التاريخية وخرائبها المنتشرة في مساحة واسعة من الأرض، وذلك في المنطقة المعروفة حاليا ب (هجر كحـــلان) الواقعة على وادي بيحان، بالقرب من (النقوب). وكان المؤرخ (بليني) قد وصف أهميتها بعبارة أراد أن يخلدها فيها فقال: "إنها تحتوي على (65) معبدا"[3] ومـــهما يكن من صحة هذه العبارة أو المبالغة فيها، فإن ما تبقى من آثار المدينة إنمـــا يشهد على أهميتها، ذلك أن المدينة ذاتها كانت قد أنشئت على ربوة مرتفعة إلـــى حد ما وهاكم تصنيفا لأبرز ما تبقى من معالمها، وشواهدها السطحية على نحـــو ما هو آت:

1-W . Phillips : Qatban . . p . 221 .

2-Beeston : Epigraphic and Archaeological Geanings from South Arabia , dâns oriens Antiqus I Rome 1962 , pp. 47 - 49.

3-Pliny , Natural History , Bk. 6 , 32.

- بوابات السور:

تم الكشف عن بوابتين للسور، إحداهما في الجنوب الغربي من العاصمة، أخرى في الجنوب الشرقي، وكانت أولى البوابتين التي عرفت بالبوابة نوبية، هي الأقدم والأكثر أهمية ، وقد بنيت بأحجار صلبة كبيرة، وما بقي الآن يرتفع أكثر من ثلاثة أمتار، و أجزاء من الصرحين (أو البرجين) الذين يحيطان بها. ويبدو أنه كان لمداخلها باب خشبي ضخم[1].

احتفظت جدران البوابة -وهذا هو الأهم- بنصوص نقشية عديدة، خلدت ماء بعض الملوك القتبانيين، كما تضمنت إحداها تشريعات للدولة، أشرنا إليها سابقا.

- المعبد (معبد الإله عثتر)*:

في وسط المدينة (تمنع) كان قد شيد -وبأسلوب هندسي بديع- مبنى رائع خم وفسيح ، يتكون من حيطان، تم بناؤها من كتل حجرية ذات أحجام مختلفة تناسقها و تساويها، وكان هذا المبنى قد تم بناؤه جزئيا -على مرحلتين خلال هد المكاربة- حتى صار في نهاية المطاف خلقا سويا، ثم جددت أقدم الأجزاء ه إبان عصور الملكية في أواخر القرن الرابع ق.م أولا، ثم كان هناك تجديد ر في القرن الأول ق . م أيضا.[2]

وقد اعتبر (فان بيك) هذا المبنى معبدا رئيسيا، ويلاحظ المرء إمكانية الدخول يه عبر ساحة كبيرة عبدت أرضيتها بالبلاط.[3]

ومما عرف عن القتبانيين أنهم كانوا يعبدون الإله (عم)، وهو إلههم الرسمي ذي كان يرمز -عندهم- إلى القمر أما الزهرة (عثتر) فقد كانت لها مكانة رفيعة دنياهم، واعتبار خاص في حياتهم، وبالذات فيما يخص الأمور الزراعية الري، وما كان هنالك من أمور أخرى غيرها، مما يتصل بأحوالهم الاجتماعية، لذلك خصوا بها وحدها -أي الزهرة- ذلك المعبد، أعني (معبد الإله عثتر) وأما شمس فقد كانت تحتل المركز أو (المعلم) الثالث بين آلهتهم، كما هو واضح كل وضوح من أساليب التضرع، وصيغ الدعاء المتكررة لديهم، وفي نذورهم.

1-Rhodokanakis N . Die Inscrifteb an der Maur Von Kohlan - Timna , Vienna , 1924,31c.

*إلى جانب أعمال البعثة الأمريكية؛ وما توصلت اليه من نتائج إيجابية منذ مطلع الخمسينات من هذا القرن، عملت بعثة الفرنسية عام 1978م في المعبد ذاته، ولمدة أسبوع نظفت خلاله أسس المعبد، ودرست الفن العماري فيه.

2-Van Beek G . W : Recovering the Ancient Civilization of Arabia, Biblica Archaeologist , 15 , 1952 , pp . 10 - 13 ; 42 , 170 - 173 .

3-Ibid

ج- القصر الملكي

وهو مبنى كبير ومعلم بارز من معالم المدينة أيضا، موقعه في الجانب الغربي من المدينة، يسمى في النقوش (ح ر ب)، كما جاء اسمه في العملات القتبانية ويتكون من بناية رئيسة يرمز إليها ب (A) تبلغ مساحتها (31×24م)، أما القصر بشكل عام فتبلغ مساحته بحوالي (48×36م).

أما الساحة والمدخلان فيعود تاريخ بنائهم إلى القرن الثالث ق.م تقريبا، ويرجع تاريخ بناء البناية الشرقية إلى القرن الأول ق.م. أشار (فان بيك Van Beek) إلى أن تاريخ المبنى يعود إلى حوالي القرن السادس ق.م. ويحتمل أن يكون القصر قد تهدم بواسطة حريق شديد، أثناء الحملة السبئية على قتبان في حوالي (160م) أو (200م)، بعد ذلك التاريخ لم يسكن القصر.[1]

د- مبان أخرى:

وكذلك تم الكشف في موقع المدينة على عدة أبنية متفرقة، هي كالتالي:

- عند بوابة المدينة من الداخل هناك ساحة رصفت بالحجارة، وعلى جانبيها تقوم دكات حجرية، وعلى ما يبدو أن هذه الساحة كانت سوقا، أو ميدانا مخصصا للاجتماعات، كما أن هناك مبنى آخر مشيد على دكة مرتفعة، تؤدي إليه درجات سلمية، وفي مدخله صفوف من المناضد الحجرية، مما دفع بمكتشفه من الخبراء إلى أن يتصور بأنه كان مركز شرطة، أو مقر المحكمة.[2]

- مبنيان متصلان ببعضهما، واقعان بالقرب من بوابة المدينة، وهما من أهم ما اكتشف من دور، وجاء في النقوش أن أقدمهما كان يسمى (بيت يفش)، والآخر كان يسمى (بيت يفع).[3]

- بيت يفش:

يتألف من طابقين: طابق أرضي ذى صفات او بواك مسقوفة، وعدة غرف، ثم طابق علوي تضمن: شرفات، ومقصورة ومخزنين للبخور. ويستنتج من النصوص النقشية التي وجدت في المبنى: أنه شيد في أواخر القرن الثاني ق م.[4]

1-Breton .J . F : "le chateau royal de Shabwa, notes d'histoire" extrait de la revue SYRIA, tome LXVIII, 1991, Paris, 1991, pp. 222-225. عن Van Beek Recovering.

2-Bowen , and Albright : Archaeological Discoveries .. , pp. 155 - 164 .

3-Ibid

4-Van Beek : Recovering ... , pp . 14 - 17 .

هـ- المقبرة (موقع حيد بن عقيل)

يقع (حيد بن عقيل) -وهو موقع المقبرة المحليّة لمدينة (تمنع)- علـى بعـد نصف ميل على الشّمال من "هجر كحلان" (تمنع). وكان القتبانيّون قد أنشئوا هذه المقبرة على الجانب الغربيّ لجبل صخريّ قاحل. فعلى مقربة من قاع هذه الجبـل اكتشفت البعثة الأمريكية مبنى من اللبن، كان قد أنشئ على أسس حجريـّـة، إلاّ أنّه لم يبق منه سوى ارتفاع (6 أقدام) تقريباً.

ويلاحظ أنّ الجدار الدّاخليّ لهذا المبنى المشيّد من اللبن، يواجه -من جهاتــه الثلاث- جدارا آخر من الحجارة الضخمة، له فتحتان غير مجوفتين. وفي إحـدى غرف المبنى عينه هناك حفرة مرصوفة بالحجارة، تصل إلى عمق (60 قدمـاً)، إذ تتخذ -أولاً حتّى الطبقة ال (20 متراً) من هذا العمق- أشكالاً مربّعة، ثمّ أشـكالاً دائريّة باتّجاه الأسفل، حيث كلّما انحدرت تدريجيا نحو الأدنى تأخذ هذه الأشـكال الدائريّة في الضيق شيئاً فشيئاً ومن عجيب المصادفة أيضاً، أن يرى المـرء أن أحد الأشكال المربّعة يحمل نقشاً في غاية الأهميّة، يرجع تأريخــه إلـى القـرن السادس ق.م تقريباً، ويبدو أنّ للحفرة مغزىً دينياً عظيماً، نظراً لأنه ليس هنـاك أيّ شاهد يدل على أنّها كانت قبراً من القبور، إذ تنتهي فـوق مسـتوى سـطح الماء، وفي أعلى المنحدر منه تم تنظيف بقايا مبنى من النّــوع عينــه، ويبـدو واضحاً أيّما وضوح أنّه كان "مصلى"*، وقبالة هذا المبنى هناك أنقاض لمبنى ثالث أقدم منه، تتراكم على ما تبقى من أطلال (مصلى) آخر، يرجع إلى القرن الرابع ق.م تقريباً، وتوحي لنا بقايا ما بلّط به من حجارة جميلة إن عموم ساحة المبنى كانت مبلطــة، وانّ عمليّة تصريف كانت تتم على أكمل على ما يرام، نظراً لما هنالك من مزاريب كثيرة.[1]

أمّا بقيّة المنطقة التي تمَت تصفيتها، فتحوي على قبـوراً حجريّـة منفـردةً، مكوّنة من وحدات مربّعة تقريباً، وتمتد من جدرانها الجانبيّة حواجـز متوازيـة تقسّم القبر إلى غرف صغيرة، عرض الواحدة منها -على وجه التّقريـب- (30 بوصة)، وطولها (5.6 قدم) وهناك ممرّ أو (ممشى) يتوسّط الغرف الواقعة علـى جانبيه، وكل غرفة منها تنقسم إلى جزأين: علويّ وسفليّ، يفصلها لوح أفقيٌّ يقوم مقام المشكاة في دفن الموتى.[2]

وقد تعرّضت جميع المقابر -فيما مضى- للنّهب، حتّى أنّه لم يعثر البتّة علـى أيّة مدفونات سليمة تماما، أو كاملة كل الكمال. وهنــاك مجموعـة كبـيرة مـن

---

* مصلى: للصلاة من أجل الموتى.

1-Ray . L . Cleveland : " An Ancient South Arabian Nicropolis " object from the Second Campaign (1951) in the Timna . Centery (Baltimore 1965).

2-Ibid ..

التّماثيل المنحوتة من المرمر على هيئة رؤوس آدميّة رجاليّة ونسائيّة، يبدو على صنعها التأثير الهلنستي (يوناني - شرقي) والطابع المصريّ ولعل ذلك العقد الذهبيّ المكتشف، وهو حاوٍ على سلسلة وقلادة ذهبيّة على شكل هلال[1] ، يوحي لنا بذوق رفيع، ودقّة بديعة في الصّناعة، ومهارة فنيّة في الصياغة، ناهيك عمّا يحتله الهلال من مكانه مقدّسة فهو يرمز لإله (القمر) لما له من تأثير على المواقيت والحساب.

وأمّا الزخرفة المعماريّة البارزة على آثار ذلك الموقع فهي تبيّن نحتاً لنماذج من رؤوس الوعول؛ يتراوح ارتفاعها ما بين (3 إلى 4 بوصات) -إلى قدم ونصف القدم- وقد عثر في المقبرة على عدد من الكتابات النقشيّة والمخربشات، كما عثر أيضاً على كميات كبيرة من الفخار السّليم والمهشّم.[2]

تاريخ المقبرة:

من خلال تحليل الفخار الذي عثر عليه في المقبرة، والذي يمثّل فترات زمنيّة متفاوتة يرى (فان بيك) أن المقبرة كانت تستخدم منذ بداية الألف الأول ق.م، إلى نهاية الاستيطان في تمنع.[3]

ملتقطات أثرية:

ومن الآثار الهامّة التي عثر عليها في (تمنع) بشكل عام: تمثالان من البرونز، ارتفاع كلّ منها (61 سم) وطوله (70 سم)؛ يمثل كلّ منهما لبوة، يرتفع أحد ساقيها الأماميين إلى الأعلى، ويعتلي كلاً منهما غلام عار يمسك قوساً بيمناه، ويقبض بيسراه على حلقة لسلسلة، كانت تنتهي بطوق يحيط بعنق اللبوة، ولعلّ كلاً من الغلامين يمسك بسوط، والغلامان توأمان (أو صنوان) مع اختلاف يسير جداً في السّلاح. وهذان التمثالان من أروع القطع الفنيّة التي احتفظت بها مناطق اليمن القديم. ويرى علماء الآثار أن التمثالين يعتبران نموذجاً للفن الهلنستيّ.[4]

وليس من الغريب -إذن- أن تقدم لنا الآثار المكتشفة في (قتبان) نماذج من الفن اليمنيّ الأصيل في: النحت، والنقش، وصناعة الحلي، وقطع الزّينة. أمّا النّماذج الّتي تأثرت بالفن الهلنستي ، فهي تعتبر دليلاً -لا يقبل الشّك- على اتّساع العلاقات الخارجيّة بين اليمن القديم والعالم الخارجيّ ومن تلك التّماثيل: رأس من المرمر لامرأة، أطلق عليها عمّال الجفر اسم (مريم)، ويقدّر الباحثون إرجاعها إلى ما بين القرنين الأول والثاني ق.م، وقد عثر عليها في إحدى مقابر (حيد بن عقيل) كما تمّ العثور على تماثيل برونزيّة أخرى.[5]

1-Van Beek : Recovering ... , p.14...
2-Van Beek : Recovering ... , p 10 , and Bowen and Albright , op. - cit , pp . 191 - 192 .
3-Van Beek : Recovering ... pp. 14 - 17 .
4-Ibid...
5-Bowen and Albright , op. - cit , p. 192...

الفصل الرابع

دولة أوسان

أولاً: التكوين السّياسيّ للدّولة الأوسانيّة

ثانياً: الصراع السبئيّ - الأوساني في القرن السابع قبل الميلاد

ثالثاً: تطوّرات الأحداث بعد انتصار السبئيّين على الأوسانيّين

رابعاً: أوسان تستعيد نشاطها

خامساً: نشاط أوسان الإقتصاديّ

سادساً: نهاية دولة أوسان سياسياً

سابعاً: آثار - أوسان

أولاً
و
(كر
الدو
تحد
وفقا
دولة
الذي
الشر
الأو
بالغ
باتج
فيعر
و
لم ي
علم
شي
بعض
1
ن
(الس
القر
ذ
ب
ه
ا
و

ans
2- ال
6، لو

أولاً: التكوين السّياسيّ للدّولة الأوسانيّة

ورد ذكر هذه الدّولة في نقش النصر (RES 3945) وهو نقش للمكرب السّبئي (كرب إل وتر)، الذي يعود تأريخه إلى القرن السّابع قبل الميلاد. لقد ظلت هذه الدّولة مجهولة لدينا، لم نكن نعرف على وجه اليقين والدّقة أين كان مركزها تحديداً ؟ ! إلى أن جاءت العالمة (جاكلين بيرن J. Pirenne) لتضع بين أيدينا ما وفقت في العثور عليه من معطيات أثريّة ونقشيّة قيّمة عن الأوسانيّين وتأريخ دولتهم الأثيل فما كان من هذه المعطيات إلاّ أن تحدد لنا تحديداً دقيقاً الموضع الذي نشأت فيه تلك الدّولة، ومركزها الرّئيس والأساسيّ الواقع إلى الجنوب الشّرقيّ من وادي (بيحان)، ألا وهو وادي (مرخة)[1]، الذي، انطلق منه الأوسانيون ليبسطوا نفوذهم على امتداد إقليم زراعيّ شديد الخصوبة، وغنيّ بالغيول والأوديّة، حيث يعدّ هذا الإقليم جزءاً من الهضبة المنحدرة إلى الشمال باتجاه المنخفض الرمليّ، الذي كان يعرف قديماً بمفازة (صيهد)، أما اليوم فيعرف (برملة السبعتين).

وكجزء من معضلة التّسلسل التأريخي للدّويلات اليمنية القديمة، فإنّ الباحثين لم يتمكنوا من معرفة المراحل الأولى لتكوين دولة أوسان سياسيّاً، وبالذّات إذا علمنا أنّ ما توافر لدينا من النّقوش الأوسانيّة هو شحيح للغاية، وليس فيه أيّ شيء من تفاصيل أو توضيحات ذات جدوى عن (أوسان)، اللّهم ما أبرزته لنا بعض النّقوش النذريّة. ولعل أقدم المصادر الّتي تذكر لنا "أوسان"، هي:

1 – النقوش الأوسانية:

نفتقر كثيراً للنقوش الأوسانية، كل ما توفر منها ضئيل للغاية باستثناء نقش (السقاف)[2]، والذي يعد من أهم وأقدم النقوش الأوسانية، يعود تاريخه إلى نهاية القرن الثامن وأوائل القرن السابع ق.م. يقول النقش:

ذكر إل لحين
بن عمكرب
مكرب أوسان
اب مرتع
واب يثع

1- Pirenne . J: " Prosépction historique dans la region du royaume de Awsan" , dans Raydan Vol 3 . Louvain , 1980 , pp . 213 - 255 .

2- السقاف حمود محمد: أول نقش يذكر مكرب أوسان، ريدان، حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، العدد 6، لوفان 1994م، ص 111 – 120. (القسم العربي).

ظرب رحبن
بعثتر وبلو
ذكر إل لحيان ابن عم كرب مكرب أوسان أبو مرتع وأبو يثع ضم (إلى ملكه) رحبان بحق الآلهة عثتر وبحق الآلهة بلو.

يعد هذا النقش أول نص أوساني صريح يرد فيه ذكر مكرب أوساني، / من هنا تأتي أهمية هذا النقش الجديد الذي يذكر ولأول مرة اسم حاكم جديد لمملكة أوسان يحمل لقب مكرب أما ابنه (مرتع)، فمن المحتمل أنه هو نفسه الذي عاصر المكرب السبئي (كرب إل وتربه ذمار علي) جاء ذكره في نقش النصر/ RES 3945 إذا كانت الفرضية صحيحة فالنقش يعد أقدم بسنوات من حملة المكرب السبئي كرب إل وإن (مرتع) بن ذكر إل سيكون أول من حمل لقب ملك أوسان، إلا إنه يصعب تحديد الفترة الزمنية التي استلم فيها هذا الملك الحكم لعدم توفر النقوش.

جاء في هذا النقش ذكر لآلهة أوسان عثتر بلو بلو: سبق وأن ذكر في عدد من النقوش منها: CIAS II. 9s / 6 f / n° 42, CIH 974 / 2 (بلوال أوس) بلو إله أوسان RES 4336 / 6 فالإله (بلو) هو المعبود القومي لمملكة أوسان خلال الحقبة التاريخية العتيقة، استمر الأوسانيون في عبادة الإله (بلو) حتى أواخر القرن الثاني ق.م حتى بعد أن ضمت (أوسان) إلى مملكة قتبان.

2- النّقوش القتبانيّة:

وفيها جاء أوّل ذكر لاسم (أوسان)، حيث وردت عبارة "شعب أوسن" ، ولهذا ذهب الباحثون يرجّحون أنّها -أعني دولة أوسان- كانت واحدة من المناطق الرّئيسة الخاضعة لدولة قتبان. وبعد أن استأنس الأوسانيّون في أنفسهم القوّة والنّفوذ والمنعة، راحوا ينفصلون عن (قتبان) في ظل ظروف غامضة وملابسات غير معروفة، فكوّنوا لأنفسهم كياناً سياسيّاً مستقلاً استقلالاً كاملاً على ما يبدو.

3- نقش النصر:

(Glaser 1000 = RES 3945) يعود تأريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد، وقد سبق أن أشرنا إليه. وعلى أيّة حال فإنّ هذا النّقش هو أهمّ ما توافر لدينا من مصادر عن دولة الأوسانيّين، إذ بفضله استطعنا أن نكوّن صورة واضحة عن هذه الدّولة، لأنه:

أولاً: وثّق لنا حدودها السّياسيّة، ومدى اتّساع رقعتها الجغرافيّة من حيث المساحة.
ثانياً: ذكر لنا جملة من القبائل التي خضعت لسلطتها، أو تحالفت معها.
ثالثاً: وصف لنا عاصمتها وبيّن لنا اسم ملكها آنذاك، وحدثنا عن منشآتها، ونشاطتها ومراكزها الدّينيّة، وما كان لها من جولات حربيّة، وصولات عسكرية... الخ.

ثانياً: الصراع السبئيّ – الأوساني في القرن السابع قبل الميلاد.

ومن إجمالي ما استعرضه هذا النّقش ممّا كان للأوسانيين – في سالف عهدهم– من إنجازات، ووقائع وأحداث، يتبدى لنا أنّ دولتهم كانت قد بلغت شأناً رفيعاً من التّقدّم والازدهار، بسبب ما كان لها من نشاطات تجاريّة، وما هيأته لها طبيعتها الجغرافيّة من موانئ بحرية على امتداد سواحلها الجنوبيّة، تمكّنت من الاستفادة منها واستغلالها أيّما إستغلال، حتّى قويت شوكتها، واتّسعت حدودها في عهد ملكها (مرتع)، لتمتدّ من المعافر غرباً –أي (الحجريّة) حالياً– إلى وادي (حبّان) و (ميفعة) شرقاً، ضامّة إليها كل المناطق الحسّاسة المتراميّة أطرافها ومن أشهر وأبرز تلك المناطق: (تبنو) –أي "تبن"– و (دهس)– أي "يافع" و(دثينة)، وسلسلة جبال (الكور) وإقليم (الوسر) وأوديا: (يشبم) و (جردان) (أنظر خريطة رقم12). فكانت أوسان بتوسعها هذا قد غدت تشكّل خطراً داهماً ومباشراً ليس فقط على جارتيها: (حضرموت) و (قتبان)، وإنّما على دولة (سبأ) التي هي الأخرى استثيرت غضباً من ذلك التّوسع: ذلك أنّ دولتي (حضرموت) و(قتبان) –على وجه الخصوص– تضرّرتا أيّما ضرر من ذلك التّوسع الأوسانيّ، لأنّه جرى على حسابهما، حيث تمّ استقطاع أراضيهما أمّا دولة سبأ فقد أحكم عليها الخناق بحرمانها من أيّ انتفاع بالسّواحل الجنوبيّة، فضاقت بذلك ذرعاً، ولم يكن أمامها من خيار آنذاك إلا أن تتصدّى لجحافل الأوسانيين العاتية، وتوقف طموحهم الجامح بما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. فتداول الطّرفان المناوشات كرّاً وفرّاً، إلى أن كانت الحرب بينهما سجالاً، فتارة يحالف النصر هؤلاء وتارة أخرى يحالف أولئك.[1]

وفي خضم تلك الأجواء المشتعلة بنيران المعارك تمكّن ملوك (أوسان) من أسر أرتال من السبئيّين، والاحتفاظ بهم رهائن لديهم في أرضهم فحينها سنحت لهم أنّ يسجّلوا في معابدهم أخبار انتصاراتهم، ويدوّنوا ما كان لهم مع سبأ من مآثر حربيّة أبلوا فيها بلاءً حسناً.

وبالمقابل نجد أنّ الهجمات السّبئيّة على أوسان وحليفاتها أخذت تكثر، ويشتد أوارها في عهد المكرب (كرب إل وتر)، إذ راح هذا المكرب يشنّ ثماني حملات عسكريّة على مناطق الأوسانيّين ومَنْ والاهم من القبائل الأخرى، فكانت وجهات الحملات ونتائجها على نحو ما هو آت:–[2]

– الحملة الأولى: شنت على بعض المدن في منطقة "المعافر" (الحجريّة حالياً)،

---

1 راجع ترجمة نقش النصر (Glaser 1000 = RES 3945) في كتاب: حسن عبدالله العمري، مطهر علي الارياني، ويوسف محمد عبدالله: "في صفة بلاد اليمن عبر العصور، من القرن السابع قبل الميلاد إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي"، دار الفكر المعاصر، بيروت،1990، ص 11 – 17.

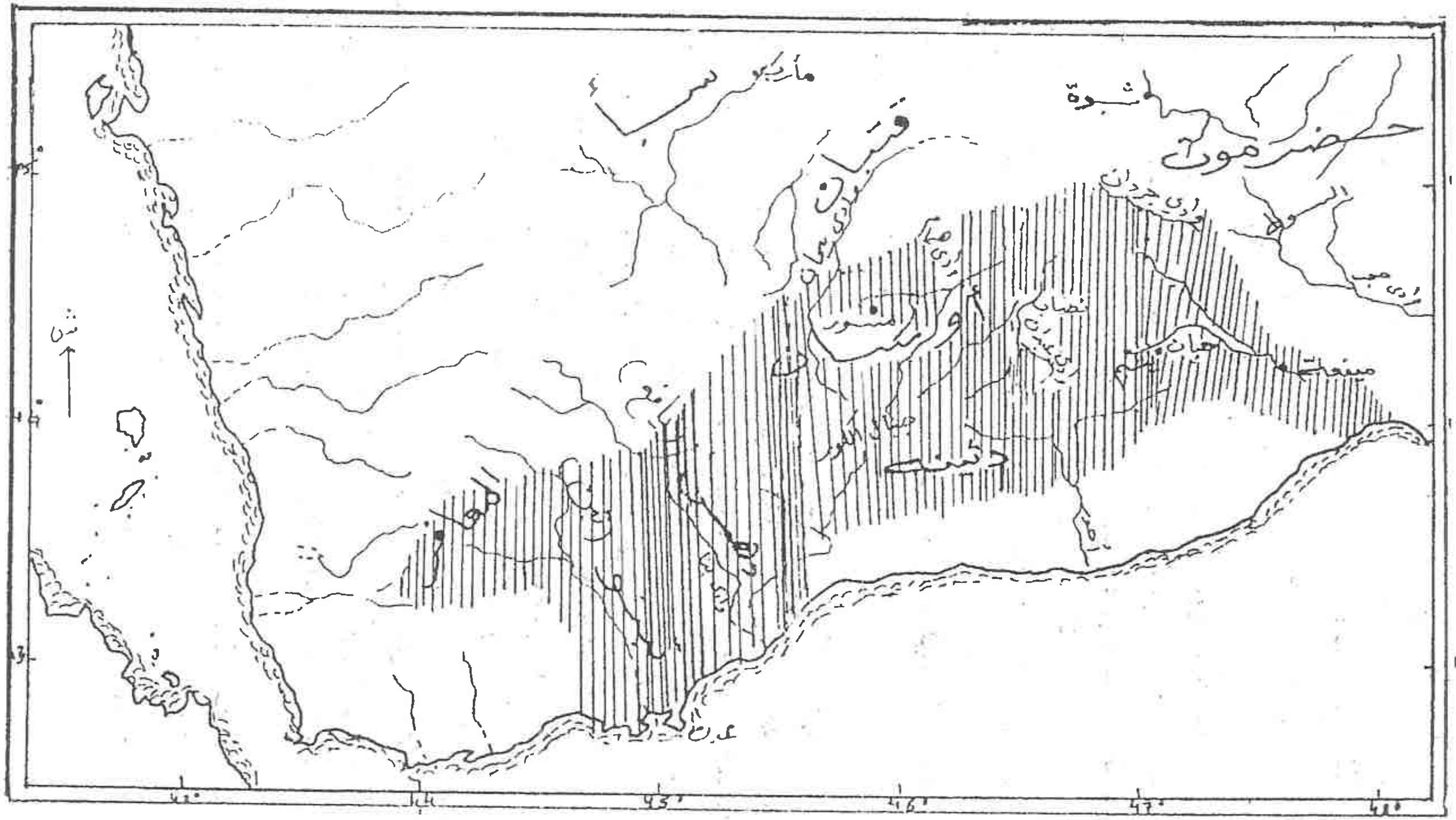
2– راجع النقش نفسه.

الواقعة جنوب غرب اليمن ، فكانت حصيلة القتلى: (3000)، أمّا الأسرى فبلغوا (8000).

- الحملة الثّانية: شنّت على دولة أوسان في عقر مركزها: وادي (مرخة)، فكان عدد القتلى: (16000)، والأسرى: (40.000).
- الحملة الثالثة: شنّت على كلٍّ من: دهس (يافع) وتبنو (تبن) الواقعتين باتجاه الشّمال والشّمال الشّرقيّ من عدن، فكانت حصيلة القتلى (3000) والأسرى: (5000).
- الحملة الرّابعة: شنّت على قبائل أخرى في ذات الإقليم المذكور أعلاه، وكان عدد الضحايا: خمسمائة (500) قتيل وألف (1000) أسير.
- الحملتان الخامسة والسّادسة: شنّتا على مدينة (نشن) "السوداء" في الجوف.
- الحملة السّابعة: لم يتضّح لنا بدقة إلى أين كان توجّهها، وفي أغلب الظن توجّهت نحو تهامة، أو إلى منطقة أخرى واقعة على ساحل البحر الأحمر.
- الحملة الثامنة: شنّت على مناطق وقبائل مجهولة، لم تتبيّن لنا معرفتها من النّقش، إلاّ أنّ النّقش ذاته، يذكر لنا أن السبئيّين تمكّنوا من القضاء على ملوك تلك المناطق والقبائل، فقتلوا (3000) إنسان، وأسروا (5000) آخرين، واستولوا على (150.000) رأس من البهائم، ثمّ توجهوا بعد ذلك إلى ضرب قبائل (مهأمر) في نجران وقبائل (أمير) الواقعة أرضهم بين نجران والجوف، فأمعنوا في التنكيل بهم جميعاً، حتى قتلوا (5000) إنسان، وأسروا (12.000) آخرين منهم. أمّا ما غنموه من المواشي فكان (20.000) رأس.

ويبدو لنا من إحصاء القتلى والأسرى في عددهم الإجماليّ النّاجم عن كل هذه الحملات: أنّ هناك نوعاً من المبالغة في وضع هذه الأرقام، كما نزعم ولهذا لابدّ من الاحتراس عند التّأمل فيها، إذ ينبغي لنا أن نتعامل معها بشيء من التّرويّ والحذر.

ولم يكتف مدوّن النّقش بإبراز أعداد القتلى والأسرى من البشر، وإنّما مضى يشرح لنا –أيضاً – ما يلي:–



خارطة رقم (12): (حملات كرب إل وتر) ملك سبأ على الأراضي الأوسانية
(القرن السابع قبل الميلاد)

1- كيف أمعن السبئيّون في تهديم الأسوار، وإحراق المدن والعواصم وكيف راح مكربهم (كرب إل وتر) يقضي على خصومه من ملوك الدّول الاخرى المتحالفة ضدّه، وزعماء القبائل المناوئه له. فقد ذكر في النّقش عينه -من ضمن ما ذكر- دولة أوسان، وعاصمتها (مسور)، وملكها (مرتع)، والمدن الخاضعة لها، والقبائل الحليفة لها.[1]

2- كيف عامل (كرب إل) أسرى الحرب معاملة مهينة وقاسية إذ جعلهم عبيداً للسبئيّين، ناهيك أنه صيّر مدناً بكاملها لصالحه الخاصّ، حينما استولى عليها استيلاءً كاملاً، على سبيل المثال كما حصل ذلك مع (كحد) وأهلها، وذاك هو ما أخبرنا به النّقش نصاً في عبارته التّالية:

"انه اقتنى كل قسط كحد أحراراً، وعبيداً، وأولادهم واموالهم، ورجالهم ملكا خاصّاً لاله المقة وسبأ...".

ومما يبدو لنا من النّقش -كذلك- أن حضرموت وقتبان كانتا قد تحالفتا مع سبأ في هذه الحروب الطاحنة المدمّرة.

ثالثاً: تطوّرات الأحداث بعد انتصار السبئيين على الأوسانيّين:

وهنا يبرز لنا سؤال: ما الّذي حدث عقب انتصار السبئيّين وحليفتهم حضرموت، وقتبان على أوسان وحلفائها؟ وكيف سارت الأحداث في تطورها تباعاً فيما بعد؟.

أقول: إنّه بعد أن تحقق للسبئيّين -بقيادة (كرب إل)- انتصارات مظفرة على الأوسانيّين، جرت الأحداث في تسلسلها التاريخي وتطوّرها على النحو الآتي:-

أولاً: كافأ المكرب السبئيّ (كرب إل وتر) دولتي: حضرموت وقتبان على تحالفهما معه، بأن أعاد إلى كلّ منهما أراضيها التي كانت أوسان قد سلبتها منها. وهذا هو ما وثّقه النّقش حيث ينص قائلاً: "... وأعاد للإله (سين)" -إله حضرموت الأكبر"- و(حول)- وهو معبود حضرمي أيضاً- و(يدع إل) "ملك حضرموت" - وحضرموت ومناطقها التي كانت تحت سيطرة الأوسانيّين، وأعاد مناطق (عمّ) و (أنباي)- آلهه قتبان -و (ورو إل)- "ملك قتبان" -وقتبان؛ أراضيها التي كانت تحت سيطرة الأوسانيّين، لأن (أهل) حضرموت وقتبان آخوا (يعني: تحالفوا مع) المقّه، كرب إل وسبأ...".[2]

ثانياً: راحت "قتبان" -بعد ذلك- تتحرّر نهائياً من التّحالف مع السبئيّين حينما برز من بين صفوفها "ملوك يحكمونها، وذلك في الفترة ما بين 300-150 ق.م تقريباً، وكان أولئك الملوك يلقبون ب (اولاد الإله عمّ) [RES 3675] وفي أحايين أخرى -

---

1 بافقيه : تاريخ اليمن - ص 60 - 70.

2 نقش النصر [RES 3945].

ويبدو أنّها متأخّرة- كانوا يلقّبون ب (ملوك قتبان، وكـل اولاد عـمّ، وأوسـان، وكحد، ودهسم "ويافع" وتنبو "تبن").

ويبدو واضحاً من طول هذا اللقب الأخير -نتيجة لتعدد الاسماء فيه- أنّ قتبان قد آلت إليها أراضي أوسان برمّتها، فكانت منذ ذلك التّأريخ هـي أوّل مـن ورث الأقاليم الأوسانيّة بُعيد تخلخل دولة الأوسانيّين حينذاك (أنظر خريطة رقم ١١).

رابعاً: أوسان تستعيد نشاطها

من العجيب في أمر (أوسـان) أنـها نـهضت مجـدّداً، تسـتعيد ازدهارهـا الاقتصاديّ، ونشاطها الحيويّ في ظل عوامل غامضة، وظروف غـير معروفـة ولعلّ ذلك النّهوض المفاجئ قد وقع خلال الفترة التـي أصيبـت فيـها السّـلطة المركزيّة لدولة قتبان بالضّعف والخور، وذلك -تقريباً- بيـن القرنيـن: الثّـالث والثّاني قبل الميلاد، حينما ظهر ملوك أوسانيّون يسبغون على أنفسـهم قدسـيّة إلاهيّة، وبالتّالي راح المحيطون بالسّلطة والعرش من أهل الحلّ والعقد -تباعـاً- يضفون على الواحد من أولئك الملوك لقب: (ابن الإله)، ولهذا انطلق النّاس مـن رعاياهم للتّوّ يتقرّبون إليهم بالهدايا والقرابين ومن ثمّ كان لـهؤلاء الملـوك - الملقبين بأبناء الإله- تماثيل لتخليدهم فكان ممّا بقي من تلك التّمـاثيل -وعـثر عليها- ثلاثة هي:

1- تمثال الملك (يصدق إل فرعم شرح عثّ).

2- تمثال ثان لابنه الملك (معد إل سلحن بن يصدق إل فرعم).

3- تمثال آخر لحفيده ابن الملك (معد إل).[1]

وقد عثر على هذه التّماثيل الثّلاثة في موضع فسيح، يبدو انه كان -في أغلب الظّن والتّرجيح- مقبرة للأوسانيّين.

ولمّا كانت أماكن العثور على هذه التّماثيل متفرّقة متباعدة عن بعضها الآخـر، فقد جرى تجميع تلك القطع فرادى ولهذا لم يعرف -بالضبط- موقع المقبرة مـن ذلك الموضع الفسيح تحديداً.

ومن الطّريف أن يلاحظ المرء -من خلال التصميمات الفنيّة لتلك التّمـاثيل- لمسات وملامح الفن الهلنستي بوضوح على ما كان يرتديه الملوك الأوسـانيّون من ملابس ارستقراطيّة خاصّة بهم، وعلى تسريحة شعرهم أيضاً.[2]

1- Pirenne . J : " Le cimetiére royal de Awsan . L'histoir du Wusr " , dans Raydān , Vol 4, 1981 , pp . 204-240 .

2- Pirenne .J: " Corpus des inscriptions et antiquites sud - arabes " , tome II , (Le Musée d' Aden) Louvain 1986 , pp . 305-316.

ويمكن لنا مشاهدة هذه التماثيل وهي معروضة -حالياً- في متحف (عدن).

وغير أولئك الملوك -أصحاب التماثيل الثّلاثة- المذكورة أسماؤهم آنفاً: هنــاك ذكر لأسماء ملوك أوسانيّين آخرين غير معروفين لدينا تماماً حتى الآن لأننا لــم نعثر على نصوص نقشيّة توثق لنا شيئاً من أعمالهم، أو توضح جوانب من آثارهم.

ومهما يكن من أمر ملوك أوسان جميعاً؛ فإن تاريخ أقدمهم -وفقاً لما ذهــب إليه (فلبي Philby)- يعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد[1]، بينما الباحثة (جـاكلين بيرن J. Pirenne) ترجّع ذلك التّاريخ إلى القرن الأول قبل الميلاد.[2]

خامساً: نشاط أوسان الإقتصاديّ

لقد كان لطبيعة أوسان الجغرافيّة شأن عظيــم فــي إنتعاشــها الاقتصــاديّ، وازدهارها الحضاريّ، وذلك بسبب ما هيّأته لها هذه الظروف الطبيعيّة مـن أرض خصبة، وموقع استراتيجيّ حسّاس، جعلها تسيطر على جملة من الطّرق التجاريّة في المنطقة برّاً وبحراً. فكان لابدّ لها أن تنشط في شــؤون الاقتصــاد، وعــالم التّجارة القديم، فامتد نشاطها التجاريّ بعيداً عنها حتّى وصل إلى سواحل إفريقيـا وذلك صاحب كتاب (الطواف حول البحر الارتيري) حيثما يتحدث في كتابه هــذا عن الساحل الافريقيّ، نجده يطلق عليه اسم "السّاحل الأوسانيّ"[3] وهذا يدلّ دلالــة قاطعة على عمق الرّوابط، وأواصر الصلات، وقوة التأثير المتبادل بيــن جنــوب شبه الجزيرة العربيّة وشرق افريقيا.

ولم يكن ازدهار أوسان منحصراً في مجال التّجارة، وإنّمــا كــان ازدهارهــا عظيماً في مجال الزراعة أيضاً. وكان هذا أمراً بديهياً في واقع طبيعيّ محظــوظ كواقعها، طالما كانت رقعتها الجغرافيّة حاوية على مساحات زراعيّــة شاســعة؛ ممتّدة المسافات، وذات تربة خصبة، وأودية غنيّة بالمياه المتدفقة ... وذلك كلّه قد أنبأنــا به ما كشف عنه من آثار منشآت الرّيّ المختلفة في مواقع شتّى من أراضيها؛ سواء أكانت آثار قنوات أم سدودٍ، أم أراضٍ مغطاة بالغرين الزراعيّ لمساحات واسعة، أم غير ذلك.

ففي بعض الأراضي الأوسانيّة كان يزرع المرّ، وأثناء تجوالها في الأراضــي الأوسانيّة شاهدت (جاكلين يبرن) شجيرات المرّ على جبل واقع على طريق ينحدر من منطقة (الجنادل) باتجاه وادي (خورة)، كما وجدت شجيرات المر في منــاطق تربط بين وادي (مرخة) و (نصاب).[4]

وما يؤكد -القرائن الماديّة التي قدّمتها (بيرن)- بخصوص نمو أشجار المــر

1- Philby , H.J.B : The Background --- p. 82-86 .

2 -Pirenne. J: " La Statuette d'un roi de ' Awsan et l' hellenisations dans La statuaire sud - arabe " (note d'archeologie sud-arab , II) dans SYRIA , XXXVIII , 1961 , p.284-301.

3- Periplus . . . op. - cit , sec 14 .

4-Pirenne .J : Prospection historique . . . p . 222.

في الأراضي الأوسانيّة -تلك الأسماء التي أطلقها الكلاسيكيّون ومنهم (بليني)، فقد ذكر أنواعاً من المرّ هي: المرّ المعينيّ، و المرّ الحضرميّ، والمرّ الأوساريتيّ[1]، فمنهم من رأى أن كلمة (الأوساريتي) تحريف (للأوسانيّ)، إلا أنّ الواقع غير ذلك، فأوساريت كما ترى (جاكلين بيرن) جاءت من كلمة (وسر) و (وسر) اسم منطقة معروفة من مناطق أوسان جاء ذكرها في نقش النّصر وليس بغريب أن يطلق على سكانها (الأوساريت).[2]

وحول الموقع الجغرافيّ لهذه المنطقة يشير (فان وايزمن) إلى أن (وسر) إقليم جغرافيّ واقع بين وادي (عبدان)، ووادي (ضراء)، ووادي (حجر)، ووادي (الغيل) إلى أن ينتهي بوادي (مرخة) باتجاه وادي (همت) أحد الفروع الشّماليّة لوادي مرخة[3]. (انظر خريطة 13).

أمّا (بيستون) فيرى أنّ (وسر) إقليم مركزه (نصاب)[4] ، وهذا ما نتفق معه، (فنصاب) إذاً عاصمة ذلك الإقليم الزراعيّ.

سادساً: نهاية دولة أوسان سياسياً

أختلف الباحثان (فلبي **Philpy**) و (جاكلين بيرن **J. Pirenne**) في تحديد الفترة الزّمنيّة لانتهاء دولة (أوسان) سياسيّاً، فبينما راح (فلبي) يفترض النهاية السّياسيّة للدولة الاوسانيّة في أواخر القرن الثّاني قبل الميلاد، راحت (جاكلين بيرن) تفترض بقاء تلك الدولة، واستمرارها -ككيان سياسيّ- إلى قبيل ميلاد سيّدنا يسوع عليه السلام. وفي الوقت ذاته نصادف مصدراً آخر من النّقوش، متأخراً عمّا قبله زمنياً، بحيث كان تدوينه في عهد الملكين: (سعد شمس أسرع) وابنه (مرثد يهحمد) ملكي "سبأ وذي ريدان" ابني (إلي شرح يحضب) (القرن الثّاني الميلادي تقريباً). فهذا يوثّق لنا أخبار المعارك التي دارت رحاها بين هذين الملكين من جهة. وكلّ من حضرموت، وقتبان، و (ذي معاهر)، (خولان)، (ذي هصبح) (مضحيم) (اوسان) من جهة أخرى، فكان أن أشار النّقش لدخول اوسان طرفاً في ذلك الصراع.[5]

وعلى هذا يتّضح لنا من النّقش عينه أن (أوسان) منذ القرن الثالث الميلاديّ لم تعد دولة ذات كيان سياسيّ مستقلّ، كما كانت عليه من قبل، في القرون

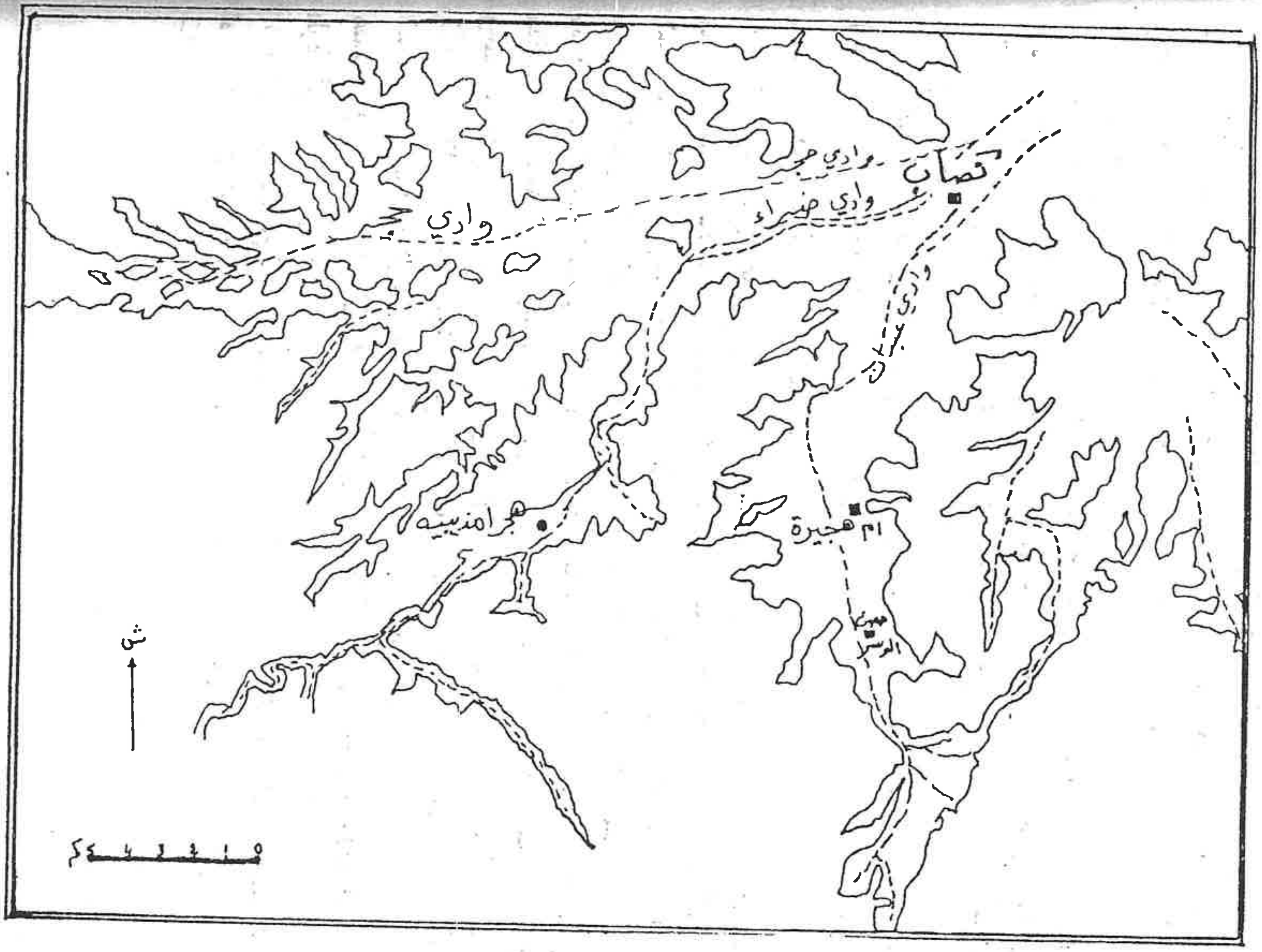
1-Groom . N : op . - cit , p. 241 .

2-Pirenne : Prospection historique . . . p 222 .

3- Von . Wissmann : Beitrage .. p.ss .

4-Beeston. A. F.L : " Pliny's Gebbanitae " , dans , Proseeding of the Seminar for Arabian Studies , Sept , 1971 , London , 1972 , p . 7 .

5- أنظر النقش [Ja 629 / 30]



خارطة رقم (13): إقليم الوسر أوسان

الغابرة، وأزمانها الأثلية، وإنّما آلت -عندئذ- إلى أن تكون مجـرد قبيلـة مـن القبائل الخاضعة لنفوذ الملوك القتبانيّين، أو الدّائرة في فلك دولتهم ليس غير.

وفي نهاية المطاف أنضوت أوسان "القبيلة" تحت سيطرة الحميريّين، ومن ثـمّ خلصت السيطرة عليها تماماً إلى دولة سبأ وذي ريدان.

وممّا يعزز هاتين الحقيقتين على وجه اليقين: ما عثر من توقيعات للحميريّين محفورة على صخورها، فهناك نقش [Ry 525]، عثر عليه فـي موقـع (هجـر أمناب) على وادي "مرخه"، ويعود تأريخه إلى القرن الخامس الميلاديّ يؤكد هـذه الظاهرة إذ هو يحمل اسم كاتبه واسم (ذي ريدان).

ولقد ظل اسم قبيلة (أوسان) شائعاً ومعروفاً لردح طويل من الزّمن امتدّ إلـى عصور الخلافة الإسلاميّة وعهد بني العباس، وبالذات في القرن الرّابع الـهجريّ، (العاشر الميلاديّ) فنرى -حينذاك- أبا الحسن الهمدانيّ يشير إلى أستاذ له كـان يدعى (محمداً بن أحمد الأوساني)[1].

وهاكم نشوان بن سعيد الحميريّ -وهو من علماء وشعراء القرن السّـادس الهجريّ، (الثاني عشر الميلاديّ)، يذكر "أوسان" في قصيدته الجيميّة، فيقول:

أم أين ذو أوسان، أو ذو مأذن
أم أين ذو التّيجان والأبراج*

سابعاً: آثار أوسان

أ- العاصمة الأوسانيّة:

أين تقع العاصمة التجاريّة لأوسان؟ سؤال حيّر كثيراً من الباحثين! خاصة وإن العاصمة السياسية التي جاء ذكرها في نقش النّصر (مسور) قد تـهدّمت أثنـاء الهجوم العنيف الذي شنه الملك السبئيّ (كرب إل وتر) في القـرن السـابع ق.م، وقد تمكّن علماء الآثار من تحديد موقع (مسور)، من خلال اكتشافهم بقايا آثـار القصر الملكيّ في الموقع عينه.

إذاً ما العاصمة التجاريّة التي حلت محلها بعد ذلك؟ اختلف الباحثون في حقيقة موقعها الجغرافيّ، بيد أنّ هناك العديد من المدن الأوسانيّة الغنيّة بآثارها، الكبيرة بمساحتها فهل كانت العاصمة التجاريّة لأوسان هـي (هجـر أمنـاب) ؟ أم (ذات الجار)؟ أم (هجر بوزيد)؟، فجميع هذه المدن واقعة على وادي (مرخـة) إلاّ أنّ (جاكلين بيرن J. Pirenne) لا ترى أياً من هذه المواقع الثلاثة قد كـان موضعاً

---

1 الهمداني: الاكليل، جـ 2، ص 5 ، 109، 393، أنظر أيضـا AL- Garow Asmahan : Les antiquites ... p . 60.

* القصيدة من (بحر الرّجز).

لعاصمة أوسان التجاريّة، وإنّما استقر رأيها على موضع آخر، واقع على أطراف الصحراء، عند مدخل وادي (مرخة) ذلكم هو (هجريهر)، أمّا السبب الذي جعلها تعتقد ذلك، هو ما هناك من تشابه كبير بين هذا الموضع وموضع (شبوة)، من الناحية الطوبوغرافيّة، لأن كلا هذين الموضعين واقعان على طريق القوافل الآتية من مختلف الجهات والأصقاع. وهذا الأمر جعلها تستنتج -بالتالي- أنّ المرّ كان يأتي من إقليم (وسر) إلى (هجر يهر) عبر القوافل، وليس عن طريق (نصاب) الجبليّة والبعيدة، ممّا يدلنا على إنّ القوافل كانت تنطلق من (شبوة) مروراً ب (هجر يهر) فجبل (النسين)[1] .. (أنظر خريطة رقم 14).

ب- معبد أوسان:

لم يتوفق علماء الآثار حتى الآن من العثور على موقع المعبد الرئيس للأوسانيّين، فكل ما نعرفه عن هذا المعبد هو اسمه (نعمن) الذي تكرر ذكره في عدد من النصوص النّقشية الأوسانيّة ففي نقش [RES 4971]، يتوسل الملك الأوسانيّ للإله المقدّس في معبده (نعمن)، ويذكر النقش [RES 3903] إنّ ملك أوسان (يهصدق) أهدى للإله تمثالاً من الذهب في معبده (نعمن)، وجدير ذكره إنّ النّقوش الأوسانيّة التي يعود تاريخها إلى القرن الثّالث -الثّاني ق.م، تذكر الإله (ود) كإله للأوسانيّين، وهذا ما يجعلنا نبحث عن الروابط والصلات الدينيّة بين أوسان ومعين التي قدّست الإله (ود) كإله وطني للدولة، ونميل إلى القول بشيء من الحذر، بأن تلك الروابط الدينيّة ما هي إلاّ نتاج لعلاقات اقتصاديّة وثيقة، فإذا كانت بعض الأقاليم الأوسانيّة، تنتج المرّ فالمعينيّون كانوا يقومون بنقل تلك السلعة إلى العالم الخارجي، بدليل ما اسماه (بليني) "المرّ المعينيّ". فليس بغريب أن يكون المعينيّون قد أسّسوا لهم مستوطنات ثابتة في الأراضي الأوسانيّة منذ القرن الثّالث ق.م.

ج- المقبرة الملكيّة:

لم نعرف حتّى الآن موقع المقبرة بشكل دقيق، إلا أنّنا لا نستبعد وجودها على مقربة من المعبد كما هو حاصل في عواصم الممالك اليمنيّة القديمة الأخرى، حيث كانت المقابر لا تبعد أكثر من كيلومترين عن تلك العواصم عموماً.

وتذهب (جاكلين بيرن) إلى أنه من المحتمل أن موضع المقبرة كان في موقع (خزينة الدّرب)، وهي منطقة غنيّة بأحجارها القديمة، التي ما برح الأهالي يستخدمونها في بناء منازل وبيوت حديثة لهم، وهناك آثار جدران، ومبانٍ كثيرة، وكميّة كبيرة من الفخار، وآثار منشآت مبنيّة من الأحجار الكبيرة، وقنوات متنوعة....[2].

1- Pirenne . J : Prospéction historique ... p. 236 .

2- Ibid , p . 242.

د- مواقع أثريّة أخرى:

على ضوء التنقيبات التي قامت بها (جاكلين بيرن) عام 1980، في نطاق دولة أوسان تمكّنت من العثور على خمسة عشر موقعاً أثرياً جديداً في الأودية المختلفة لدولة أوسان: كوادي (حجر)، ووادي (خورة)، ووادي (مرخة) ووادي (ضراء)[1]. كما عثرت على مجموعة من النقوش القديمة، كشفت النقاب عن جوانب غامضة من تاريخ الدولة الأوسانيّة.

1- وادي حجر*

يعتبر وادي (حجر) أهمّ الأوديّة في دولة (أوسان)، يتموضع بين (نصاب) ووادي (خورة). يختلف وادي (حجر) عن الأودية الأوسانيّة المعروفة (مرخة) و (خورة) من حيث الطبيعة، فطبيعة وادي (حجر) صخريّة، إذ عثر فيه على تلين صغيرين مغطيين ببقايا من الأحجار القديمة، إلى جانب ذلك نجد على الطرف الجنوبيّ من الوادي بئراً قديمة يطلق عليها (بئر العوجة)، وأمّا في الطرف الشماليّ من الوادي فيمكن مشاهدة عدد من المواقع الأثريّة كموقع (هجر الرميحه) و (هجر فتيح) ... جميعها لم تكن معروفة من قبل، هذا إذا استثنينا موقع (الجنادل).

موقع الجنادل: أهم المواقع الأثريّة التي تتموضع على وادٍ يحمل نفس الاسم وهو عبارة عن تلّ كبير، يقع عند نقطة التقاء وادي الجنادل بوادي (حجر)، حيث تشاهد منشآت ريّ عند الصعود إلى وادي (الجنادل) وفيها آثار كثيرة للطمي الزراعي ما برح ماثلاً للعيان حتّى اليوم.

ومن السدود الباقية على الجزء الجنوبيّ لوادي (حجر) حيث يتم التقاؤه بوادي (الجنادل): سد (أم رحمة) المبني بين تلّين واقعين إلى الشمال من بير (العوجة).

2- وادي خورة:

يوازي وادي (بيحان) ويشابهه من حيث: خصوبته الزّراعيّة وغناؤه بالطّمى الزراعيّ، وقد عثر في وادي (خورة) هذا على خمسة (5) مواقع أثريّة، امتازت بتطوّرها الحضّاريّ الملحوظ[2]. وأهم تلك المواقع:

- خزينة الدّرب.
- مريمة.
- هجر امحسينة.

1-Ibid , pp . 214 -226 .

*علينا أن لا نخلط بين وادي حجر الأوساني، ووادي حجر الكبير الذي يصب في البحر العربي، شرق (بير علي).

2-Pirenne : Prospection historique .. p . 226 - 230.

- هجر لملاح.

وفي مجمل تلك المواقع نشاهد العديد من الآثار كمنشآت الريّ، من: سدود، وقنوات، وآثار منشآت معماريّة، إضافة إلى ما هنالك من قطع برونزيّة متنوعة، ويرجح أن القطع الأثريّة التي نسبت إلى التّاجر (كيكي منشرجي) الموجودة في متحف عدن، قد جلبت من تلك المناطق.

3- وادي مرخة:

أجمعت المصادر على أنّ هذا الوادي هو مركز الدّولة الأوسانيّة، وفيه قامت عاصمتها القديمة (مسور) على هضبة جبليّة حيث منبع الوادي. ومن المواقع الأثريّة في هذا الوادي:

- موقع جبل (أجاز).
- هجر الحزم.
- هجر السعدة.
- هجر امناب.
- شعب أصابع الكافر.

وجميع هذه المواقع غنيّة بآثارها الثابتة والمنقولة، وبنقوشها المتنوعة أيضاً.

4- وادي ضراء:

من الأودية التي ازدهرت في ذلك الإقليم، وهو يقع جنوب غرب (نصاب)، بين وادي (عبدان) ووادي (حجر) ويمتاز هذا الوادي بوفرة ما يحتويه من آثار مختلفة، من قنوات ريّ، ومنشآت ونقوش... الخ

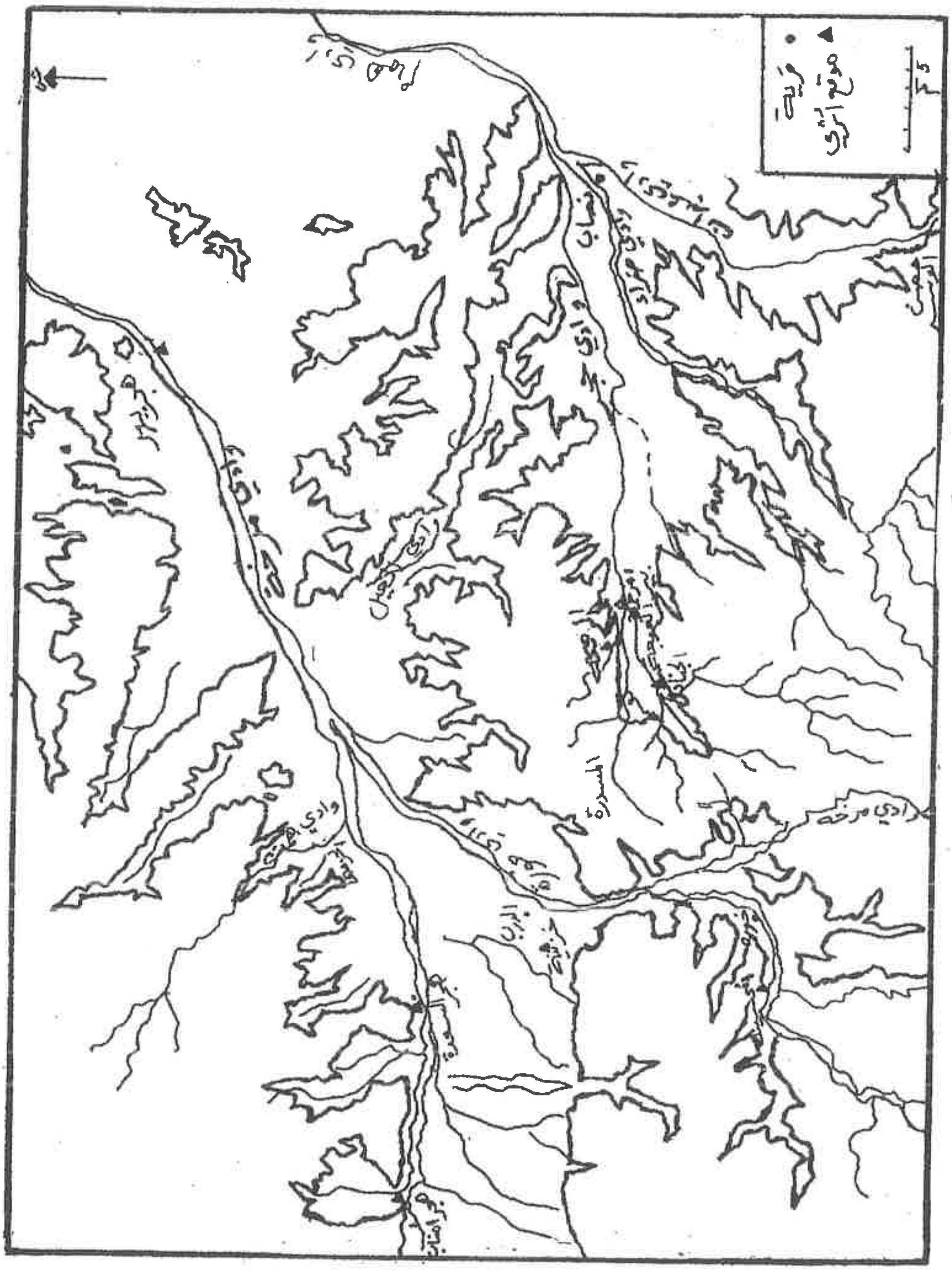
وفي عام 1985م، قامت البعثة الفرنسيّة بالتنقيب في الوادي عينه، حينها عثرت على كثير من المواقع الأثريّة المنتشرة في نواح شتّى منه، وأهم تلك المواقع هو:

هجر أمذيبية:

وفي هذا الموقع عثر على جدران للتّحصّن يحتمل أنها كانت أساساً لمبان متّصلة بعضها ببعض، كما عثر على مقابر تحتوي على جثث آدميّة مع كثير من المواد الجنائزيّة، مثل: الزّجاج، والعاج، والذهب، والفضة، وهي مزيّنة برسومات جميلة، ودقيقة في فنّها، إذ تبرز تداخل الفنّ اليمنيّ المحليّ بالفنون العالميّة الأخرى يرجع تأريخها إلى ما بين القرن الثاني والقرن الخامس للميلاد تقريباً[1].

1-Breton . J . F : " Wadi Durā" , Rapport de la mission francaise an Yémen , Aden , 1985 , أنظر أيضاً:

- Breton . J.F. et Audouin R: "Au Yémen important decouverte des archeologues francais ", dans , Historama No : 32 - October , 1986 .



خارطة رقم (14): دولة أوسان

الفصل الخامس

دولة معين

أولاً: الموقع الجغرافي.

ثانياً: أيهما أقدم معين أم سبأ؟

ثالثاً: التّكوين السياسيّ لمعين.

رابعاً: النّشاط الإقتصاديّ:

خامساً: النهاية السياسيّة لمعين.

سادساً: آثار معين.

أولاً: الموقع الجغرافي

يقول الهمدانيّ: "ومن محافد اليمن براقش ومعين، وهما بأسفل جوف أرحب وإذا ذكرنا (معيناً) فإننا نذكر ما بالجوف من الآثار والمعمور...."[1].

من قول الهمدانيّ هذا نستنتج بوضوح أنَ معيناً ظهرت بوادي (الجوف)، الذي يمتد من الغرب إلى الشرق بطول خمسة (5) أميال، يحدّه من الغرب المرتفعات الغربيّة التي تصرف إليه مياهها عبر العديد من الأودية، أمَا شرقاً فتواجهنا رمال الرّبع الخالي، وشمالاً تحده سلسلة من الجبال تبدأ بجبل (اللوذ) و(الشعف) شرقاً ومن جبل (برط) غرباً، أمّا جنوباً فتحده سلسلة جبال (يام) و(سليام)[2] (أنظر خريطة رقم 15).

ثانياً: أيهما أقدم معين أم سبأ؟

لقد احتلت معين منذ عام (1869-1870م)، مكانة هامة في صفحات التّاريخ اليمنيَ القديم، كدولة لها حضارتها العريقة، حيث تحدّث عنها الكتّاب الكلاسيكيّون بإسهاب في مؤلفاتهم[3]. وبعد زيارة (جوزيف هاليفيJ.Halevy) لمعين، أكد على أهميّتها وعظمتها من خلال مشاهدة آثارها، وما عثر عليه من نقوش فيها، إلاّ أنَ إغفال المؤرخين العرب لمعين قد جعل العالم النّمساويّ (جلازر Glaser) -في مطلع هذا القرن- يستنتج أن سبب ذلك يعود إلى قدم زمن هذه الدّولة، وتقادم العهد عليها، لذلك كانت (معين)- هي أقدم الممالك اليمنيّة على الإطلاق عند أولئك الباحثين من العلماء، وأكد العالم (فلبي Philby) هذا الرّأي في منتصف هذا القرن، عندما نشر قوائم ملوك معين، وذهب إلى أن القرن الثاني عشر ق.م هو البداية لتاريخ معين، معتمداً على آراء (جلازر Glaser) كثيراً فبقيت (معين) في أذهانهم أقدم الممالك اليمنيّة[4]، إلاّ أنَ النّتائج الأثريّة الجديدة غيّرت تلك المفاهيم، فلم تعد (معين) هي أقدم الممالك كما كان يعتقد (جلازر Glaser) ومَنْ شايعه في رأيه وذلك للأسباب التّالية[5]:

1- الهمداني: الأكليل، جـ 8، ص 175، أنظر أيضاً للهمداني: الصفة، ص 314.

2- محمد توفيق: "آثار معين في جوف اليمن"، نقوش خربة معين، القاهرة 1952.

3- (معين) أنظر نقش [RES 2774]

Pirenne . J : " Le royaume sud-arabe de Qataban et sa datation d'apres l'archeologie et les sourses classiques , Louvain . 1961 , p . 48 .

4- يوسف عبدالله، أوراق جـ 2، ص 33 - 34.

5 -المرجع نفسه، ص 35.



خارطة رقم (15): دولة معين في الجوف

عندما وضع (جلازر) فرضيته تلك لم يكن قد تمّ الكشف عن آثار معين وفق أسس علميّة ماديّة ومنهجيّة، وانّما تمّ ذلك على إثر زيارة العالم المصريّ (محمد توفيق) عام1942م فكان أوّل من نشر صوراً فوتوغرافيّة عن (الجوف) ونقوشها، ثم جاء (أحمد فخري) عام 1947م، فسار على نفس النّهج.

1- لقد بيّنت الدّراسات العلميّة لتطور الخطوط اليمنيّة القديمة، أنّ أقدم تلك الخطوط هي التي عثر عليها في (مأرب)، و(صرواح)، وليس في (معين).

2- إنّ أقدم النّقوش المكتشفة في (الجوف) كانت قد كتبت باللهجة السبئيّة، وليس المعينيّة، والفرق بين اللهجتين واضح وكبير.

3- أجمع الباحثون على أن إتّصالات معين بالعالم الخارجيّ لم تكن لتتمّ إلاّ في القرنيين الثّالث والثّاني ق.م، وأنّ بروزها وازدهارها كدّولة لم يتمّ إلا في تلك المرحلة.

4- لم يكن (لمعين) ذكر في الكتابات الآشوريّة والكلاسيكيّة كما كان لسبأ.

5- إنّ نقش النصر الذي يعود تأريخه إلى القرن السّابع ق.م، ويمثل -في الوقت عينه- مصدراً تاريخياً هاماً، لم يذكر معيناً كدولة، وإنّما ذكر مدن من (الجوف) من نحو (نشن)، و (كتلم) و (عرارتم) على أنّها مدن سبئيّة.

فجملة هذه الحقائق العلميّة تلغي نظريّة (جلازر) القائلة بأقدميّة (معين) على غيرها من الدّول اليمنيّة القديمة، وعلى ذلك تظل سبأ هي الدّولة الأوغل قدماً في التّاريخ اليمنيّ.

ثالثاً: التّكوين السياسيّ لمعين

اختلفت تقديرات الباحثين في تحديد البداية السّياسيّة لدولة معين، كما أشرنا سابقاً، ويبدو أنّ أكثر التّقديرات احتمالاً هو القرن الرابع ق.م[1]، مرحلة شهدت فيها المنطقة تحوّلات جوهريّة في ميزان القوى، فاختفت دويلات وبرزت أخرى، في تلك الظروف الجديدة نجد في الجوف مدينتين تجاريتين هما (يثل) "براقش" حالياً و (قرناو) "معين" حالياً، وكانت هاتان المدينتان قد أخذتا تتوحدان لتصبحان قوة سياسيّة في المنطقة؛ فتمكنتا بعد ذلك من إخضاع مدن الجوف جميعاً لنفوذهما، فشكلتا بذلك دولة جديدة لم يكن لها ذكر من قبل هي دولة (معين)، التي اتخذت من (قرناو) عاصمة لها، ومن أبرز حكام معين الملك (إل يفع يثع) إبن ملك حضرموت (يدع إل)، الذي حكم في فترة الوحدة السياسية التي قامت بين (معين) و(حضرموت). بعد ذلك نجد على عرش (معين) ملوكاً لهم استقلالية

1 - Albright, W .F: " The Chornology of the Minean Kings of Arabia", (BASOR), 129, 1953 , p . 20.

سياسيّة، نذكر منهم الملك (وقه إل يثع) الذي ورد اسمه في نقش (RES 2999) معاصراً لملك قتبان (شهر يجل يهرجب (الأول) الذي يعود عهده إلى حوالي 125 ق.م.

وعلى الرّغم من غلبة النّظام الملكيّ كان هناك مجلس يضمّ أعيان الدّولة وكبار موظفيها، كما هو حاصل في الممالك الأخرى، ويسمّى مجلس (مسود) (م س د)، بنفس الاسم الذي عرف في (قتبان). وتصف النّقوش ذلك المجلس بأنه (مسد منعن) أي: المجلس المنيع، وكان يجتمع بدعوة من الملك لبحث الأمور الحيويّة والمعيشيّة، أو أمور الحرب، وكان يتناوب رئاسته أسر محدّدة بعينها. أمّا في الأقاليم والمدن الكبيرة، فهناك موظفون تلقّب كلّ منهم بلقب (كبر) أي كبير، أو (وال)، أي (والي)، ويتولى كلّ منهم شؤون منطقته باسم الملك، حيث تتحدّد مهمته في شؤون القضاء، وجباية الضرائب، وفي إقامة المشاريع الإقليميّة[1].

رابعاً: النّشاط الإقتصادي

استفادت معين كثيراً من موقعها الجغرافيّ في الطّرف الشماليّ من اليمن، لتقوم بالاتّصال الخارجيّ مع دول العالم القديم، ولذلك أسهمت في القيام بدور الوسيط التجاريّ، فجلبت المرّ و اللبان من المناطق اليمنيّة المختلفة وبالذات: حضرموت، وجنوب قتبان (الأرض الأوسانيّة)، وكانت تستورد البضائع القادمة من الهند وشرق أفريقيا، ومن ثم تعيد تصديرها إلى الشّرق القديم، ودول البحر المتوسط. ويقول (بليني) عن المعينيّن: "يمر في منطقتهم (يقصد المعينيين) ترانزيت الكندر عبر طريق ضيق، فهم الذين بدءوا التّجارة، وأشبهر مَنْ مارسها واتّخذوا نوعاً من البخور، أشتق اسمه من اسمهم وهو البخور المعيني"[2].

إذاً -ومن خلال النشاط التّجاريّ- وصل المعينيّون إلى مصر، وفلسطين وبلاد اليونان. وأقاموا مستوطناتهم على المحطات التّجاريّة، لتأمين سلعهم، ومن أهم تلك المستوطنات (ددان) الواقعة في واحة (العلا) شمال يثرب"[3]. وعلى الرّغم من أن منطقة (ددان) كانت خاضعة لنفوذ ملك "لحيان" وتحت حمايته، إلا أنها كانت تتمتع باستقلالها الذّاتي في إدارة شؤونها، كما كان لها معبدها الخاص.

1- نفسه،ص 121، 243.

2- Pliny : op . - cit , Bk 12 . sec 30

أنظر أيضا:

- Groom . N : op. - cit p. 241

3- ديتلف نيلسن : " تاريخ العلم ونظرة حول المادة " ، الفصل الأول من كتاب " التاريخ العربيّ القديم " ، ترجمة . د . فؤاد حسنين علي ، مكتبة النهضة المصريّة ، القاهرة 1993م ، ص 42.

فكان من هذا الموقع أن نشطت الجاليّة المعينيّة واللحيانيّة -التي عثر عليها في تلك المنطقة- كان ذلك في أواخر القرن الثالث ق.م تقريباً[1].

وتعامل التّجار المعينيّون -كذلك- مع العواصم المصريّة، فأستقرَّ بعضهم فيها، وخير دليل على الاتصال التّجاريّ وجود قبر خاص لتاجر معينيّ عثر عليه في منطقة (سقارة) المصريّة -الواقعة على بعد (27) كم جنوب القاهرة- يحمل نقشاً مدوناً بخط المسند [RES 3427]، يعود تاريخه إلى القرن الثالث ق.م، في هذا النقش ذكر اسم ذلك التاجر المعينيّ وهو (زيد إل بن زيد) وسبب مجيئه إلى مصر ينص على أنّه كان يستورد الطيب للمعابد المصريّة في عهد الملك بطليموس بن بطليموس، عام 264 ق.م، ويذكر أنّه دفن في قبر شيّد على نفقة معابد الآلهة، تقديراً لما قام به من خدمات جليلة وإمعاناً في التقدير والاحترام منحه الكهنة لقب (الكاهن المطهّر)، وأعدّوا له جنازة وفقاً للطقوس (الأوزيروسيّة)[2].

كما عثر على نقش معينيّ في جزيرة (ديلوس Delos)* اليونانية، يعود تأريخه إلى النصف الأخير من القرن الثاني ق.م، تقريباً، وفيه ذكر صريح للإله المعينيّ (ود)، يذكر صاحب النقش أنّه (نصب مذبح، ودم، وآلهة معين ب (دلت) أي: (ديلوس). واختتم بكتابة يونانية ورد فيها اسم الإله المعينيّ (ود) أيضاً [RES 3570][3].

وإلى جانب التّجارة، أبدع المعينيّون في الزراعة، من خلال استغلال كل رقعة زراعيّة في أراضيهم الواسعة، بإقامة المشاريع الإروائية، ممّا سمح لها بإنتاج الغلات المتنوعة التي تلبّي حاجة المدينة، وكانت مياه وادي الخارد غرب الجوف، كافية لتروي مساحات زراعيّة واسعة. وقد وصف (بليني) أراضي معين الخصبة؛ فقال: "إنّها تنتج المحاصيل المتنوّعة، بما فيها محاصيل، وثمار، وأشجار النّخيل، والعنب". وتحدّث باستفاضة عن ثروتها الحيوانية، فذكر أعداد

1- عبدالعزيز صالح: المرجع السابق... ص93.

2 - عبدالحليم نورالدين: "مقدمة في الآثار اليمنيّة"، منشورات جامعة صنعاء، 1405 هـ 1985م، ص 190. أنظر أيضاً: بافقيه، محمد عبدالقادر، والفريد بيستون، وكريستيان روبان، ومحمود الغول: مختارات من النقوش اليمنيّة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس (1985)، ص 293-294.

* تقع جزيرة ديلوس في بحر إيجه الواقع شرق شبه جزيرة بلاد اليونان، (شبه جزيرة البيلوبونيز)، تعد (ديلوس) من أهم الموانئ الحرة التي نشطت بعد سقوط ميناء (كورنثا) عام 146ق.م. المذبح الذي يوجد عليه النقش المعيني، موجود حالياً بمتحف هذه الجزيرة.

3 -بافقيه وآخرون: مختارات، 296.

الماشية التي كانت متوافرة فيها، ومن ذلك نستنتج مدى الثراء الاقتصادي الكبير الذي وصلت إليه معين في القرون الأخيرة من الألف الأول ق.م[1].

خامساً: النهاية السياسيّة لمعين

استمرت معين في ازدهارها الاقتصاديّ حتّى القرن الأوّل ق.م. وبازدياد نفوذ وقوّة دولة الأنباط فقد المعينيّون مستوطناتهم الشّماليّة وخاصة مستوطنة (ددان) التي كانت من أهمّ مراكزهم، كما أنّ اكتشاف البطالمة سرّ اتجاهات الرّياح في البحر الأحمر، كان دافعاً لانتعاش الملاحة البحريّة، فانعكس ذلك الانتعاش البحريّ سلباً على الطّريق البريّ، ممّا سبّب لمعين الوهن الشديد فلم تعد تقوى على صد هجمات الطامعين فيها. ولم ينته القرن الأوّل ق.م. إلاّ ونجد (معيناً) وكلّ مدن ومناطق الجوف قد راحت تنطوي تحت لواء الدّولة السبئيّة من جديد فعند مجيء الحملة الرّومانيّة إلى اليمن سنة 24 ق.م. لم يكن لمعين وجود كدولة، خاصّة وأنّ مؤرّخ الحملة (سترابو) لم يورد ذكرها كدّولة، ممّا يوحي بأنّها فقدت استقلالها في ذلك الحين، غير أنّه ذكر المعينيّن كشعب ذي كثافة سكانيّة عالية[2].

وتجب الإشارة إلى أنّ الانهيار السياسيّ لمعين لم يؤد إلى وقف نشاطها التجاريّ نهائياً؛ بل ظلّ المعينيّون يقومون بمختلف أنشطتهم تحت رعاية الدّولة السّبئيّة.

سادساً: آثار معين

إذا استثنينا موقعي (خربة سعود) و (براقش)، فإنّ المواقع الأثريّة الهامّة في (الجوف) كما يبدو من الخريطة تقع في وسط منخفض، يمتد من الشرق إلى الغرب على خطّ مستقيم تقريباً، وهذه الخرائب هي:

1- قرناو (معين حالياً):

تقع خرائب (قرناو) العاصمة المعينيّة على بعد سبعة (7) كم تقريباً من مدينة (الحزم) شرق الجوف، في منتصف المسافة بين جبلي (اللّوذ) و (يام) عند الفتحة المؤدّية إلى رمال الربع الخالي في الشرق.

شيّدت المدينة المحصنّة على حافة مرتفعة، لا يقلّ ارتفاعها عن عشرة (10) أمتار فوق الوادي المحيط بها. وهي مستطيلة الشّكل، يبلغ طولها (350) متراً تقريباً، وعرضها (250) متراً تقريباً، تمتدّ من الشرق إلى الغرب، لها حصن مسوّر، ومدخلان: مدخل شرقيّ مواجه للصّحراء، ومدخل غربيّ، ولهما برجان

1-Groom . N : op . - cit , p. 80 - 88.

2- Ibid-.

مرتفعان على جانبي المدخل مازالت بقاياهما قائمة حتى الآن[1]*.
والمدخل الغربي يتميز بإتقان عمارته، ناهيك عن النقوش التي تغطي حيطانه الداخلية والخارجية، وإلى جانب تلك النقوش هناك جدران السور، ونقوش أخرى على مجمل الأعمدة داخل وخارج المدينة، وقد دونت تلك النقوش تاريخ مملكة معين، وما كان لها من مكانة حضارية رفيعة، ذات شأن عظيم.
أعطى المعينيون -كغيرهم من اليمنيين- لمعابدهم عناية فائقة، فبنوا عددا كثيرا منها، وكان أهمها معبد الإله (عثتر) الواقع خارج سوز المدينة إلى الشوق منها.
وكان هذا المعبد قد بني بأسلوب هندسي رائع، ناهيك عن أن جدرانه مزينة برسوم وأشكال من الوعول، والماعز والثعابين، والنعام، ورؤوس لحيوانات متنوعة أخرى، وما إلى ذلك. وكان باستطاعة المرء الوصول إلى المعبد عن طريق بوابة ضخمة، تفضي به إلى فناء واسع له، يضم بداخله مجموعة من الأعمدة، يصل ارتفاع الواحد منها أربعة (4) أمتار تقريبا. ويلي هذا الفناء عدد من الردهات والحجرات.
أما النقوش التي عثر عليها في المعبد، فتشير إلى اسم الإله الذي بني من أجله هذا المعبد وهو "الإله عثتر"[2].
وكان بناء المعابد خارج المدن قاعدة لدى كل الدول والممالك اليمنية القديمة، والسبب في ذلك أن تلك المعابد كانت إتحادية، ترتادها مختلف القبائل من المناطق المجاورة لهذه المملكة أو تلك.

2- يثل (براقش حاليا):
إن أقدم نقش يذكر (يثل)، ويوثق لنا شيئا من أخبارها، هو نقش النصر [RES 3945] فهو يحدثنا بأنها كانت -في القرن السابع قبل الميلاد- إحدى المدن السبئية أولا، وبعد ذلك راحت تنطوي تحت راية دولة معين، في عهد ملكها الذي كان يدعى (عم يثع نبط بن أبكرب) [3].[RES 2980].
وعلى أثر ذلك غدت يثل (براقش حاليا) ثاني مدن الدولة المعينية لما كان لها من موقعا استراتيجي عظيم الأهمية والشأن، إذ هي تتوسط الطريق التجارية

1- محمد توفيق: آثار معين .. ص أنظر أيضا هاليفي: تقرير.. ص 184 -185.
*- زارت البعثة الفرنسية معين عام 986م وأشارت إلى أن المدينة الأثرية مهجورة:
Robin :" L'etudes sud - arabique ", Raydan , 4 p. 150
2- أنظر خليل نامي: " نقوش خربة معين"، القاهرة 1952 م.
3 - أحمد فخري: رحلة أثرية.. ص 165 -166، وهاليفي: تقرير ص 186.

الواقعة بين مأرب ونجران، إلى الشمال الشرقي من صنعاء، على بعد (98) كم تقريبا.

وكانت (يثل) قد شيدت على رأس ربوة ترابية، وأحيطت بسور منيع تتخلله أبراج بارزة، مازال الجزء الأكبر من جدار هذا السور قائما، ويتضمن عددا من النقوش. وهناك أجزاء من الأعمدة داخل المدينة وخارجها، ما برحت ماثلة للعيان[1].

وفي هذه المدينة كثير من المعابد، ولهذا كانت هي المدينة الدينية لمعين؛ يمكن للمرء أن يلاحظ من بقايا الأبواب، ومن ترتيب الأعمدة المتناثرة بكثرة في كل النواحي. وفي إحدى ضواحي المدينة (درب الصبي) عثر على معبد معيني، كان مكرسا للإله (نكرح)، إضافة إلى مجموعة من النقوش[2].

3- هرم (الحزم حاليا):

يرى (هاليفي Halevy) أن مدينة (هرم) الأثرية القديمة كانت هي المدينة المعينية الثالثة[3]. وهي اذ تقع على بعد كيلومترين (2) كم غرب مدينة (الحزم الحديثة)، وتمتد منبسطة على مرتفع طوله (250) مترا، وعرضه (180) مترا حيث تنتشر خرائبها المعروفة باسم (خربة آل على). ويمكن للمرء أن يشاهد للتو أن هناك أطلالا من جدران حجرية تظهر بارزة بين المنازل الحديثة، ناهيك عن أن بوابة المدينة لا تزال تحتفظ برونقها، وما برحت في حالة جيدة تماما[4].

وفي المدينة أيضا آثار لمعابد شتى، تتناثر وسط المنازل، راح الأهالي في العصور الحاضرة يطلقون على تلك المعابد -وما إليها- اسم (بنات عاد)، أو (أبنية بني عاد). إلا أن معبد المدينة الأول والرئيس كان قد شيد -قديما- خارج أسوارها، شأنه في هذا شأن المعابد الأخرى في سائر مختلف المدن اليمنية القديمة، وحواضر دول اليمن الأثيلة وكان هذا المعبد مخصصا لعبادة الإله (عثتر) لا غير. وقد ظلت آثاره شامخة لدهور مديدة، فبقيت حتى عهود متأخرة من الأزمنة القريبة الخالية، لأنه كان قد بني من كتل جرانيتية ضخمة، منقوش

1-Robin. Ch : " A propos des insciptions in situ de Baraqis l'antique (Ytl) , dans , (PSAS) , vol 9, 1979 , p. 102-112

أنظر أيضا Robin . Ch: " Trois inscriptions Sabeenes decouvertes pres de Baraqis" , PSAS, vol, 17, 1987,p .165-173 .

أنظر أيضا: هاليفي: تقرير.. ص 186.

2- Robin. Ch. Breton J.F, Ryckmans . J: " Le Sanctuaire de NKRH A Darb as- Sabi , environ de Baraqis ,(Raydan) ,5,1988 p . 91-144.

3- هاليفي: تقرير.. ص 183-184.

4- أحمد فخري: رحلة أثرية.. ص 167.

عليها مناظر بديعة. أما في وقتنا الحاضر فإن جدران المعبد ذاته قد انهدت وتلاشت ضياعا وما تبقى من بلاطات الرخام -التي كانت تغمر تلك الجدران وتزينها- فمرمي على الأرض، ومتروك للعراء وأما سقف المعبد -وكان قد سبك هو أيضا من قطع البلاط الرخامية- فقد كان مرفوعا على أعمدة رباعية الشكل، ما برحت معالمها بارزة للعيان![1].

وفي الموقع ذاته اهتدت بعثات التنقيب إلى الكشف عن ملتقطات أثرية متنوعة، إضافة إلى نقش عظيم الشأن والأهمية.

4- كتال (خربة سعود حاليا):

مدينة أثرية مهدمة، قائمة، على تل يقع على بعد مسيرة ساعة واحدة إلى الشرق من وادي (رغوان)، ومسير يوم واحد إلى الشمال الشرقي من مأرب. ومن جراء ما أصابها من تخريب أصبح من الصعب التعرف على ملامح مبانيها الأثرية، غير أن جدران سورها ما برحت قائمة كلها تقريبا، تغطيها الرمال. إضافة إلى بقايا آثار معبد يضم بداخله بئرا قديمة![2].

5- كمنهو (كمنا حاليا):

ذهب الهمداني إلى أن (كمنا) أحد محافد الجوف: (جوف همدان ومراد)[3]. فهي -إذن- مدينة أثرية تقع شمال شرق (خربة سعود)، وموقعها يضم خرائب مدينة كبيرة مع بقايا منازل قديمة مدمرة، إلا أن الأحجار المنقوشة -التي أشار إليها (هاليفي) عام 1870 م- لم يتمكن أحد من العثور عليها[4].

وفي عام 1947 م عثر (أحمد فخري) على ثلاثة نقوش[5]، بينما تمكنت البعثة الفرنسية - في عام 1981 م - من العثور على ثلاثة نقوش أخرى في موضع قريب من (كمنا)، واقع منها شرقا على بعد كيلومتر واحد تقريبا، إضافة إلى ما كشفت عنه من بقايا وآثار معبد (النصيب)، الذي لم يسبق له البتة أي ذكر من قبل[6].

1- نفسه، ص 167 - 170.

2- أحمد فخري: رحلة أثرية.. ص 164.

3- الهمداني : الإكليل، جـ 8 ، ص 175 . والهمداني : الصفة ، ص 314.

4- هاليفي: تقرير ... ص 185.

5- أحمد فخري : رحلة أثرية - ص 171.

6- Robin . Ch : etudes Sud-arabique en Langue francaise . Raydan 4, 1981 . p. 150 - 158 .

6- نشن (المعروفة حاليا ب "السوداء"):

ورد ذكر لاسم هذا الموضع (نشن) في عدد من النقوش، نذكر من بينها نقش [RES 3945]. أما "الحسن الهمداني" فقد حدثنا عنه في كتابيه (الإكليل) و(صفة جزيرة العرب)، قائلا "السوداء تقع في جوف (همدان ومراد)، ويسكنها النشقيون الذين ينتسبون إلى (دومان بن بكيل)[1].

ومهما يكن من شئ، فإن المدينة الأثرية (نشنا) تقع على بعد مائة كيلومتر إلى الشمال الشرقي من صنعاء، وخمسة عشر (15 كم) تقريبا إلى الشمال الغربي من مدينة (الحزم) و (9 كم) إلى الغرب من (كمنهو)، وما برحت هذه المدينة - حتى الآن- تضم بضعة أعداد من المباني الأثرية المدنية والدينية، ومعبدا آخر يقع خارج سورها، إلى الشرق من مدينة (السوداء) الحديثة[2].

وعلى الرغم من المدينة القديمة ذاتها -فيما يذكر (هاليفي)- كانت رائعة وبديعة، فإن النار كانت سبب دمارها ويرى (هاليفي) ايضا أنها -أي المدينة- كانت - دون شك - مركزا صناعيا عظيما، لتصنيع المعادن على وجه الخصوص، ذلك لأنه -أعني "هاليفي"- شاهد في موقعها الأثري كومة كبيرة من البقايا تغطي أراضيها المحترقة[3].

ويعد معبد عثتر (ذي رصف) -الذي كان قد بني على بعد كيلومتر واحد إلى الشرق من مدينة السوداء، أبرز آثار المدينة، وأهمها على الإطلاق، وقد غدت بقايا هذا المعبد، تشكل ركاما مكدسا، وفي ثنايا تلك البقايا تنتصب مجموعة من الأعمدة، تنتشر على امتداد مدخل المعبد وأروقته الجانبية، وإلى جانبها تبرز كميات من قطع البلاط، مزخرفة بأشكال نباتية، وصور شخصيات آدمية، وحيوانات أخرى متنوعة وكانت هذه القطع البلاطية قد استخدمت لتغطية تلك الأعمدة، وتزيينها في آن معا[4].

وقد عثر في المعبد ذاته على مواد أثرية مختلفة، هي على نحو ما هو آت:

1-كمية كبيرة من الفخار.

2-بقايا قرابين ونذور.

1- الهمداني: الاكليل، جـ 8، ص 175 - 178 وانظر كتابه، ايضا الصفة، 314، والاكليل، جـ 1، ص 22.

2- أحمد فخري: رحلة آثرية -- ص 171 - 172.

3- هاليفي تقرير... ص 186.

4 - جان فرانسوا بريتون: "تقرير أولي عن معبد عثتر ذو رصف، مدينة السوداء"، مجلة دراسات يمنية، العدد 38، صنعاء 1989م، ص 211 - 219.

3- عشرات من المباخر، بعضها يحتوي على نصوص نقشية.

4- تماثيل نذرية[1].

7- نشق (البيضاء حاليا):

ذكر "الهمداني" هذا الموضع التاريخي في كتابيه المشار إليهما آنفا فوصفه بأنه "أحد محافد اليمن، يقع في أرض (الجوف ومراد)، ويسكنه النشقيون المنتسبون إلى (دومان بن بكيل)[2].

وعلى أية حال، فمدينة (نشق) الأثرية تقع إلى الغرب من (السوداء)، على مسافة لا تقل عن (10 كم)، حيث بناؤها قد قام على واد رملي مستو في انبساطه، واقع شرق وادي (الخارد)، إلى الشمال الشرقي من جبل (سيلان)[3]، وقد ترك لنا الزمن قسما كبيرا من جدرانها، ما برح قائما، وخاصة تلك الجدران الماثلة في الجهتين: الشرقية، والجنوبية الشرقية من المدينة ذاتها، إضافة إلى ما تبقى فيها من آثار لبقايا قلعة كبيرة، يبلغ قطرها (300) متر تقريبا! وفي طي هذه البقايا عثر على عدد لا بأس به من النقوش[4].

---

1 - المرجع نفسه، ص 214.

2- الهمداني: الاكليل، جـ 8 ص 175 - والاكليل، جـ 10، ص 122 و الصفة، ص 314.

3-Tawfiq . M :" les monument de Ma 'in " , tome I , p . 44 - 45.

4-Robin: Les etudes.. p. 150 - 151.

الجزء الثالث

العصر الثاني من التاريخ السياسي لليمن القديم

"حضارة القيعان في المرتفعات الغربية"

الفصـــل الأول: الأوضـــاع الدولية قبيل ميلاد سيدنا يسوع عليه السلام، وأثرها على مجريات الأحداث في اليمن القديم.

الفصـــل الثانـــي: دولة سبأ وذي ريدان (القرن الأول حتى القرن الثالث الميلادي)

الفصـــل الثالث: دولة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة أحداث (القرن الرابع الميلادي).

الفصـــل الرابع: دولة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود والتهائم، أحداث (القرن الخامس الميلادي).

أو
ثان
ثال
راب

الفصل الأول

الأوضاع الدوليّة قبيل الميلاد وأثرها على مجريات الأحداث في اليمن القديم

أولاً: الحملة الرومانيّة على جنوب شبه الجزيرة العربيّة.
ثانياً: انتعاش الملاحة البحريّة.
ثالثاً: الأوضاع الداخليّة للكيانات السياسية في اليمن القديم.
رابعاً: بروز دولة حمير أو بني ذي ريدان.

أولاً:
بع
من ال
ianus
الروم
هذين
انتحر
منافس
بع
خلالها
بقية
نائبه
فم
العربي
هي ا
شافية
اليمني
الحمل
وصدي
الأصل
المهز
حول

- دواف

1- ال
إن

1 ويل
الحضا
2 جوا
rary.

أولاً: الحملة الرومانيّة على جنوب الجزيرة العربيّة

بعد مصرع (يوليوس قيصر) عام 44 ق.م، آل أمر الدولة الرومانيّة إلى إثنين من القادة الرومان هما: (انطونيوس Marcus Antonius) و (أوكتافيانوس Octavianus)، وأصبح من نصيب الأخير الولايات الغربيّة من الامبراطوريّة الرومانيّة، "ولانطونيوس" الولايات الشرقيّة، بيد أن الصراع ما لبث أن نشب بين هذين القائدين، وكانت معركة (أكتيوم) البحريّة سنة 32 ق.م، فاصلة بينهما، إذ انتحر (انطونيوس) بعد فشله، واصبح (اوكتافيانوس) إمبراطور روما بدون منافس ولقب ب (أوغسطس)[1] ، أي "المحترم".

بعد تلك الأحداث استقرت الأحوال في الامبراطوريّة الرومانيّة، فتمكن الرومان خلالها من السيطرة الكليّة على مصر وبلاد الشام، وبدأت أنظارهم تتجه صوب بقيّة أنحاء شبه الجزيرة العربيّة لاحتلالها، وبالفعل كلّف الامبراطور (أوغسطس) نائبه الرومانيّ على مصر آنذاك (اليوس جالوس Aelius Gallus) بالقيام بتلك المهمة[2].

فما هي -يا ترى- الدوافع المباشرة وراء فكرة غزو شبه جنوب الجزيرة العربيّة؟ وكيف جوبهت الحملة الرومانيّة من قبل اليمنيّين؟ ولماذا فشلت؟ وما هي النتائج التي ترتبت عليها؟ كثير من الأسئلة تبرز أمامنا بحاجة إلى ردود شافية، وممّا يؤسف له إنّنا لا نجد لأخبار تلك الحملة أيّة إشارة في النقوش اليمنيّة القديمة -المعروفة حتى الآن- فالمصدر الوحيد الذي أمدنا بأخبار تلك الحملة هو: ما كتبه المؤرخ الرومانيّ (سترابو Strabo) معاصر القائد الرومانيّ وصديقه، والأخذ بذلك المصدر يستدعي الحيطة والحذر، فالمؤرخ رومانيّ الأصل، ومن الطبيعيّ أن يدافع عن سمعة إمبراطوريته، وعن صديقه القائد المهزوم. وليس أمامنا إلاّ أن نورد ماذكره (سترابو)[3] ، ومن ثمّ نورد استنتاجنا حول تلك الحملة.

- دوافع الغزو

1- الدوافع الاستراتيجيّة:

إنّ فكرة الاستيلاء على جنوب شبه الجزيرة العربيّة، بالنسبة للرومان تعني

---

1 ويل ديورنت: " قصة الحضارة "، ترجمة، محمد بدران، الجزء الأول من المجلد الثالث" الحضارة الرومانيّة " مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة 1955 م ص 418 - 421.

2 جواد علي: المفصّل، جـ 2، ط (1977)، ص 43-58.

3- Strabo: “ The Geography “ trans,by H. L. Jones , Loep Classical Library , London , 1930 , Bk 16 , ch 4 Secs 22-25 .

السيطرة على البحر الأحمر وتحويله إلى بحيرة رومانيّة، وبذلك تتحقق لهم هذه الاستراتيجيّة التي ترسّخ الترابط بين مناطق نفوذهم وممتلكاتهم في بلاد الشام من جهة، ومصر وشرق إفريقيا من جهة أخرى، بذلك يتحقق لهم نصر عسكري وسياسيّ واقتصاديّ كبير في وجه عدوهم التقليدي: الإمبراطورية الفارسيّة.

2- الدوافع الاقتصاديّة:

أبرز تلك الدوافع تتمثل في السيطرة على طريق البخور من بدايته في الموانئ الجنوبيّة لشبه الجزيرة العربيّة، وحتى نهايته في شواطئ البحر المتوسط، تلك الطريق التي كان يسلكها اليمنيّون محمّلين بأثمن السلع التي تنتج في أراضيهم، وتلك السلع النفيسة القادمة من الهند وشرق أفريقيا. كما أن جنوب شبه الجزيرة العربيّة كان هدفاً مباشراً لتلك الحملة، إذا ما عرفنا نوع المنتجات التي ينتجها كاللبان والمر...، والمعروف أن الرومان يدفعون لاستيرادها أموالاً طائلة بحكم قداستها الفريدة[1].

لتلك الأسباب جاءت فكرة غزو العرب، إمّا لإرهابهم أو لاحتلال أرضهم، وتحويلهم -بعد ذلك- إلى حلفاء طائعين أو مهزومين خاضعين للضريبة والسخرة.

ومن العوامل المساعدة التي شجّعت الرومان على الغزو، تلك الصورة البّراقة التي نقلها الكتّاب الكلاسيكيون عن بلاد العرب، ابتداءً من (هيرودوتس Herodotus) إلى (سترابو Strabo) و (بليني Pliny)، فقد تحدثوا جميعاً عن الثراء الخارق للسبئيّين نتيجة لتجارتهم بالبخور، وما أقتنوه بفضل تلك الأرباح من مصنوعات ذهبيّة وفضيّة: كالأسرة، والموائد، والأواني، والكؤوس ... الخ. فضلاً عن قصورهم الرائعة التي كانت أبوابها وجدرانها وسقوفها مرصّعة بالعاج، والذهب، والفضة، والأحجار الكريمة، لقد كان لتلك الروايات تأثير كبير على العقليّة الرومانيّة.

سير الحملة:

تحدّث (سترابو) عن الحملة الرومانيّة، منذ بداية التفكير فيها، ويبدو جلياً أنّ (اوغسطس Augustus) الإمبراطور الرومانيّ، قد فكّر ملياً في احتلال بلاد العرب تحقيقاً لحلم مقدونيّ قديم، فقد أخفقَ (الاسكندر المقدونيّ)، الذي وافته المنيّة قبل أن يحقق هذا الحلم.

بتكليف من الإمبراطور الروماني بدأ (اليوس جالوس) في الإعداد للحملة في شهر "أغسطس من عام 24 ق.م". وبعد تجهيز كبير، تحركت القوات الرومانيّة

1-Ibid, Sec 22.

على متن أسطول كبير مؤلف من (130) سفينة، من ميناء مصريّ على (خليج السويس) متجهاً صوب أحد موانئ الأنباط على الجانب الآخر من البحر الأحمر، يدعى (لويكه كومه Leuke kome) وقد وصلت القوات الرومانيّة إليه بعد خمسة عشر (15) يوماً من الرحيل في البحر، تعرّضت خلالها السفن لمتاعب جمّة وتحطم منها الكثير![1].

وقد علّق القيصر آمالاً كبيرة على مملكة النبط شمال الجزيرة، والتي كانت حينها مواليه له، ويحكمها صديقه (عبادة الثاني Obadas)، لم يخب الأنباط آمال القيصر، عندما زودوا القوات الرومانيّة بحوالي (1000) جندي من الأنباط، ومجموعة من المجنّدين اليهود، وصل عددهم إلى حوالي (500) وغيرهم من رعايا الامبراطوريّة الرومانيّة في بلاد الشام، وتم اختيار الوزير النبطي (سيلايوس Syllaeus) مرشداً للحملة -كما جاء عند (سترابو)- وقد أجمع المؤرخون على أنّ (سيلايوس) هو الاسم العربيّ (صالح)[2].

من الأرض النبطيّة، تحركت الجيوش براً بقيادة (اليوس جالوس)، بمحاذاة ساحل الحجاز وتهامة في طريقها إلى جنوب شبه الجزيرة العربيّة (اليمن القديم)، وقد ذكر (سترابو) الأهوال التي تعرّضت لها الحملة أثناء سيرها من عطش ومرض خلال ستة أشهر كاملة، سارت القوات خلالها أرضاً لم يذكر (سترابو) إسمها، وإنّما ذكر أنها كانت أرض الملك (Aretas)* أيّ "الحارث" وكان ذا قرابة لملك الأنباط (عبادة الثاني)، ثم سار في أرض وعرة حتى وصل إلى أرض مأهولة بالأعراب تدعى (Aravene) عليها ملك اسمه (Sabos) وكان (جاليوس) قد قطعها في (50) يوماً حتى وصل إلى مدينة (Negrani) نجران، وتعد أوّل المدن اليمنيّة، وهي منطقة خصبة، ويذكر (سترابو) أن الرومان دمروا المدينة -أعني نجران- وأجبروا ملكها على الفرار. وبعد مسيرة ستة أيام عنها وصل الرومان إلى نهر** جرت عنده معركة، خسر فيها المهاجمون عشرة آلاف رجل، أمّا الرومان فلم يخسروا سوى رجلين فقط -على حد قوله- ثم سارت الحملة

1-Strabo: op. - cit , Bk 16 , ch 4 , Sec 24.

2- جواد علي: المفصل، جـ 2، ص 386. ..

* الحارث Aretas:

ورد في المصادر الاسلاميّة، ذكر لقبيلة (بني الحارث بن كعب) كما جاء ذكرها عند "الهمداني" في كتابه (صفة جزيرة العرب) بأن أراضي " بني الحارث " تقع شمال نجران إلى وادي تثليث وربما تكون هي الارض التي قصدها (سترابو)، وإن الحارث هو من هؤلاء الذين عرفوا (بني الحارث بن كعب).

** النهر الذي وقعت عنده المعركة وقتل فيها على حد زعم (سترابو) عشرة آلاف من العرب، يرجح المؤرخون أنه (غيل الخارد) في الجوف (أنظر الخريطة رقم 15).

حسب قوله إلى منطقة تدعى: (نسكا Nesca) لعلها (نشق) "خربة البيضاء حالياً" بالجوف، ويضيف: "أن ملكها سلّمها لهم دون أدنى مقاومة"، ثم يذكر مدناً أخرى من مدن الجوف، حتى وصلت الحملة إلى (مارسيبا) او (ماريبا) او (ماريقا)، بالرغم من الاختلاف في كتابة الاسم، إلاّ أنّ معظم الدارسين يرون أنّ المقصود بتلك المدينة (مأرب) العاصمة السبئيّة، وكان ملكها حينها يسمّى (Ilasaros) ويعني عند المؤرخين (إلي شرح)، ويبدو جلياً من وصف (سترابو) أنّ المدينة كانت محصنّة، ممّا أضطر الرومان إلى محاصرتها حوالي ستة أيام، ومن ثم تراجعوا عنها بسبب قلة المياه وتفشّي الأمراض، وذكر (سترابو) أن الحملة لم تتعرّض أثناء تلك الأيام الستة إلاّ لمناوشات من قوات (إيلازاروس Alasaros).

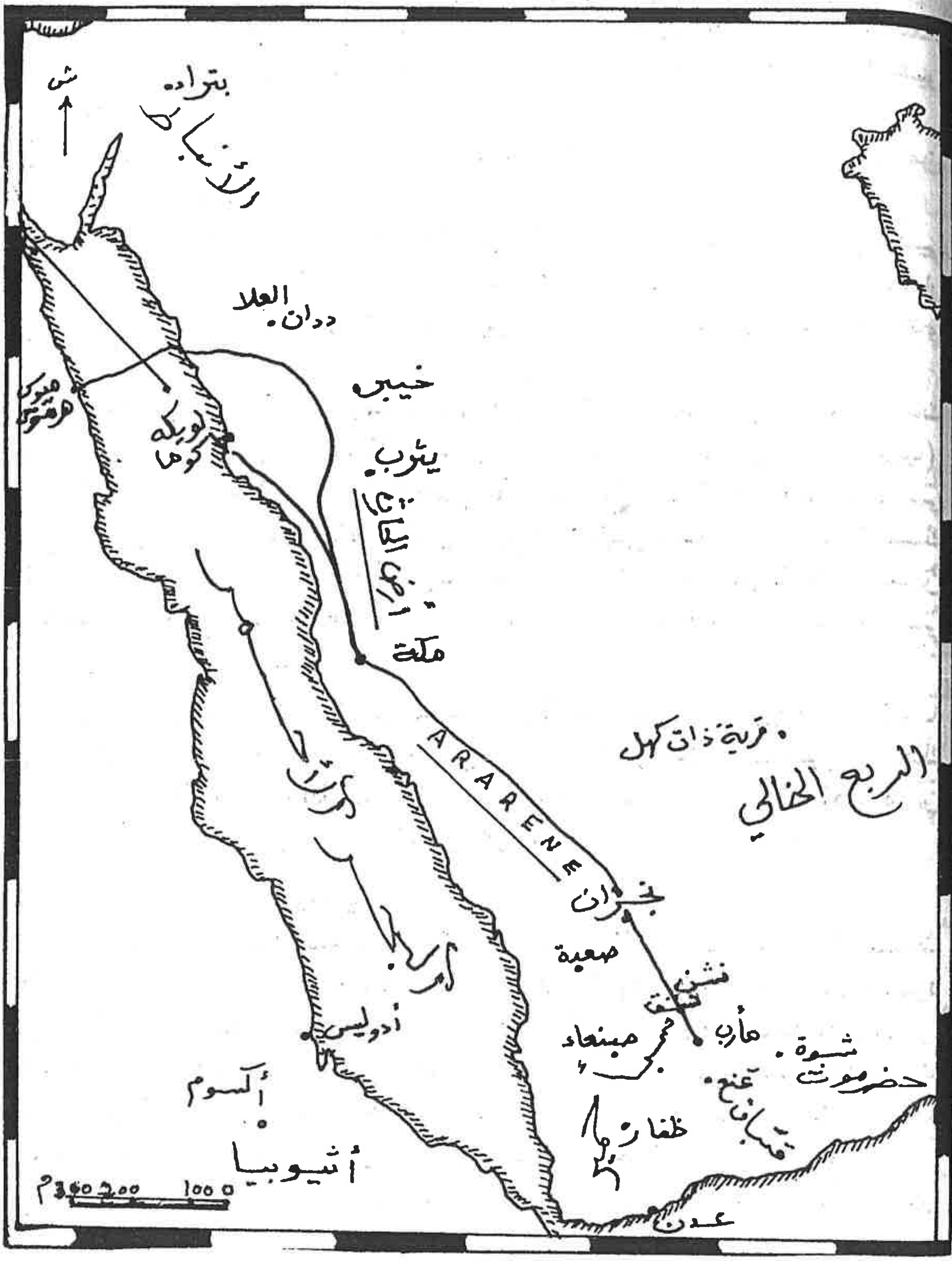
بعد ذلك عاد (اليوس جالوس) بجيشه خائباً من حيث أتى وأول المدن التي مرّ بها عند العودة (نجران) وصلها في تسعة أيام، وهناك وقعت معركة بين الرومان والعرب، ثم غادرها (جالوس) فوصل بعد مسيرة أحد عشر يوماً، إلى موضع يعرف ب (الآبار السبع) وسار عدة مواضع حتى وصل إلى منطقة تسمى (Egra) *** "ايجرا" او (نيجرا) من قرى أرض (عبادة الثاني) تقع على ساحل البحر وقد قطع المسافة كلها في (60) يوماً ومنها أتجه إلى مصر(أنظر الخريطة رقم 16).

أسباب فشل الحملة:

1- يعزو (سترابو) فشل الحملة إلى خيانة الوزير النبطي (صالح)، حينها طلبت روما من الأنباط محاكمة الوزير، وفعلاً تمت محاكمته بتهمة الخيانة العظمى، وحكم عليه بالاعدام، ونفذ فيه الحكم بقطع رأسه علناً بإحدى ساحات مدينة روما.

2- لم يتحرّ (سترابو) الأمانة العلميّة في التدقيق لمعرفة أسباب فشل الحملة، بل إنّه لم يعترف بفشلها منذ الوهلة الأولى من انطلاقها، خاصة وأنّ قائدها كان يجهل كل شيء عن طبيعة البحر الأحمر، فلم يوفق في اختيار أسطوله الحربيّ، ممّا أدى إلى فقدانه كثيراً من سفنه قبل أن يصل إلى الميناء النبطيّ، كما كان يجهل أيضاً الطبيعة الجغرافيّة للمنطقة، فقد كان من أسباب هزيمتهم قلّة المياه، وتفشّي الأمراض، والتحصينات المنيعة للمدن اليمنيّة.

*** Negra او Egra، يرى بعض المؤرخين أنه ميناء (ينبع) ثاني ميناء في الحجاز.



خارطة رقم (16): سير الحملة الرومانية إلى اليمن

3- وصلت القوات الرومانيّة منهكة القوى بعد ستة أشهر سيراً على الأقدام فقد قطعوا مسافة طويلة، حتى وصلوا إلى الأراضي اليمنية، فطالت الرحلة عن الموعد المخطط لها.

4- امتازت المدن اليمنيّة القديمة بتحصيناتها القويّة، ومدينة (مأرب) بالذات من العواصم المشهورة بتحصيناتها، التي أكدتها التنقيبات الأثريّة.

5- المقاومة اليمنيّة التي لم يذكرها (سترابو)، والتي كان لها دور فعّال في إلحاق الهزيمة بالقوات الرومانيّة، مثال على ذلك: تلك المعركة التي أشار إليها (سترابو) ودارت رحاها حول نهر في منطقة (الجوف) ولعله "وادي الخارد".

وبالرغم من المغالطات التّاريخيّة التي أوردها (سترابو)، إلاّ أنّ هناك معلومات مفيدة يمكن استخلاصها من سياق ذلك الوصف، فقد ذكر بأن (ماريبا) = (مأرب) مدينة تابعة للملك (إيلازاروس Ilasarus) الذي قد يقابل في العربيّة اسم (إلي شرح)، وهو ما ذهب إليه عالم النقوش (Jamme) وبني عليه تاريخ عهد الملك (إلي شرح يحضب) ملك (سبأ وذي ريدان)، كما أفاد (سترابو) بأن البخور أثمن الطيوب، يزرع في المنطقة الواقعة على ساحل حضرموت الشرقي، وليس في بلاد سبأ كما كان يعتقد[1].

ويتبدى لنا واضحاً أنّ "سترابو" لم يكن مرافقاً لصديقه (جالوس) في حملته إلى اليمن، وإلاّ لما أهمل – وهو المؤرخ المعروف كثيراً من المناطق، فهناك جهل مطبق بالمناطق، وخلط كبير في أسمائها، وهذا يفسّر حقيقة واحدة: أنّ (سترابو) قد استقى معلوماته من الجنود الرومان الذين شاركوا في الحملة.

ثانياً: انتعاش الملاحة البحريّة

لقد تأثرت الأوضاع السياسيّة والاقتصاديّة لليمن القديم بمجريات الأحداث العالميّة، فباقتراب العصر الميلادي، وخاصة القرن الأول قبله، حدث تطوّر مطرد في الحياة الاقتصاديّة العالميّة، نتيجة للاستقرار السياسيّ الذي شهدته دول البحر المتوسط –كما ذكرنا ذلك آنفاً– فانعكس ذلك الانتعاش على الدول التي لها صلات تجاريّة مع العالم، ومنها اليمن القديم، فقد نقلت لنا المصادر الكلاسيكيّة (اليونانيّة والرومانيّة) صورة برّاقة عن الأوضاع الاقتصادية المزدهرة التي شهدها اليمن آنذاك، بسبب الإقبال المتزايد على السلع اليمنيّة النفيسة كالبخور

1-Strabo: op. - cit , Sec 25

والعطور ... وغيرها من السلع التي كانت تجلب من والهند وشرق أفريقيا[1].

وللحصول على تلك المنتجات أخذت السفن الرومانية تجوب البحر الأحمر والمحيط الهندي، ذهابا وإيابا دون حاجتها لوساطة اليمنيين الذين كانوا يسيطرون على الطريق البري، وقد تحقق للرومان ذلك، بعد أن اهتدى اليوناني (هيبالوس) إلى استخدام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية خلال الصيف، مما ساعد في تقصير أمد الرحلة من البحر الأحمر إلى مداخل الهند في عرض المحيط مباشرة دون الالتزام بخطوط السواحل الطويلة، وبفضل انتعاش تلك السواحل نجد الموانئ الواقعة على طول ذلك الطريق البحري تعيش حالة من الازدهار، لم يشهد لها مثيل من قبل[2]، وهاكم مؤلف كتاب "الطواف حول البحر الارتيري" يحدثنا عن حركة الملاحة البحرية في تلك الموانئ كميناء: "موزع"، و"عدن"، و"المخا"، و"قنا"، و"موشا"[3].

ثالثا: الأوضاع الداخلية للكيانات السياسية في اليمن القديم

بالقدر الذي برزت فيه المناطق المطلة على الثغور البحرية، بفضل انتعاش الملاحة، إلا أن الضعف والوهن ما لبثا أن دبا في أوصال المناطق الداخلية المعتمدة على الطريق البري "طريق القوافل"، وقد كان لتفوق البحر على البر عدة أسباب، منها: سهولة الاتصال، وانخفاض تكاليف النقل. كما أن الاتصال المباشر للرومان بمناطق إنتاج السلع المرغوبة لديهم، قد فوت على اليمنيين فرصة القيام بدور الوسيط التجاري، كل ذلك كان له أثره الخطير على الكيانات السياسية التي كانت تتمركز على الطريق البري، مما جعلها تفقد مواردها الاقتصادية الآتية من تلك الطريق، وسادها الضعف، فقلت هيبتها وغدت عرضة للأطماع الدولية والمحلية

سبأ:

بالرغم من فشل الحملة الرومانية على اليمن القديم، إلا أنها تركت آثارا سلبية على الدولة السبئية، فهزت كيانها السياسي وجعلتها عرضة للأطماع الداخلية والمتمثلة في الهجمات المتكررة التي كانت تقوم بها القبائل البدوية القادمة من الصحراء الشمالية، خاصة بعد أن فقدت تلك القبائل مواردها الاقتصادية التي كانت تجنيها من تلك الطريق، فوجهت نظرها صوب عواصم الممالك اليمنية، لتصبح هدفا لها، تشن عليها غاراتها كلما مسها الجوع وآنست

1- Groom: op. - cit , pp. 55 - 95.
2- Groom: op. - cit , pp. 55 - 95.
3- The Periplus. .. , Secs , 27-32

ضعفاً من أهلها[1]، ممّا دفع بالسكان في تلك المراكز إلى ترك أراضيهم باتجاه المرتفعات الغربيّة. ولا شك إنّ تلك الهجرات الداخليّة شكّلت رافداً بشرياً ساعد على نمو وازدهار مناطق القيعان في تلك المرتفعات، ووفّر لدولة "حمير" الفتيّة عاملاً مساعداً لبسط نفوذها على الأراضي المجاورة، علاوة على الأسباب الآنفة الذكر، والتي كانت سبباً في معاناة الدّولة السبئيّة، نجد أن بروز قوة الريدانيين في الجنوب –هو الآخر– كان يشكّل تهديداً صارخاً يداهم السبئيّين، كما برز حينها خطر داخلي آخر هو: بروز مؤسسة الأقيال الذين تلقبوا بلقب "ملك". ففي تلك الأجواء المضطربة انتهى حكم الأسرة التقليدية في مأرب ونشط الأقيال* والإذواء[2]، واصبحوا ينافسون السلطة، فكان كل "قيل"، ينشد أن يكون ملكاً على سبأ. وأبرز القبائل في الهضبة السبئيّة، تلك التي كان يضمها اتحاد (سمعي) وهو اتحاد قبائلي تقع أراضيه بين "خولان وصرواح" من الشرق، وبكيل القديمة من الغرب. ويضم هذا الاتحاد في الأساس ثلاث قبائل، همدان ومركزها (ناعط)، وحملان ومركزها (حاز)، ويريم ومركزها (هجر) أو (شبام سخيم)، ويشكّل كل شعب من تلك الشعوب (ثلثا) "من سمعي"[3]، وهناك قبائل (شعوب) أخرى ارتبطت بالدولة السبئيّة بروابط أسريّة كقبيلة (مرثد) في "شبام اقيان"** وقبيلة (بني جرة) ومركزها (كنن)***.

في ظل هذه الأجواء المضطربة والتي كانت تعاني منها دولة "سبأ"، نجد دولة "حمير" تشقّ طريقها وتبسط نفوذها على أجزاء واسعة من المناطق الجنوبيّة لتصل إلى أطراف الهضبة السبئيّة.

1- يوسف محمد عبدالله: "حمير بن الخبر والأثر"، مجلة دراسات يمنية، العدد 42، مركزالدراسات والبحوث اليمني، صنعاء 1990 ص 40.

* الأقيال: مفرده (قيل) وهو لقب يطلق على زعيم "شعب" مستقل عن الملك الرسمي للدولة، ويلقب بلقب ملك من الحين إلى الآخر، بل نجد بعض ملوك سبأ الشرعيين يلقبون بمثل ذلك اللقب للأقيال على مضض حتى يحتفظوا بمساعدتهم لهم في ظروف سياسية خاصة.

2- محمد عبدالقادر بافقيه: "الاقيال والإذواء ونظام الحكم في اليمن القديم"، مجلة دراسات يمنية،العدد (27)، مركز الدراسات والبحوث اليمنيّ، صنعاء 1987م، ص 141- 154.

3- Ch: " les hautes terres du nord Yemen avant l'Islam ", tome I, Istanbul, 1982., pp. 41 - 45.

** شبام اقيان: نسبة لبني اقيان وهم أسياد قبيلة شبام، والتي تعرف حاليا بشبام كوكبان، تقع على بعد حوالي (35) كم شمال غرب صنعاء.

*** كنن: جبل كنن يقع على بعد (40) كم تقريباً، جنوبي صنعاء، حيث تقوم عليه قرية (نعض) الأثريّة حاضرة (بني جرة)، جاء ذكرها في كثير من النقوش منها: (Ja, 576, 577, 631 و CIH 350).

حضرموت:

كانت حضرموت في تلك المرحلة تعيش حالة من الانتعاش الاقتصادي بفضل موانئها، وبفضل الطلب المتزايد على منتجاتها: (اللبان والمر) في الوقت ذاته، نجدها تنظر لدولة حمير- القوة الناشئة- بعين الحذر، فقد عثر على نقش (RES 2687) في موقع (البنا) شمال "بير علي"، بقلب دولة حضرموت، يتحدث عن أحد مكربي حضرموت، الذي قام ببناء سور في ذلك الموقع تحسبا لأي هجوم حميري، علما بأن موقع (البنا) يبعد حوالي (400) كم شرق العاصمة الحميرية. وقد أرخت "جاكلين بيرن" ذلك النقش بحوالي القرن الأول ق.م[1].

قتبان:

على العكس من حضرموت، نجد دولة قتبان تعيش حالة من الوهن والخور، بسبب تدهور الطريق البري الذي كان يدر عليها موارد اقتصادية كبيرة، وبسبب موقعها الجغرافي المتوسط لأكبر الممالك اليمنية، حضرموت من الشرق، وسبأ من الشمال الغربي، وحمير من الغرب والجنوب الغربي، وكان يتوجب عليها مقاومة تطلعات تلك الممالك، ذلك الوضع الصعب جعلها تنغلق على نفسها بعد أن غدت لقمة سائغة لكل من تلك الممالك، فسبأ تحاول استقطاع جزء من الأراضي القتبانية خاصة مقاطعة (ردمان)* و (مضحى) ، لحماية نفسها من المد الريداني، أما "حمير" فكانت تناوشها من الغرب وتبسط نفوذها على أجزائها الجنوبية وبالذات المنافذ البحرية؛ أما "حضرموت" فنجدها تدخل معها - أعني قتبان- في علاقات دبلوماسية وتحالفات حينا، وفي حروب ومناوشات حينا آخر. وبالرغم من تلك الأجواء المعتمة، نجد دولة قتبان تواصل نشاطها التجاري، كما أشار إلى ذلك المؤرخ الروماني (بليني)[2]. وفي الوقت ذاته نجدها تقاوم تلك الأخطار المحدقة بها بصعوبة بالغة.

أوسان:

في تلك الاونة، نجد أوسان تستعيد نشاطها بعض الشيء، ربما استغلت ضعف دولة قتبان، كما سبق وأن عرفنا، إن الأراضي الاوسانية خضعت لدولة قتبان،

1-Pirenne.J: les temoins ecrits , p. 135.

* ردمان: قبيلة هامة تضم أراضيها كل من"قيفه، ورداع، والسوادية بذلك فهي تحتل موقعا متوسطا بين سبأ وحمير وحضرموت لعبت ردمان دورا مؤثرا في الأحداث السياسية لليمن القديم منذ مطلع الميلاد .. جاء ذكرها في عدد من النقوش، لا تزال"ردمان"معروفة اليوم في (اسافل قيفه) وهي مقاطعة كبيرة تمتد إلى السوادية والمعان، وسارع، ونجد الحاج. انظر يوسف عبدالله: أوراق .. ص 87.

2- Pliny : op. - cit , Sec 32.

وقد عثر مؤخراً على العديد من الآثار الاوسانيّة: كالتماثيل الملكيّة وعـــدد مـن القطع الأثريّة المتنوعة، ممّا دفع بالعالمة (جاكلين بيرن) إلى الافـــتراض ببقـاء (أوسان) كدولة إلى ما قبل ميلاد يسوع عليه السلام[1]. ومنذ مطلع الميلاد آلت كل تلك الأراضي لدولة "سبأ وذي ريدان".

معين:

ارتبط وجود معين منذ بداية عهدها بالتجارة البريَة، فكان موقعها الجغرافـي بمثابة نقطة التقاء، أو حلقة وصل تربط بين شمال وجنوب شبه الجزيرة العربيّة، ولكن ضعف الطريق البريَ أفقدها أهم مواردها الاقتصاديّة، كما أن بروز دولـة الأنباط في شمال الجزيرة واستحواذها على المراكز التجاريّة الواقعة على طريـق القوافل – والتي كانت في السابق مراكز معينيّة– أفقدها تواجدها فـي الشمـال ووسط شبه الجزيرة واستغلت دولة سبأ ذلك الضعف ولم يأت القـرن الأول ق.م إلا وتختفي معين كدولة بدخولها في إطار الدولـة السبئيّة فتفقـد اسـتقلالها السّياسيّ، لكن هذا لا يعني على الإطلاق – وقف نشاطها التجاريَ، بـل أستمر المعينيّون في ممارسة تجارتهم، تحت سيطرة الدولة السبئيّة، وهـاكم (بلينـي) يتحدث عنهم بقوله: (المعينيون منطقتهم يمر بها ترانزيت الكندر عـبر طريـق ضيق، وهم الذين بدءوا التجارة، وأهم من مارسها، وهناك نوع مَنْ البخور سمي باسمهم هو "البخور المعينيّ"[2].

رابعاً: بروز دولة حمير أو بني ذي ريدان

تعد دوّله حمير من أشهر الدويلات اليمنيّة القديمة وآخرها ظهوراً، وذلك في أواخر القرن الثاني ق.م، فقد رافق ظهورها بداية التقويم الحمـيريّ عـام (115 ق.م)[3]، ويرى العلماء أن هناك علاقة التقويم الحميريّ واستخدام اللقب المـزدوج "ملك سبأ وذي ريدان"[4]، وقد جاء ذكر (حمير) في الكتابات الكلاسـيكيّة، فعنـد (بليني) – الذي يعود عهده إلى القرن الأول ق.م– تعد "حمير" من أكثر القبـائل اليمنيّة عدداً، وأنّ عاصمتهم (ظفار)[5] كمـا ظـهرت " حمـير " فـي خريطـة بطليموس، أمّا مؤلف كتاب "الطواف حول البحر الارتيري" فقد حدثنا عن النشـاط البحريّ للموانئ التابعة لملك حمير، كما أفرد الكتّاب المسلمون جزءًا واسعاً مـن

1-Pirenne: prospéction historique , pp. 213- 255 .

2-Pliny : op. - cit , Sec 32.

3-" Beeston:"New Light on the Himyaritic Calender in Arabian Studien 1974 , pp. 1- 6.

4- Bafaqih: L' unification .. p. 19- 20.

5- Bafaqih: L' unification.. p. 19- 20.

كتاباتهم للحديث عن حمير وملوكها وأنسابها، ومِنْ أبرز مَنْ أهتم بالحديث عن نسب حمير ولغتهم وآثارهم هو (الحسن الهمداني)[1] في أغلب مؤلفاته، وبشكل خاص في كتابه (الاكليل)[2]؛ ثم يليه (نشوان الحميري) ويكرّس قصيدته (النشوانيّه) للحديث عن مآثر ملوك حمير.

والملاحظ من خلال النقوش إنّ اسم (حمير) يقترن دوماً باسم (ذي ريدان) فماهي -يا ترى- العلاقة بين الاسمين؟! عند العودة لأصل اللفظين نجد أن اسم حمير يأتي في النقوش (حميرم)، كما نجد لفظة (حمرم) التي تعني في (المعجم السبئيَ)[3]، "حلف" من الفعل "حمر" الذي يعني تحالف قبلي، أمّا أقدم نقش يذكر حميراً فهو نقش حضرميّ سبق وان أشرنا إليه (RES 2687/3)، سجّل على سور موقع (البنا) يعود تاريخه إلى القرن الأول ق.م. فحمير لم تظهر في النقوش كقبيلة واحدة بل تجمّع قبليّ، وما يؤكد ذلك تلك النقوش التي تتحدث عن حمير فتذكرها كشعوب "أشعب حميرم" (Ja 576) أيّ "شعوب حمير" وليس "شعب حمير" كما نجد ذلك عند ذكر" قتبان وسبأ وحضرموت"[4].

أمّا كلمة "ريدان" فهي من (ريد) التي تعني في المعاجم العربيّة، حافة الجبل، فريدان إذاً اسم لجبل أقام فيه أسياد حمير قصراً لهم حمل نفس الاسم، ومن ثم عرفوا أصحاب ذلك القصر باسم (بني ذي ريدان) أيّ أصحاب قصر ريدان، ولا غرابة في ذلك فهناك كثير من أسياد اليمن ينتسبون إلى قصورهم، إلا أنّ اسم (ذو ريدان) غدا بعد ذلك اسماً يطلق على الكيان السّياسيّ لقبائل حمير[5].

من هم الحميريون إذاً وأين تقع أراضيهم؟! يرى الكثير من المؤرخين إن

1- AL- Garoo. A: L'antiquités du Yémen dans L'ouvres d'al- Hamdāni (these) Paris , 1986 ,- pp. 35- 48 .

2- راجع الجزء الثاني من (الاكليل) يتحدث فيه "الهمداني" عن أنساب ولد الهميسع بن حمير، وفي "الجزء الرابع" يتحدث عن السيرة القديمة من عهد يعرب بن قحطان إلى عهد أبي كرب اسعد الكامل (كتاب مفقود) وفي "الجزء الخامس" تطرق إلى السيرة الوسطى من عهد أبي كرب إلى عهد ذي نواس (مفقود) كما يتحدث عن محافذ اليمن ومساندها ومراثي حمير والقبوريات في (الجزء الثامن) أمّا الجزء التاسع، فضمنه الحديث عن الاقيال الحميريّة وحكمها باللسان العربي (كتاب مفقود).

3- المعجم السبئي: ص 68، مادة (حمر2) أنظر أيضا: يوسف عبدالله: حمير ... ص35.

4-Robin. ch: Aux origins de L'Etat Himyarite: Himyar et du- Raydān , dans, Arabian studies in Honour of Mohmoud al- Ghul , Yarmaut University , Wiesbaden , 1989 , p. 104 .

5- Von Wissmann: Ancient History of Himyar , dans le Museon , LXXVII , 1964 , p. 451.-

انظر أيضاً: يوسف عبدالله: حمير ... ص38.

الحميريّين كانوا إذواء صغار يدورون في فلك الدولة القتبانيّة، ثم انفصلوا عنها مكوّنيين كتلة سياسيّة مستقلّة، وقد أعتمد هؤلاء المؤرخون في زعمهم هذا على نقشين جاء فيهما بما معناه: إنّ الحميريّين "اولاد عم" أي "أبناء الإله عم" والإله "عم" كما هو معروف المعبود الرئيس للقتبانيين، فنسبة حمير تابعة لأولاد عم يبرر ما ذهب إليه هؤلاء المؤرخون إلى أنّ حميراً تابعة لقتبان؛ إلا أنّ هناك رأياً معارضاً: يرى أنّ الاله الرئيس لحمير هو (عثتر) ولا توجد أيّة إشارة -في اعتقادهم- إلى أن الحميريين قد عبدوا الاله (عم) باستثناء النقشين السابقين، لذلك فهم لا يجدون مبرراً لان يسمّى الحميريون بأولاد عم[1].

إننا نرجّح ما ذهب إليه أصحاب الرأي الاول، خاصة إذا ما علمنا بان النفوذ القتبانيّ قد امتد -في فترة ازدهاره- إلى أجزاء واسعة من جنوب الهضبة الغربيّة، وربما شمل أراضي حمير التي سنأتي لتحديدها لاحقاً.

أمّا أقدم ذكر ل (ذي ريدان) في النقوش -التي توافرت لدينا حتى الآن- فيعود إلى القرن الأول الميلادي، أي أنّ ذكر "حمير" كان الأقدم، فأول ما ظهر اسم (ذي ريدان) جاء مقروناً باللقب الملكي لملك سبأ (ذمار على وتر يهنعم)، ملك سبأ وذي ريدان ابن (سمه على ذريح) أحد ملوك الأسرة التقليديّة الحاكمة في مأرب، حيث يرى بعض المؤرخين أنّ: (ذمار على) هو أوّل ملك سبئي استخدم اللقب المزدوج[2]. أمّا أقدم من استخدم هذا اللقب من الجانب الحميريّ، فهو الملك (ياسر يهصدق) ملك سبأ وذي ريدان، في نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثاني الميلادي تقريباً [CIH 30 , 41].

ومع توسع النفوذ الحميريّ يتوسع اللقب الملكيّ، وتدخل إليه إضافات جديدة مثل: (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة) وأصبح واضحاً أنّ (ذي ريدان) اسم يطلق على الكيان السياسيّ لدولة (حمير)، أمّا شعبها فيسمّى (بشعوب بني ذي ريدان) أو (شعوب حمير).

كل السبئيّون يلقبون ملوك حمير ب (ذي ريدان) لفترة طويلة، ففي عهد الملك السبئيّ (إلى شرح يحضب الثاني) وأخيه (يازل)، أطلق على الملك الحميريّ المعاصر لهم (شمر يهحمد ذي ريدان)[3]، نجد ذلك في نقش [Ja 577/2] (شمر ذي ريدان، وشعب حميرم ولد عم). إذاً فإسم "حمير" يرادف دوماً اسم (ذي ريدان)، وقد يحلّ محله، كما جاء في نقش [Ja 665] (وأعراب سبأ وحميرم وحضرموت

1- راجع النقش (Ja 577/2) جاء فيه (شمر ذي ريدان وشعب حميرم ولد عم) والنقش الثاني (Ja 578/7)جاء فيه (الجيش والقبائل والجيش الملكي لحمير أولاد عم).

2- Wissmann : Himyar ... :, p. 120. 125.

3- الارياني: نقوش مسنديّة ص 252- 255، أنظر نقش [إرياني 49].

ويمنة)؛ أيّ (أعراب سبأ وحمير وحضرموت ويمنة)، ففي هذا النقش استبدل اسم (ذي ريدان) ب (حمير).

أرض حمير:

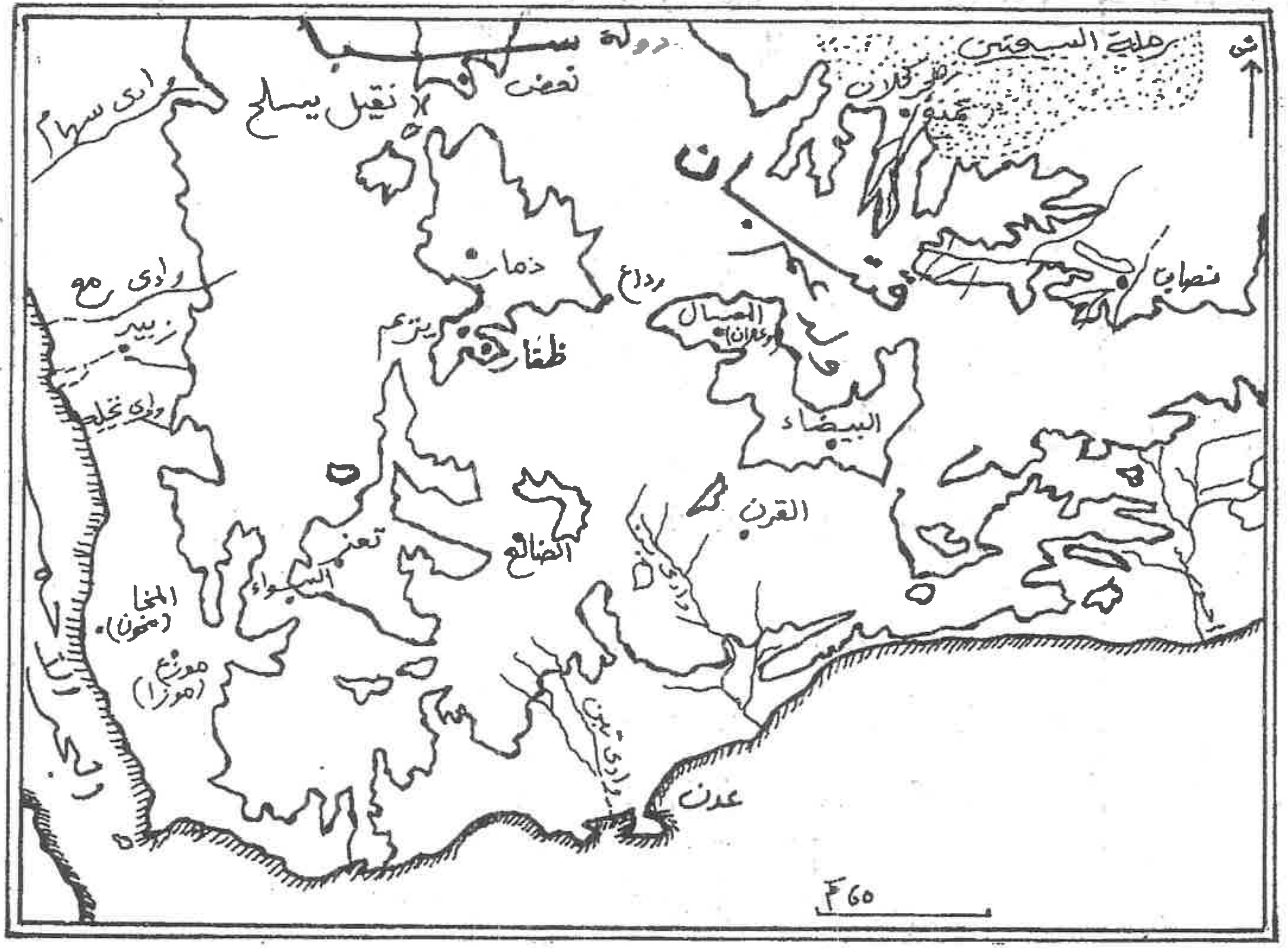
جاء في أكثر من نقش ذكر لأرض حمير[أنظر Ja 675, 578, 579 580] و [CIH 140/4]، (أرض حميرم) ويمكننا من خلال تلك النقوش، تحديد النطاق الجغرافيَ لدولة حمير: فهي تقع إلى الغرب من دولة قتبان، وتشمل مرتفعات يافع (دهس) في النقوش، وإقليم (ذمار) و (يريم)، وقد أطلق "الهمداني" على ذلك النطاق الجغرافيّ اسم: (سرو حمير) ويحدده بقوله: "العر وثمر وحبة وحطيب ويهر وذو ناخب وذو ثاوب وسلفه وشعب، قرى ومساكن ليافع"[1].

ومن الملاحظ أن النقوش لا تفرّق بين أراضي حمير والأرض الريدانيّة فأرض حمير وشعوبها هي أرض وشعوب "ذي ريدان"؛ وما يؤكد ذلك النقش الذي عثر عليه في (يافع) بمنطقة "علا" من (بني بكر)، يتحدث النقش عن حرب قامت بين جيش الملك السبئيّ (يهقم بن ذمار على ذريح) ملك "سبأ وذي ريدان وحمير" في أرض "ذي ريدان"[2].

لقد امتدت الأراضي الحميريّة في عهد ملكها (ياسر يهصدق) ملك (سبأ وذي ريدان) حتى منطقة (ضاف) الواقعة شمال (قاع جهران) جنوب "نقيل يسلح" فشملت أجزاء واسعة من الهضبة الغربيّة[3] (أنظر الخريطة رقم 17). أمّا بليني فيقول: "أن الحميريين قبائل كثيرة العدد ..."[4].

وقد اتخذ الحميريون من منطقة (ظفار) عاصمة لهم أنشأوها في "قاع الحقل" بسند جبل ريدان الذي يبعد بضعة كيلومترات جنوب منطقة (يريم) الحالية.

1- الهمدانيّ: صفة جزيرة العرب، ص 176-177، أنظر أيضاً: يوسف عبدالله: حمير.. ص36.
2-Robin. Ch , et Bron. F: Deux inscriptions du Haut- Yafi , dans Semitica , XXIX , 1979 , pp. 132- 145 et pt. VIII.
3-Bafaqih: L ' unification. pp. 175- 177.
4-Pliny: Natural History , BK. VI , xxxii , 159- 162.



اخارطة رقم (17): أرض حمير في عهد ملوك سبأ وذي ريدان

الفصل الثاني

دولة سبأ وذي ريدان

القرن الأول - حتى نهاية القرن الثالث الميلادي

أولاً : من أوّل من تلّقب باللّقب المزدوج (ملك سبأ وذي ريدان)، هل هـــم ملوك سبأ أم ملوك حمير؟

ثانياً : الصدام العسكري بين الكيانيين السياسيين السبئي والريدانيّ.

ثالثاً : أقيال يصلون إلى سدة الحكم في مأرب.

رابعاً: تشعّب الصراع العسكري ودخول الأحباش طرفاً فيه.

خامساً: سياسة "شعر أوتر" (ملك سبأ) وعلاقته مع الأحباش وحضرموت.

سادساً: "إلي شرح يحضب الثاني ملك سبأ وذي ريدان في (مأرب) ومنافسة العنيد "شمر يهحمد" ملك سبأ وذي ريدان في (ظفار).

أولاً: من أوّل من تلقب بلقب "ملك سبأ وذي ريدان" هل هم ملـوك سـبأ أم ملوك حمير؟

لقد توافرت لدولة "حمير" كل المناخات الملائمـة لبروزهـا علـى الخريطـة الجغرافيّة، ككيان سياسيّ مستقل، هذا الكيان الجديد الذي أصبح يشكّل خطـراً يهدّد الكيانات السّياسيّة السائدة على الساحة. وقد مرّبنا آنفاً، كيف قام مكاربـة حضرموت بتحصينات على مداخل أوديتهم الجنوبيّة تحسباً لأيّ هجـوم حمـيريّ مباغت[1]، في الوقت ذاته نجد دولة سبأ العتيدة تصطدم عسكرياً بالدولة الجديـدة في أراضيها أعني -أراضي حمير- وهي مرتفعات (يافع)[2] ، ومنذ ذلك الوقـت تلقب ملوك سبأ بلقب "ملك سبأ وذي ريدان"، كما تلقب ملوك حمير أيضاً بنفس اللقب.

اختلفت رؤى المؤرخين حول أول من تلقب بذلك اللقب المزدوج هل هم ملوك سبأ أم ملوك حمير؟ هناك من يرى إنّ وصول ملوك حمير إلى مأرب واحتلالـهم للقصر الملكي "سلحين" كان دافعاً قوياً لأن يلقبوا أنفسهم بذلك اللقب، فذهبوا إلـى أنّ أوائل الريدانيّين هم أوّل من عرفوا بملوك (سبأ وذي ريدان)، بعد أنْ حقّقوا انتصاراً عسكرياً على دولة سبأ التي كانت تعيش حينها في حالـة مـن الوهـن الشديد[3]، ويتبدى لنا أن ذلك الرأي معقول فلولا قوة "حمير" لما اعترف السبئيّون بهم ككيان سياسيّ، وأضافوا اسم دولتهم إلى لقبهم الملكيّ.

ويبقى سؤالٌ محيّرٌ؛ هو: لماذا لقّب الملك الحميري نفسـه بملـك "سـبأ وذي ريدان" وليس ملك "ذي ريدان وسبأ "؟ يجيب (فان وايزمن) على هذه المعضلـة، ففي رأيه عندما انتصر الملك الحميريّ على سبأ أضاف للقبه "ملك سبأ قبل ملـك حمير، وسبب ذلك -في تقديره- يعود إلى المكانة التاريخيّة والدينيّـة، التـي تحتلها دولة سبأ، تلك الاعتبارات جعلته يقدّم اسم سبأ في مقدمة اللقب، وإن لم يطل حكمه في مأرب طويلاً، خاصة وأنّ القبائل المحيطة بمأرب عزّ عليها مـا آلت إليه دولة سبأ، فعملت على إجلاء الملك الحميريّ عنها، وأعـادت إليـها الملك السبئيّ المهزوم أو شخصاً آخر من أسرته، وهو الذي أتخذ لقب ملك "سبأ وذي ريدان" في الوقت نفسه لم يتنازل ملك حمير في (ظفار) عن لقبه المـزدوج أيضاً[4].

1- Pirenne :J : Les témoins écrits .. p. 135 . d

2-Ribon , et Bron : Deux inscriptions , p. 137- Wissmann H . von : Himyar .. p . 451.

3 - أنظر أيضاً : - Bafaqih : l' unification... , p .21

4-Bafaqih : l' unification .. p . 181 .

ثانياً: الصدام العسكريّ بين الكيانيين السبئيّ والريداني

تتّسم هذه المرحلة التاريخية بالصراعات السّياسيّة الدامية، التي شهدتها المنطقة، فقد دبّ الاضطراب والضعف في أوصال الدولة السبئيّة وقد أشار نقش (Ja 644) ونقش (روبان - برون، بني بكر1) إلى أنّ "سبأ" دخلت في حروب مع حمير في عهد ملكها "يهقم بن ذمار على ذريح" الذي يرجع أنّه أوّل من تلقب باللّقب المزدوج، تلك المعركة التي دارت رحاها في" أرض حمير "، وربما استغلت بعض القبائل القويّة في الهضبة السبئيّة انشغال الملك بتلك الحرب، فاستطاعت الوصول إلى القصر الملكي "بمأرب"، وبالذات قبيلة (شداد)*، إلاّ أنّ احتلالها للقصر كان مؤقتاً، وبالرغم من فشل ذلك الهجوم؛ إلاّ أنه -دون شك- خلق كثيراً من المتاعب للأسرة الملكيّة (Ja 643)، عندما بلغت الاضطرابات أوجها، فدولة حضرموت -من جانبها- كانت تخوض حرباً ضاريّة في (الجوف) ضد السبئيّين في عهد الملك السبئي (كرب إل بيّن)، في تلك الظروف برز قائد يسمّى (نشأ كرب) من قبيلة (بني جرة)، نجده يتولى بتفويض ملكيّ إجراء مفاوضات مع ملك حضرموت (يدع إل) الذي جاء بقوات كبيرة إلى إقليم (الجوف). بعد ذلك تحدّثنا النقوش عن مشاركة (نشأ كرب) عينه، في الحرب التي نشبت بين سبأ وحمير بعد فشل المفاوضات[1].

بعد تلك الأحداث نجد على عرش الدولة السبئيّة ملكاً يدعى (نشأ كرب يهأمن بن ذمار على ذريح)، ربّما هو نفسه القيل الذي ينتسب لشعب (بني جرة)، والذي جاء ذكره آنفاً. والملاحظ أنّ هذا الملك يلقّب نفسه بملك سبأ فقط، دون إضافة (ذي ريدان)[2] ، ربما لكونه لا ينتسب للسلالة الملكيّة الحاكمة، أو ربّما اكتفى طموحه بسبأ وتخلى عن المشروع الكبير (سبأ وذي ريدان)، في فترة اشتد فيها الاصطدام الفكريّ بين الكيانيين السبئي والحميريّ، أمّا تسميته بابن الملك (ذمار على ذريح) فربّما لإضفاء نوع من الشرعيّة لحكمه، كما هو سار عند كثير من الملوك الذين لا ينتمون إلى العائلة الملكيّة، إلاّ أنّ ذلك يظل احتمالاً غير مؤكداً.

وفي الوقت الذي انشغلت فيه سبأ بحربها مع حضرموت، نجد حمير تغتنم الفرصة فتشنّ هجوماً على المناطق الجنوبيّة في عهد ملكها (ياسر يهصدق)

---

* شدّاد: إحدى قبائل "شبام كوكبان" أو (شبام أقيان) التابعة (لبني أقيان) الذين يتبعون بدورهم أقيال قبائل (بكيل)، كان زعيمهم أنذاك يدعى (لحي عثت) [Ja 644]، أنظر أيضاً: الإرياني: نقوش مسنديّة، ص 78.

1- محمد عبدالقادر بافقيه: "في العربيّة السعيدة"، دراسات تاريخية قصيرة الجزء الأوّل، مركز الدراسات والبحوث اليمنيّ، صنعاء 1987 م، ص 64-65.

2- الإريانيّ: نقوش مسنديّة، ص 304.

الملك الحميريّ، الذي استطاع الوصول إلى منطقة (ضاف) جنوب (نقيل يسـلح)، وكان باستطاعته الزحف باتجاه الشمال، لولا صمود (بني جرة) القبيلة السـبئيّة الواقعة أراضيها على خط التماس مع حمـير شـمال "نقيـل يسـلح"[1] كمـا أنّ (حضرموت) استمرت في ضغطها على (سبأ) مع قبائل (ولد عم) وقد تمخّضـت تلك الحروب -على ما يبدو- عن قيام أسرة ملكيّة جديدة مؤسسها "إلي شـرح يحضب" (الأوّل) الذي قدّر (فان وايزمن) عهده بحوالي عام (85 للميلاد)، اتخـذ (إلي شرح) لنفسه لقب ملك "سبأ وذي ريدان" وكان على علاقة وطيدة مع قبـائل (بني جرة)، ومما يؤكد ذلك تبنّيه لقيلين من أقيال (بني جرة) هما (سـعد شـمس أسرع) وابنه (مرثد يهحمد)، وربّما جاء ذلك كضرورة فرضها تـردي الأوضـاع السّياسيّة، فهناك نقش (Ja 853) سجّله الملك (إلي شرح يحضب) يتعهّد فيه نيابة عن القيلين، بتقديم قربان للإله (المقه) ليرعاهما[2]، كما نجـد نقـش (Ja 568) يتحدث فيه القيلان عن ولائهما لملوك سبأ، دون تحديد، كلّ ذلك يؤكد حقيقة مـا حظي به القيلان بولائهما من مكانة مرموقة في الدولة السبئيّة.

ثالثاً: أقيال يصلون إلى سدة الحكم في مأرب

بعد الملك (إلي شرح يحضب "الأول") يأتي ابنه (وتار يهأمن) الذي يبدو أنه لم يستطع مواجهة التحديّ الريدانيّ، ولم يكن بالقوة التي تسمح له بإدارة دقة أمور السّياسة، في تلك الظروف الصّعبة يواجه (وتار) تمرداً قامت به قبـائل "خـولان الجديدة" في (صعدة)[3]، أضف إلى ذلك الضغط الحميريّ المتواصل على دولة سبأ، إلاّ أن "وتار" لم يكن بمفردة، بل كان يقف إلى جانبه القيلان (سعد شمس اسـرع) وابنه (مرثد يهحمد) من أقيال "بني جرة" -كما سبق وان أشرنا إلى ذلك- فجـأة يتولى القيلان (سعد شمس) وابنه (مرثد) السلطة في مأرب، بقبول مـن جميـع الأطراف ذات الشأن وهم: (الأسبؤ) كما جـاء فـي النقـوش ويقصـد بذلـك (السبئيّون)، والأقيال، (والخميس) وتعني "الجيش"، وقد نسبا نفسيهما إلى الملـك السبئيّ (إلي شرح يحضب "الأول")، وربما جاء ذلك تلبية للأوضاع السّياسـيّة، ولإضفاء الشرعيّة على حكمها.

إنّ اختيار "قيل" ليكون ملكاً ليس بالشيء الغريب في تاريخ اليمن القديم، فقـد جاء عند (نشوان الحميريّ) تفسير لتلك الظاهرة، ففي رأيه، أن (وتّار) لم تطـل

1- الإرياني: نقوش مسنديّة، ص 304.

2 -محمد عبدالقادر بافقيه: "موجز تاريخ اليمن قبل الإسلام"، الفصل الأوّل من كتاب "مختـارات من النقوش اليمنيّة"، ص 33.

3- راجع نقش [Ja 601]

مدة حكمه، بل ولم تثبت قدمه في المُلك، خاصة بعد أن حدث خلاف كبير على ولاية العرش، لكن أصحاب الحل والعقد في الدولة السبئيّة توصلوا إلى قرار أتفق عليه الجميع يقضي: بإبعاد "وتار" وكل المتنازعين على الحكم، واختيار شخص، وإن لم يكن من الأسرة الحاكمة -بل يمكن أن يكون قيلاً- ويظل ذلك حلاً مؤقتاً ينتهي بعودة الملك غير الرسمي إلى مرتبة القيالة عند بلوغ الوارث الشرعيّ أشده[1].

كل ما جاء به "نشوان" يتطابق مع ما ذكرته النقوش، فقد فرضت الظروف السّياسيّة السائدة حينها، اختيار ملك آخر جديد بمواجهة التحدّيات العسكريّة، فجاء اختيار (سعد شمس أسرع) وابنه (مرثد يهحمد) (منتصف القرن الثاني الميلادي)، اللذين توافرت لهما صفات قياديّة، جعلت كل الأنظار تتجه اليهما، وبالفعل تولى القيلان حكم الدولة السبئيّة، وكانت أوّل مهمة يواجهانها هي الحرب التي شنّها (الحلف الشرقي) الذي يضم كلاً من (حضرموت وقتبان وقبائل ردمان وخولان ومذحج) ضد سبأ، ويشير النقش(Ja 629) إلى أنّ (سعد شمس وابنه الحقا بذلك الحلف هزيمة نكراء في أنحاء منطقة (وعلان)*، وفي مناطق بعيدة من أرض (أوسان)، غير أنّ فرحة الانتصار لم تدم طويلاً خاصة بعد أن تطوّرت الأحداث بصورة لم ترض السبئيين فتشعّبت المعارك، وشملت أغلب المناطق اليمنيّة القديمة. في تلك الظروف الساخنة، نجد أحد أقيال (همدان)، اسمه "يريم أيمن" يتوسط بين المتحاربين (CIH 315/5-11)، سبأ من جانب، والتحالف الشرقي من جانب آخر ويتحقق على يديه الصلح، إلاّ أنّ النقش لم يذكر تفاصيل شروط ذلك الصلح. بعد تلك الحرب الشاملة، نجد (ذمار على يهبئر وابنه ثأران يعوب) ملكا سبأ وذي ريدان "من الجانب الحميري" يصلا إلى القصر الملكي بمأرب، وربما جاء ذلك بسبب انحياز بعض أقيال سبأ اليهما[2].

لكن هذين الملكين لم ينعما بالاستقرار في قصر (سلحين)، إذ تصدّت لهما كل قبائل (سمعي) بما فيهما (حاشد) وأقيالها من "بني همدان"[3]، تحت قيادة (وهب إل يحوز)، الذي خاض حرباً عاتية ضد (ذمار علي)، أمّا القيلان (سعد شمس أسرع) وابنه (مرثد) فنجدهما قد عادا إلى حالة القيالة، لكن إلى جانب الملك (ذمار على وابنه ثأران)، فالسؤال الذي يبرز أمامنا، ما هو السبب الذي جعل (سعد شمس

1- نشوان الحميريّ: المرجع السابق، ص 56 – 57.

* وعلان: عاصمة (ردمان) قديما هو ما يسمّى اليوم (المعسال) إقليم يقع إلى الشرق من رداع ناحية السواديّة، ويعد من المواقع الأثريّة الهامة، الّتي تحتوي على كمّ كبير من الآثار والنقوش راجع: - AL- Garoo . A : les antiquites .. pp . 319 - 320

2- بافقيه: موجز تاريخ اليمن، ص 40.

3- بافقيه: في العربيّة السعيدة، جـ 1، ص 69 –70.

يسرع) وابنه يغيّران موقفهما؟ فهل تحوّل موقف "بني جرة" بشكل كامل إلى الصف الحميريّ بعد تخليّها عن القبائل السبئيّة؟ وماهي الدوافع القويّة التي جعلتها تنحاز إلى الصف الريدانيّ؟ هل حصل ذلك بسبب خلافات دبّت بين أقيال الهضبة السبئيّة؟ ! لقد حقّق (وهب إل) انتصاراً كبيراً على ملوك حمير واعتلى عرش الدولة السبئيّة، وقد سانده في ذلك النصر الكبير، القيل الهمداني (يريم أيمن)، ولم يتخذ (وهب إل) اللقب المزدوج، بل لقب نفسه بملك "سبأ" فقط دون أي إضافة[1].

في تلك الفترة نلمس تصاعد قوة الحميريّين المتحالفين مع حضرموت[2]، فيتضاعف نفوذهم وضغطهم على الدولة السبئيّة، ولم يكن (وهب إل) بالقوة التي تسمح له بالمواجهة فيتقوقع في (مأرب). بعد (وهب إل) تولى عرش الدولة ابنه (كرب إل يهنعم الثاني) الذي اكتفى بلقب ملك سبأ (Ja 564)؛ فقد اعتلى العرش في ظروف سياسيّة مضطربة للغاية، ثم أتى أخوه (أنمار يهنعم) إلى الحكم في ظروف أكثر سوءاً (Ja 562)، ولعل ذلك يبرر وصول القيل الهمداني (يريم أيمن) إلى سدة الحكم في مأرب، ويعتبر المؤسس الأول للأسرة الهمدانيّة[3].

استمرت حمير في الضغط على الدولة السبئيّة، وتوسع خطرهم عليها، ولم يكن أمام ملوك (سبأ) سوى صدّ الزحف الريدانيّ بكل ما أوتوا من قوة، وعندما استأنسوا في أنفسهم ضعفاً أخذوا يبحثون عن تحالفات، لتعزيز موقفهم العسكريّ.

رابعاً: تشعب الصراع العسكريّ ودخول الأحباش طرفاً فيه

إن استمرار الضغوط العسكريّة والاقتصاديّة، على سبأ جعلت "علهان نهفان" ابن "يريم أيمن" الذي يعود عهده لعام (200 م) يبحث عن حليف لمواجهة التحدي الريدانيّ، فوجّه نظره صوب (حضرموت) الدّولة البحريّة المزدهرة، والبعيدة عن المدّ الريدانيّ[4]، فعقد "علهان نهفان" حلفاً مع ملكها آنذاك (يدع إل) ويذكر النقش السابق، إنّ التحالف عقد على أثر لقاء تم بين الملكين في منطقة (ذات غيل) بأرض قتبان، والغريب في الأمر أننا نجد ملك الحبشة (جدرة) يدخل في هذا الحلف، وقد أكّد النقش عينه أنّ "علهان نهفان" استقبل وفداً حبشياً بعث به ملك الحبشة للتوقيع على اتفاقية سلام ووفاء، وتعاون بين الملك الحبشيّ والملك السبئيّ، تلك الوثيقة تعد البداية الأولى للتّدخل الحبشي في الشؤون الداخلية لليمن.

قد يتساءل المرء، ما هي أهداف ذلك التحالف الثّلاثي؟ من البديهيّ، أنّ لكل

1- الإرياني: نقوش مسنديّة، ص 92، راجع نقش (إرياني 9).
2- الإرياني: نقوش مسنديّة، نقش إرياني 8.
3- Bafaqih : l ' unification 308 ... p . 34 .
4- راجع النقش (CIH).

دولة من دول التحالف هدفاً سياسياً مرجواً، فبالنسبة "لسبأ" كان هدفها يكمن في إيجاد قوة تساعدها على صد الهجوم المتواصل من حمير، الذي كان يقلق أمنها وسلامتها، خاصة وأنّها قد فقدت كثيراً من أراضيها، ومواردها الاقتصاديّة، بسبب فقدانها لعدد من منافذها البحريّة، فهي تطمح من ذلك الحلف تحجيم الريدانيين واستعادة بعض ممّا سُلب منها؛ أمّا "حضرموت" فقد كان هدفها الحصول على موطأ قدم لها في الهضبة الغربيّة، والحيلولة دون التوسّع الريدانيّ، وبالنسبة "للحبشة" فهدفها يكمن في: إضعاف (حمير) المنافس الرئيسي والوحيد لها في تجارة البحر الأحمر[1]، وأنّ يكون لها نفوذ في الأراضي اليمنيّة الحلم القديم والأمل المنتظر.

بعد مواجهة عسكريّة، تمكّن الحلف الثلاثيّ من تحقيق أهدافه، فاستطاعت حضرموت الوصول إلى الهضبة الغربيّة باحتلالها أراضي "ردمان"، وغدت حينها جاراً وشريكاً لكل من سبأ وحمير في الهضبة، بل وأصبحت حدودها الغربيّة في خط التماس مع الحدودالسبئيّة والحميريّة أمّا الحبشة فنجدها تسيطر على أجزاء من تهامة اليمن، ما بين "نجران" و "عدن"، وتصبح نتيجة لذلك قوة رئيسيّة، واستطاعت سبأ بعد ذلك النصر أن تستعيد بعضاً من أراضيها التي استحوذت عليها دولة حمير[2].

بعد تلك الانتصارات التي حققها الحلف الثلاثيّ، نجد الملك (شعر أوتر) ابن (علهان نهفان) يشارك والده في الحكم، متخذاً لقب ملك "سبأ" فقط؛ يظل بذلك اللقب حتى أواخر عهده عندما لقّب نفسه بلقب (ملك سبأ وذي ريدان)، وأصبح له خميسان (جيشان) أحدهما سبئيّ والآخر حميريّ؛ وما كان ذلك ليتحقق لو لم يكن قد ضمّ بعض الأراضي الحميريّة إليه.

خامساً: سياسة شعر أوتر "ملك سبأ" مع الأحباش ومع حضرموت

لم يدم الوئام بين السبئيّين والأحباش طويلاً، فقد هاجم الأحباش بعض المناطق اليمنيّة، ممّا جعل الملك "شعر أوتر" يأمر قادته بمرابطة فرقة من الجيش على حدود حاشد لصد العدوان الحبشي والمتواطئين معهم[3]، خاصة بعد أن وصل الأحباش إلى نجران (Ja 635)، وشرق حاشد (إرياني 12)، وأصبحوا يشكلون خطراً يهدد حصون وقلاع بني (سؤران) أقيال ريده (Ry 5330)، في ظل تلك المستجدّات الخطيرة، اتخذ "شعر أوتر 210–230" من (صنعاء) عاصمة ثانية له،

1- محمد عبدالقادر بافقيه : كريستان روبان : " أهميّة نقوش المعسال "، مجلة ريدان العدد 3، لوفان 1980، ص 9 – 29.

2- Bafaqih : l' unification .. p. 111 .

3 الإرياني: نقوش مسنديّة، ص 482 – 506، نقش "أم ليلى" (إرياني 76).

ومنها كانت قواته تنطلق لتأديب القبائل المتمرّدة والمتواطئة مع الأحباش، كقبائل (خولان الجديدة)*، كما أصدر الملك في الوقت ذاته مرسوماً بتعيين (وافي أذرح) قائداً للقوات المرابطة في حدود قبيلة حاشد، بسبب الحرب التي شنها الأحباش ومن معهم من قبيلة "السواهر"، وقبيلة "خولان"، ولقد ظلّ ذلك القائد مرابطاً بقواته حتى سلّم الأحباش ما استولوا عليه من الدور في عدد من المناطق، كما هاجم الأعراب أيضاً قوات الملك في وادي (ذي وعر) بمغارب "حاشد"، وانتصرت قوات الملك على الأعراب، وهناك نقش آخر يعود إلى نفس الفترة الزمنيّة لجماعة من شعب "خولان"، يذكرون فيه ولاءهم لملك سبأ، من خلال اعترافهم بسيادة القائد (وافي أذرح)، وإعلانهم التّجمّع والتحصّن من الأحباش.

كما أن قبائل كندة قد تمرّدت-هي الأخرى-على الملك السبئيّ "شعر أوتر" فواجهها الملك بحزم، كما يظهر من غارات قواته التي بلغت منطقة "قرية ذات كهل"** عاصمة (كندة) في موقعها المتوسط في شبه الجزيرة العربية[1].

لم تكن خولان الجديدة، وكندة وبعض قبائل المناطق الجبليّة من السّراة والمنخفضات بتهامة، هي المناطق الوحيدة التي حشد لها (شعر أوتر) القوات لتأديبها، بل نجد أنّ علاقته بدولة "حضرموت" أيضاً، قد تغيّرت إلى النقيض فبعد أن كانت علاقة "سبأ" و "حضرموت" في غاية الودّ، حيث توّجت-كما مر بنا آنفاً-بزواج ملك "حضرموت" (إل عزيلط) من ابنة الملك السبئيّ (علهان نهفان)-التي كانت تسمّى (ملك حلك) في عهد حكم الأب- نجدها تتدهور في عهد الابن (شعر أوتر) تدهوراً كبيراً، ولعل السبب في ذلك: حربٌ سبق أن شنها الملك (إل عزيلط) ضد الملك (شعر أوتر) ملك سبأ وذي ريدان، والحقيقة أن هناك نقشاً آخر[2] يتحدث عن تحالف تم بين ملك حضرموت وملك حمير العدو اللدود لسبأ، في عهد الملك الحميريّ، (ثأران يعوب يهنعم)[3]. لهذا نجد (شعر أوتر) يشن حرباً ضروساً على ملك حضرموت (إل عزيلط) وعلى جيشها النظامي وعلى قبائل حضرموت. دارت المعركة في مدينة (ذات غيل) بأرض قتبان، تمكّنت خلالها القوات السبئيّة

* خولان قضاعة: جاءت في النقوش بإسم خولان الجديدة "خ و ل ن ج د د ن، ج د دِ م، أج د د ن، ج د د ت ن"، كما تسمى خولان العالية، تقع أراضيها في إقليم صعده اليوم، أمّا أهم النقوش التي ذكرت هذه القبيلة (Ja 2109)، (Robin - Umm Layla 1). وهناك قبيلة أخرى تحمل الأسم نفسه (خولان قضاعة) وتسمّى أيضاً (خولان الطيّال) أو (خولان خضلم) وتقع أراضيها بين صنعاء ومأرب، أنظر: . Robin : les hautes terrs... , 1, p. 27

** "قرية ذات كهل" عاصمة كندة تسمى حالياً "قرية الفاو".

1-Bafaqih: l' unification. .pp. 376-377.

2- راجع نقش إرياني 13، في الإرياني: نقوش مسنديّة، ص 109-122.

3- Bafaqih: L'unification , pp 370-371.

من أسر ملك حضرموت، واصطحابه إلى (مأرب)، كما تمكّنوا من إذلال وإخضاع وإسقاط جميع أتباعه من أولاد عم*، ثم انطلقوا إلى قصر (شقير) بمدينة (شبوة) تنفيذاً لأوامر سيدهم (شعر أوتر)، بهدف تحصين القصر والمرابطة به لحماية وحراسة سيدتهم (ملك حلك) أخت الملك (شعر أوتر)، كما يحدّثنا النقش -عينه- عن عدد القوّات وعن سير الحرب، فيوصف الأعمال التي قامت بها القوات السبئيّة عند وصولها إلى أرض ملك حضرموت، ويذكر النقش: أنّه عند وصولهم قتلوا أولاد (إل عزيلط)، ووزراءه، ونوابه داخل القصر، كما قتلوا حكّام وبعض أقيال ورؤساء وأسياد مدينة (شبوة)، فرابطوا بالقصر الملكي (شقير) بشبوة مدة خمسة أيام، ظلوا خلالها يعانون من العطش، حتى وصل إليهم الملك (شعر أوتر) وجموعه الغفيرة، بعد استئصال القوة العسكريّة الحضرميّة في منطقة (ذات غيل)، وعند وصوله (شبوة) هاجم المدينة واستباحها وخرّبها، ولقي أخته (ملك حلك) بسلام، وفي نهاية النقش نجدهم يحمدون الإله على تلك الانتصارات ويعددون الأسرى والغنائم التي اغتنموها من تلك الغزوة[1].

على أثر تلك المعركة هدّمت (شبوة)، واتجهت القوات السبئيّة بعد ذلك إلى ميناء حضرموت الرئيسي (قنا)، ودمروا السفن الراسيّة فيه، والميناء بشكل عام، وعادوا سالمين. فالملك (شعر أوتر) لم يكتف بالانتصارات العسكريّة التي حققها على حضرموت بعد أن هزم ملكها وأسره ودمّر قصرها ومدنها، بل أراد أن يقضي عليها اقتصادياً حتى لا تقوم لها قائمة، فنفّذ هجومه العنيف على مينائها الشهير[2].

فبعد تلك السياسة العنيفة التي اتّبعها (شعر أوتر)، عادت للدولة السبئيّة هيبتها، فمن خلال تلك الحملات تمكّن ملك (سبأ) من تحرير الأراضي التي سيطر عليها الأحباش، وبذلك يكون قد حقّق طموحه الكبير من خلال بسط نفوذه على كل اليمن القديم شماله وجنوبه، شرقه وغربه. إنّ الوحدة التي حققها "شعر أوتر" لم تدم إلاّ بضعة أعوام فقط[3] فقد كانت مرهونة بشخصه، وبعد وفاته جاء الملك (لحيعث يرخم) ملك (سبأ وذي ريدان)، إلاّ أنّ النقوش لم تتحدّث بشيء يذكر عن إنجازاته، ربما لقصر فترة حكمه.

في (ظفار) واصل ملوك "ذي ريدان" استخدام اللقب الملكيّ المزدوج "ملك سبأ وذي ريدان" وكان من بينهم الملك (لغزم يهنف يهصدق) الذي يحتمل أن يكون معاصراً للملك السبئي (لحيعث يرخم)، أمّا أهم الأحداث التي تذكرها النقوش في

---

* أولاد عم: قبائل " قتبان وردمان وخولان، وأوسان وقسم "

1- أنظر نقش (الإرياني 13) في كتابه نقوش مسندية، ص 109-122.

2- راجع نقش (ارياني 13). أنظر أيضا :- Pirenne. J: lés temoins écrits. ..p.135.

3- Robin. ch: Aux origines de l'état de Himyar... p. 111

عهده، فتتمثّل في الغارات الحبشيّة المتكرّرة على (ظفار) العاصمة الحميريّة، والتي كادت أن تقوّضها، لولا أقيال (سبأ) الذين وقفوا إلى جانب الريدانيّين ضد الأحباش؛ وخاصة أقيال بني جرة في مقرهم (نعض) وليس في ذلك أيّة غرابة، فقد سبق وأن مرّ علينا، أنّ أقيال "بني جرة" عندما اختلفوا مع أخوتهم السبئيّين في عهد ملكهم (سعد شمس اسرع). وابنه، انضموا إلى حمير، وربما ظلّت علاقة "بني جرة" الحميريّين تتأرجح بين الود، والنزاع حسب ما تقتضيه المصلحة، وبفضل ذلك التعاون السبئي -الحميريّ، أجبر الأحباش على الانسحاب بعد معارك طاحنة، وعلى أثر نفاذ مؤن الأحباش من الأغذية[1].

سادساً: إلي شرح يحضب (الثاني) ومنافسه العنيد شمرّ يهحمد

تولّى (إلي شرح يحضب) "الثاني" وأخوه (يـأزل) في عام (240-250م) -تقريباً- زمام أمور الدولة السبئيّة، بلقب ملكي "سبأ وذي ريدان"؛ وكانا حينها معاصرين للملك (شمر يهحمد) ملك "سبأ وذي ريدان" أيضاً بظفار "العاصمة الحميريّة"، وقد كشفت لنا النقوش الخاصة بتلك الفترة، عن الخصومة الكبيرة التي كانت سائدة بينهما -أعني الملك الحميريّ والملك السبئي- ونستشف ذلك العداء من خلال المعارك الطاحنة التي كانت قد نشبت بينهما، فكل منهما يطمح في التفرّد بالسّلطة، وتحقيق الوحدة السّياسيّة، ويبدو أنهما كانا متكافئين بالقوة والمكانة، بدليل أنّ أحداً منهم لم يتمكّن من تحقيق النصر على الآخر، فأغلب النقوش المكتشفة لتلك الأحداث، هي: نقوش سبئيّة، بلغ عددها قرابة (40) نقشاً، بينما لا نجد ل (شمر يهحمد) سوى نقش واحد، وهو: نقش (بيت ضبعان-إرياني 49)، ففي عهد الملك "شمر يهحمد " يمتد النفوذ الحميريّ إلى مناطق (ردمان)، التي ربما تكون قد خرجت من يد حضرموت، عندما وجه إليها الملك (شعر أوتر) ضربته القويّة، وعلى ضوء ذلك التوسّع، تصبح حدود دولة حمير ممتدة من "ردمان" شرقاً، إلى "إلهان" غرباً، ويظلّ "نقيل يسلح" والنقايل او (المناقل)[2] الحد الشمالي بين سبأ وحمير، أمّا جنوباً فتمتد أراضيها حتى خليج عدن، والبحر العربيّ. (أنظر الخريطة رقم 17).

في أحد نقوشه[3]، يحدثنا "إلي شرح يحضب" عن الانتصارات الساحقة التي حققها، على أعدائه من "بني ذي ريدان" والأحباش والأعراب وكيف أوقف زحفهم وتقدمهم باتجاه (صنعاء)، ممّا جعلهم يتقهقرون إلى مناطق إطلاقهم، ويبدو أن

1-Ibid.

2 - بافقيه-روبان: أهميّة نقوش المعسال ص 18.

3 -الإرياني، نقوش مسنديّة، ص 258-259، أنظر نقش (إرياني 49).

الملك (إلي شرح) يقود الجيوش بنفسه، فقد انطلق مرة بجيوشه إلى (تهامة)، لملاقاة الأحباش الأكسوميّين وأحابيش العرب*، فلا يكاد يدحرهم ويقتل قادتهم ويعود إلى (صنعاء)، حتى يأتيه خبر وصول حملة حبشيّة أخرى إلى "تجران"، ممّا يضطرّه للانطلاق لتأديبهم وإخضاعهم لسلطته، بتعيين والياً عليها من قبله، ثم يحدثنا عن حملة قام بها ضد مملكة "كندة" بمهاجمة عاصمتها (قرية)، ويبدو أنّ الهدف من تلك الحملة إعادة الملك السابق لكندة على رأس الدولة وإزاحة الملك الجديد الذي نصّبوه، ولضمان عدم التّمرّد نجده يصطحب معه عدداً من الرهائن إلى مأرب. من جانب آخر نجد "إلي شرح" يواصل الاقتتال ضد الحميريّين في الجنوب، وهكذا نجد أن أكثر نقوش الملك (إلي شرح يحضب الثاني) وأخيه، يغلب عليها الطابع العسكري، فهي تحدثنا عن الحروب التي خاضاها، والغارات والحملات والانتصارات والهزائم التي لحقت بهما، كما تذكر الوفود التي سيّراها، والمفاوضات والمصالحات التي تمت في عهديهما[1].

إلى جانب ذلك النوع من النقوش، ترك لنا "إلي شرح يحضب" نقوشاً أخرى تتحدث عن الصلات الوديّة، والعلاقات التجاريّة التي تمت بين ملوك سبأ (إلي شرح يحضب وأخيه) وبين عرب الشمال[2].

من الجانب الحميري، يحدثنا الملك "شمر يهحمد" في نقش "بيت ضبعان"[3] عن إعادة تعمير موقع "التعارم"*، ويبدو أنّه عبارة عن مصنعة عسكريّة كانت تابعة للملك (إلي شرح)، أيّ أن "شمر" قد توغل في الأراضي السبئيّة، وتجاوز بذلك سلسلة الجبال التي كانت تعتبر التحصين الأوّل لمدينة (صنعاء)، لهذا نلاحظ الاهتمام المتزايد (لشمر) بهذا التحصين استعداداً لاستئناف القتال.

بعد تلك الأحداث العسكريّة العنيفة، نستشف من النقش -عينه- رغبة الطرفين في التوقيع على هدنة، يستطيعون خلالها التقاط أنفاسهم وإعادة ترتيب صفوفهم، إلاّ أنّ الهدنة لم تدم طويلاً، فيتّهم "إلي شرح" عدوه "شمر يهحمد" بالإخلال بالمواثيق والاستعانة بالأحباش.

---

* أحابيش العرب: يقصد به القبائل اليمنيّة المختلطة بالأحباش (الإرياني: نقوش مسنديّة، ص 259):

1 - الإرياني: نقوش مستنديّة، ص 258-259.

2- بافقيه-روبان: "نقوش محرم بلقيس"، مجلة ريدان، العدد الأول، لوفان، 1978 م ص 545.

3- الإريانى نقوش مسنديّة، ص 252.

* التعارم: يقع على بعد بضعة كيلومترات إلى الشرق من قمة "نقيل يسلح" كان يعد أحد المواقع التابعة للسبئيّين، ضمن أراضي " بني جرة " وبعد أن تجاوزها "شمر يهحمد" أصبح موقعاً متقدماً للحميريّين في الأراضي السبئيّة.

أمّا نقش (إرياني 69)[1] فيتحدث عن الصلح والسلم والتآخي الذي تم بين الفريقين السبئيّ والحميريّ، يحدثنا هذا النقش عن أنّ الملك (شمر يهحمد) قد أرسل وفداً للملك السبئيّ (إلي شرح ولأخيه يازل)، طلباً للسلام ولتحقيق التآخي واندماج الكيانين ممثلين باندماج القصرين قصر "سلحين" وقصر "ريدان" في كيان واحد مربوط برباط لا انفصال فيه.

ويبدو أنّ تلك الرغبة المشتركة في الصلح قد تحققت ونتج عنها :

1- توحيد القوّتين العسكريّتين السبئيّة والحميريّة.

2- وقوف القوة الموحّدة في وجه الأعداء الخارجيّين؛ وبالذات الأحباش وعملائهم.

وعلى الواقع قام الملكان بتشكيل قوة قوامها (سبئي-حميريّ)، وتزعماها ضد بقايا الأحباش في تهامة، وأعوانهم المحليين من قبائل (سهرة)، وغيرهم من المناوئيين للأحباش في سهول المناطق الشماليّة من تهامة[2].

بعد (إلي شرح وأخيه) نجد على عرش سبأ، الملك (نشأ كرب يؤمن يهأمن) ابن (إلي شرح يحضب الثاني) وأخاه (يأزل بيّن) ملكي سبأ وذي ريدان. والملفت في اسم الملك الجديد إنّه ينتسب للأب وللعم معاً -ولم نجد تفسيراً لهذه الظاهرة حتى الآن- ويرجّح أنّ التسمية الملكيّة تركّز على النسب الملكيّ كنوع من إضفاء الشرعيّة في الحكم، وقد يكون أمّا ابن (إلي شرح) الحقيقيّ، أو إبن أخيه (يأزل).

يعود لهذا الملك قرابة (30) نقشاً طويلاً، يغلب عليها الطابع الحضاريّ السلميّ، ونلاحظ من خلالها اهتمامه اللامحدود بالقضايا المحليّة وبالشؤون المتعلقة باقتصاد البلاد، فقد اهتم بالغلال والأمطار والسيول ومنشآت الري، ويذكر أموراً شخصيّة أخرى، فنجده دوماً حامداً وشاكراً الآلهة لما قدّمته له من خيرات، وما حقّقت له من آمال ونجاحات[3]، إذاً فنقوشه بشكل عام تعكس واقعاً يسوده الهدوء والاستقرار بخلاف والديه، ربما كان ذلك ثمرة الصلح الذي تم بين الكيانيين السبئي والحميري[4].

تتحدث بعض النقوش عن حملات بسيطة وجّهها (نشأ كرب) ضد قبائل وعشائر (خولان) الجديدة، لفض النزاع الذي كان ناشباً بينهما، ويحدثنا النقش عن عودة قواته إلى (صنعاء) بالضمانات والرهائن[5]، وكان هدفه من وراء تلك

---

1 -الإرياني: نقوش مسنديّة، ص 345.

2 - المرجع نفسه، ص 345. ...

3 - راجع النقوش التالية (Ja . 616 , 608 , 625)

4- الإرياني: نقوش مسنديّة، ص 361.

5 - المرجع نفسه، ص 358-360.

الحملات الحفاظ على الاستقرار والأمن السياسيّ، حتى يتسنى له التفرغ للإنجازات الاقتصاديّة والحضاريّة بشكل عام.

أمّا في "حمير" فقد جاء بعد (شمر يهحمد) الملك (كر ب إل أيفع) والذي لم تحدثنا النقوش بشيء يذكر عن إنجازاته.

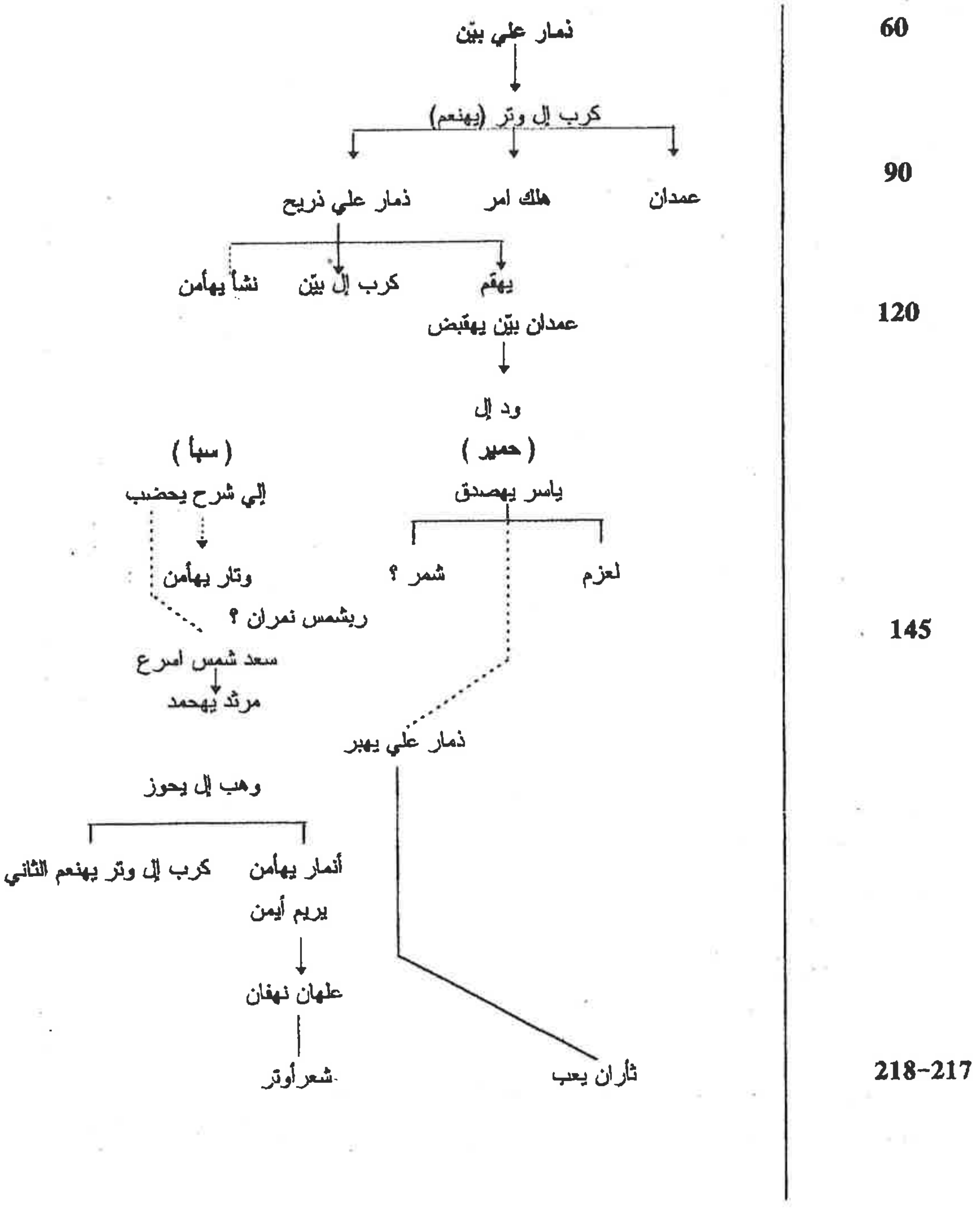
ظلّت الأوضاع السّياسيّة في اليمن حتى نهاية القرن الثالث الميلادي بشكل عام في حالة من التمزّق والفوضى، فملوك سبأ يخوضون حرباً ضد الأحباش وضد القبائل المتمردة، كما نجد "حمير" تواصل الاقتتال في أكثر من جبهة، الأحباش على الشريط الساحلي من جهة، وسبأ من جهة الشمال وحضرموت من جهة الشرق، هذا إذا استثنينا بعض الفترات القصيرة التي تعيشها تلك الكيانات في أمن وهدوء نسبيين.

أمّا الأحباش فنجدهم في تلك المرحلة، يواصلون توغلهم إلى المناطق الداخليّة، في محاولة يائسة منهم للسّيطرة على (ظفار) العاصمة الحميريّة، عن طريق (المعافر) التي كان أميرها (ذو معافر) موالياً لهم.

ظلّ الوضع كذلك حتى جاء الملك الحميري "ياسر يهنعم" (260-270 م) واشترك معه ابنه (شمر يهرعش) في الحكم، وبفضل ذلك الملك وابنه تمكّنت القوات الحميريّة من الوصول إلى سدة الحكم بمأرب[1]، في نهاية القرن الثالث الميلادي، وبذلك النصر تحقق الحلم الكبير وأصبح لقب ملك "سبأ وذي ريدان" لقباً حقيقياً، وتم بالفعل توحيد الكيانيين السياسيّين السبئي والريدانيّ، بعد صراع طويل دام حوالي ثلاثمائة عام، وبذلك انطوت مرحلة من تاريخ اليمن القديم، اتّسمت بالصراعات العسكريّة والمتشعّبة. ويجب الإشارة هنا إلى أنّ هذه المرحلة تفتقر إلى النقوش الحضرميّة والحميريّة، فما توفر من نقوش في الغالب سبئيّة مما يؤثر سلباً في الوقوف على الحقيقة الكاملة للأوضاع السّياسيّة والعسكريّة، ويجعل المقارنة غير إيجابيّة، والاستنتاج يحتاج إلى كثير من الحذر. إذاً فالبحث عن النقوش الحضرميّة والحميريّة لتلك المرحلة ضروري جداً، لأنّه قد يسلّط الضوء على أحداث أخرى، ويكشف لنا النقاب عن معلومات وحقائق لازال يكتنفها الغموض.

1- راجع نقش (ارياني 14).

كرونولوجيا ملوك سبأ وذي ريدان
كما جاء عند (كريستيان روبان)[1]



- Robin, ch : Gurre et épidémie ... , P , 229 ([1]

كرونولوجيا ملوك سبأ وذي ريدان
كما جاء عند (بافقيه)[1]

ميلادي	سبـــــأ		ذو ريدان / حمير	
	ذمار علي وتر يهنعم			
	ذمار علي بين (؟)			
	كرب إل وتر يهنعم (الأول)	السلالة السبأية التقليدية	الأنواء بنو ذي ريدان	
	هلك امر / عمدان بين يهقبض			
	ذمار علي ذرح			
	كرب إل بين / يهقم		ياسر يهصدق	
	نشأ كرب يهأمن يهرحب			
	ريشمس نمران	بداية حكم ملوك الاقيال		
	إلي شرح يحضب (الأول)			
	وتار يهأمن			
242-241	سعد شمس اسرع + مرثد يحمد			
	وهب إل يحوز		ذمار علي يهبئر + ثأران	
	كرب إل وتر يهنعم (الثاني)			
	أنمار يهأمن	المرحلة الهمدانية		
	يريم أيمن + كرب إل أوتر			
	علهان نهفان			
218-217	شعر اوتر			
	لحيعة يرخم			
	فارع ينهب			
249-248	إلي شرح يحضب (الثاني) + يأزل بين		ثأران يعب يهنعم	الأحباش في المعافر وتهامة
265	نشأ كرب يأمن يهرحب		لعزم يهنف يهصدق	
			شمر يهحمد	
			كرب إل أيفع	
			ياسر يهنعم	
281	نهاية حكم الأسر القبلية في سبأ وتوحيد سبأ وحمير علي يدي ياسر يهنعم وشمر يهرعش			
295	ضم حضرموت وقيام دولة التبابعة : شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة.			

[1]) بافقيه : المستشرقون ....، جـ2 ، ص 999

الفصل الثالث

دولة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة

(أحداث القرن الرابع الميلادي)

أولاً : شمر يهرعش يضع الأسس الأولى لدعائم الدولة المركزيّة، دولة: (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة).

ثانياً : تاريخ الأطماع الحبشيّة في اليمن.

ثالثاً: اليزنيون ودورهم السّياسيّ في تثبيت دعائم الدولة الجديدة.

رابعاً : الأعراب جزءٌ لا يتجزأ من القوة العسكريّة للدولة المركزيّة.

خامساً: التحوّلات الدينيّة وأثرها على الوضع السّياسيّ.

أو
و ذ

سب
شك
نظر
ملو
الس
الح

ريد
من

لإخ
و (

اليه
آخر
(امر
الس
بل
الش

-1
-2
-3
في
- 4
*
و ادي
المس
**
(إري
- 5

أولاً: شمر يهرعش يضع الأسس الأولى لدعائم الدولة المركزيّة دولة "سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة"

بعد أن تحقق لشمر يهرعش ولوالده "ياسريهنعم" وحدة الكيانين السياسيّين، سبأ وحمير، وأصل "شمر يهرعش" تصفية الجيوب الحبشيّة في تهامة[1]. وقد شكّلت تلك الخطوة العسكريّة حماية أكيدة للجيش الحميريّ من الغرب، ثم وجّه نظره صوب دولة حضرموت شرقاً وتمكّن بالفعل من ضم أجزاء منها، وفرّ ملوكها إلى المناطق الداخليّة، ومن هناك ظلّوا يقاومون الهجوم الحميريّ – السبئي[2] واستمرت مقاومتهم إلى ما بعد عهد (شمر يهرعش)، حتى عهد الملك الحميريّ (ذمار على يهبر) ملك "سبأ وذي ريدان "[3].

بعد أن ضمّ (شمر يهرعش) أجزاء من حضرموت، لقب نفسه (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة)، لذلك اعتبره الإخباريون أوّل التبابعة. وأحاطوه بهالة من التمجيد والتعظيم.

ولتوطيد دعائم الحكم وضمان الاستقرار، وجّه (شمر يهرعش) قواته غرباً لإخضاع المشاكسين في أودية شامة[4] وأودية تهامة الشماليّة كما انتصر على قبائل (عك)* و(سهرة) على وادي (ليه)**، وهي قبائل معروفة بعلاقاتها مع الأحباش.

بفضل تلك السياسية التوحيديّة التي انتهجها الملك (شمر يهرعش)، شهد اليمن القديم نهضة حضاريّة شاملة، دعّمتها حالة الاستقرار السياسي، من جانب آخر نجد عرب الشمال يعيشون أيضاً حالة من النمو والازدهار، فقد برز الملك (امرؤ القيس بن عمر التنوخي (ت 328 /هـ) ملك الحيرة، الذي تمكّن بحنكته السّياسيّة من أن يبسط نفوذه على أجزاء واسعة من شمال ووسط شبه الجزيرة بل ووصل إلى نجران مدينة (شمر) أمّا أهم مصدر لمعلوماتنا تلك، هو نقشه الشهير (نقش النمارة)[5].

1- أنظر نقش (CIH 407).

2- أنظر نقش (Ja 656 , 977).

3- محمد عبدالقادر بافقيه: "اليزنيون وخلفية الأحداث التي أدت إلى قيام؟ وسقوط حكم الأحباش في اليمن قبيل الإسلام" في كتاب العربيّة السعيدة، ج1، ص 87.

4 -الإرياني: نقوش مسنديّة، ص 248 – 251، (نقش ارياني 40).

* عك: اسم قبيلة تردد ذكرها في النقوش، فهي عبارة عن خليط من الأحباش والأعراب، تقع بين وادي سهام ووادي مور أي بين قبيلتي (الأشاعر) و(حكم) في تهامة، ونسبة لهذه القبيلة كان الخلفاء المسلمون يطلقون على تهامة مخلاف (عك).راجع الهمداني: الصفة، ص 73- 74.

** وادي ليه: وادي معروف في منطقة جازان (الإرياني: نقوش مسنديّة، ص 248-251 (إرياني 40).

5 – راجع نقش النمارة (RES 483) في كتاب: Bafaqih:l'unification... ,pp.305-341

فالسؤال الذي يبرز هنا هو: ماهي العلاقة السّياسيّة التي كانت تربط بين "امرئ القيس" و "شمر يهرعش" ؟ فإذا كان "امرؤ القيس" قد وصل بالفعل إلى بعض مناطق " شمر يهرعش "، وحاصرها مثل (نجران) كما جاء في نقشه (نقش النمارة) فما هي الدوافع وراء ذلك الغزو؟!

يرى بعض المؤرخين أنّ الملك (شمر يهرعش) كانت له علاقة قويّة بل وتاريخية بقبائل مذحج وكندة، وقد استعان بها في مهاجمته للتنوخيّين عندما قام بتنفيذ سياسته التوسعيّة وسط وشمال شبه الجزيرة. فجاء هجوم (امرئ القيس) كرد فعل على ذلك الهجوم[1]، أمّا أهم نقش حميريّ يتطرق لغزوات (شمر يهرعش) شمال شبه الجزيرة، فهو نقش (شرف الدين 31)، يذكر النقش ان عامل "شمر يهرعش" في صعده ويدعى (ريمان ذو حزفر)، اشترك في عدة حملات وجّهها ملكه إلى الشمال، ثم استمر غازياً في سريّة حتى وصل إلى (طسيفسة) و (كوك) و (المدائن)* ، وبلغ أرض تنوخ (دولة اللخميين) في الحيرة[2]. فهل وقف "امرؤ القيس" في طريق تلك الحملة دفاعاً عن الدولة الساسانيّة، ومن ثم حدث الصدام العسكريّ؟[3]

هناك احتمال آخر يرى (بيستون Beeston)[4] أنّ حكم "امرئ القيس" قد بدأ حوالي عام (297م) فترة سلام بين روما وفارس، لهذا نجد أن "امرأ القيس" يحتفظ بعلاقة جيدة مع الإمبراطوريتين كما جاء في نقشه، ولكن بعد أن شب الخلاف من جديد بين روما وفارس، نجده يقف إلى جانب روما، أمّا سبب ذلك فيوضحه (جواد على) بقوله: "أن امرأ القيس كان من حزب بهرام الثالث "الفارسي، ولما وقع الخلاف بين الفرس على العرش وانتصر (نرسي) خرج (امرؤ القيس) من العراق قاصداً بلاد الشام، ومال إلى الروم، فأقروه على عرب بلاد الشام"[5].

نقش النمارة: نقش امرئ القيس الشهير، كتب بالخط النبطيّ المتطوّر على نصب قائم فوق قبره بمنطقة النمارة، (جنوب شرق دمشق).

1- فكتور سحاب: "إيلاف قريش، رحلة الشتاء والصيف"، كومبيو نشر المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992 م، ص 92.

* مدينتي فارس وعاصمة الدولة السّاسانية على نهر دجلة.

2- أ. ج. لوندن: "الموظف والدبلوماسي السبأي"، ترجمة: قائد طربوش، مجلة الإكليل، العدد (2)، السنة (3)، 1988 م، ص 19 - 25.

3 -محمد عبدالقادر بافقيه: "مملكة نزار وإقليم البحرين"، مجلة دراسات يمنية، العدد صنعاء 1984م، ص 62.

4- Beeston. A:" Nemara and Faw " , dans (BSOAS) ; 42 , 1979 , p. 5 -6

أنظر أيضا: - Bafaqih : l'unification ... p. 306.

5- جواد علي: المفصّل ج 3، ص 119.

إذاً "فامرؤ القيس" لم يكن في تلك الفترة يدافع عن (فارس) بل قد تحوّل إلى الصف الروماني، ويبدو أنه برز حينها كقائد متحرر له استقلاليته، وما هجومه ذلك إلاّ نابع من طموح لا يقل عن طموح (شمر يهرعش) في مد النفوذ والهيمنة، وربما الوقوف لصد التوسّعات الحميريّة، وعند التّمعّن في الأسلوب الذي كتب به نقشه نستشف ذلك الطموح، خاصة عندما أطلق على نفسه لقب "ملك كل العرب" وملك قبائل الأسد (الازد) ونزار ومعد"، وبوصوله إلى "نجران" يكون قد حقق ذلك الطموح[1].

أمّا قبائل "كندة" و "مذحج" فهم يعدون منذ ذلك الوقت، من ضمن القبائل التي كانت تمثّل جزءاً من القوات العسكريّة الحميريّة (Ja 660) ومن الطبيعيّ أن يواجه "شمر يهرعش" قوات (امرئ القيس) التي وصلت حتى نجران[2].

واصل خلفاء "شمر يهرعش" محاولة إخضاع القبائل البدويّة المشاكة في مرتفعات السّراة، الأغوار، التي ظلّت خارجة عن طوع الدولة الحميريّة، كما استمروا في حملاتهم على الأجزاء الداخليّة لحضرموت، وقد ساندتهم قوات الأعراب في تلك الحملات المتكررة، كما ظلّوا يحملون نفس اللقب الملكيّ الذي اتخذه الملك "شمر يهرعش" (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة) ومنهم (ذرأ أيمن) و (ذمار على يهبر) وابنه (ثأران يهنعم) وقد عثر على نقش للملك (ذمار على يهبر) يتحدث عن الإصلاحات التي أقامها لبعض الطرق، إلاّ أنّه كان يلقب نفسه بملك "سبأ وذي ريدان" فقط. ويرى (فان وايزمن) انّ الملك (ذمار على يهبر) الذي حكم بين عام (345 –360م)، قد دخل في النصرانيّة بتأثير من المبشّر (ثيوفيلس)، ربّما يكون ذلك صحيحاً، فمنذ منتصف القرن الرابع الميلادي، والديانات المسيحيّة واليهوديّة قد وجدتا طريقهما إلى اليمن، إلاّ أنّ حفيده الملك "ملكي كرب يهأمن" والد الملك الحميريّ (أبي كرب اسعد) اعتنق الديانة اليهوديّة، وثار على الأحباش في أوائل الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي[3]، وطردهم من اليمن. و سنبحث ذلك بشكل أكثر تفصيلاً في الفصول اللاحقة.

---

1 – نقش النمارة (RES 483)

2- Bafaqih: l'unification... - pp. 305 - 314.

3 الإرياني: نقوش مسنديّة، ص 191 – 195، نقوش (الارياني 31، 32).

ثانيا: تاريخ الأطماع الحبشية في اليمن

قبل الحديث عن الأطماع الحبشية في اليمن، يجدر بنا أولا أن نتطرق لقيام دولة أكسوم، كيف ومتى تأسست؟ وما هي مصالحها في المنطقة؟!

تواصلت الهجرات التي كان يقوم بها السبئيون إلى البر الأفريقي منذ الألف الأول ق.م، وبالذات إلى الهضبة الارتيرية، حيث أنشأوا العديد من المستوطنات في أنحاء متفرقة من تلك الهضبة، ولا غرابة لتلك الهجرات المبكرة، فالمسافة بين الساحل اليمني -وبالذات عند (باب المندب)- والساحل الأفريقي تضيق بدرجة يسهل رؤية مرتفعات الشاطئ المجاور في أوقات يكون فيها الجو صحوا[1]. فأول ما عرف اليمنيون الإبحار، وجهوا نظرهم صوب أقرب يابسة، وكان ذلك البر الأفريقي المجاور، وبفضل النشاط الاقتصادي لتلك الجالية، برزت منها طوائف عرفت "بالجعزيين" أي (الأحرار) الذين حظوا بمنزلة إقتصادية مرموقة ومكانة سياسية كبيرة[2]، ومع مرور الزمن تمكنوا من تشكيل مركز حضاري راق، تمثل في تأسيس كيان سياسي مستقل أطلق عليه (دولة أكسوم)، تلك الدولة التي غدت منذ مطلع الميلاد المنافس الخطير لدولة "حمير".

لقد اتسمت الحياة في دولة اكسوم بطابع يمني صرف، فالمعطيات الأثرية والنقشية التي عثر عليها في الحبشة تحمل طابعا سبئيا، خاصة في المجال اللغوي، والفني، والهندسي، أما أقدم النقوش التي عثر عليها في الحبشة، فيعود تاريخها إلى القرن الخامس ق.م، وقد كتبت بالخط السبئي، كما نجدهم يطلقون على بعض الأماكن أسماء يمنية، مع ذكر (سبأ) و (مأرب)، ويحتل الإله "السبئي" (المقة) مكانة هامة بين معبوداتهم القومية[3].

منذ القرن الأول الميلادي برزت دولة (أكسوم)، كيانا سياسيا قويا، ينافس دولة حمير الناشئة في الجهة الأخرى من الشاطئ المقابل، وكانت تلك المنافسة تهدف إلى السيطرة على البحر الأحمر، الذي كان حينها من أكثر الشواطئ انتعاشا، وبحكم تلك المنافسة نجد حكام (أكسوم) يدخلون مع ملوك اليمن في صراع تارة، وتحالف تارة أخرى، حسب ما تقتضيه الظروف، إلا أنهم ظلوا يتطلعون بعين الطامع صوب اليمن القديم، ويترقبون أي اختلال سياسي ليتسللوا على أثره، إلى المناطق الداخلية -كما سنرى ذلك لاحقا-.

---

1 - بافقيه: تاريخ اليمن ...، ص 166.

2 - عبدالعزيز صالح: المرجع السابق، ص 126.

3 - الشيبة، عبدالله حسن: "إسهام عرب الجنوب في قيام وتطور أكسوم"، مجلة الإكليل العدد (4) السنة السابعة 1989م، ص31 -44.

أما أول إشارة نقشية تتحدث عن العلاقات اليمنية - الحبشية، فقد جاءت في نقش (CIH 308) الذي يعود إلى عهد الملك السبئي (علهان نهفان) (القرن الثاني الميلادي)، حيث ذكر تقرب الملك السبئي إلى الإله (تألب ريام)، إله قبيلة همدان، وأشار النقش لاستقباله سفير ملك الحبشة (جدرة)، الذي يتمنى أن يقيم معه علاقة ودية[1].

لقد جاءت تلك الأمنية في فترة شهد فيها اليمن حالة من التمزق، والصراع العسكري المرير والمتشعب، بين سبأ وحمير وحضرموت، في تلك الأجواء الخانقة، كان ملك سبأ يبحث عن منقذ يكون حليفا له لصد الهجمات الحميرية، بالفعل تمكن من تشكيل حلف ضم كلا من سبأ والحبشة ودخلت حضرموت طرفا فيه، فأصبح حلفا ثلاثيا ضد حمير، وكان لكل طرف من هذه الأطراف أهداف محددة -سبق وأن أشرنا إليها[2].

وبعد تشكيل الحلف تمت المواجهة العسكرية مع حمير، وانتصر الحلف الثلاثي وتحققت أهدافه، وما يهمنا هنا، إن الأحباش ومنذ تلك الفترة، أوجدوا لهم موطأ قدم في المنطقة على الشريط الساحلي الغربي، من (عدن) جنوبا، وحتى (نجران) شمالا، مرورا بإقليم المعافر (الحجرية اليوم).

بعد "علهان نهفان" تولى ابنه "شعر أوتر" حكم سبأ (210 -230م) تقريبا ويبدو أن العلاقات الدبلوماسية بين سبأ والحبشة ظلت قائمة في بداية عهده، فالنقش (Ja 631) يحدثنا عن سفارة سبئية اتجهت إلى ملك الحبشة وأكسوم (جدرة) إلا أن ذلك النقش لم يحدثنا شيئا عن تفاصيل تلك المهمة[3].

بيد أن الأحباش لم يكتفوا بتلك الانتصارات العسكرية التي تحققت لهم، ولا بتلك العلاقات الدبلوماسية الجيدة التي أقاموها مع ملوك سبأ، فأخذوا يبحثون عن مزيد، خاصة وأن الظروف السياسية المتردية كانت مناسبة لهم لتحقيق أطماع أخرى، عندما شرعوا في مد نفوذهم بشكل سافر في كثير من المناطق الداخلية، منتهجين سياسة الاندماج مع السكان اليمنيين وتوطيد العلاقات مع بعض القبائل وسبق أن عرفنا أن قبيلة "خولان الجديدة" كانت تشكل خطرا يداهم الدولة السبئية بدافع من الأحباش، كما تغلغلوا بشكل كبير في إقليم "نجران" [4]، وغرب

1-Robin. ch: " La premiére intervention Abyssin en Arabie Meridionale" (de 200 - 270 de l'ere chretiénne environ) dans proceeding of the English International Confernce of Ethiopian Studies , vol 2 , Addis Ababa , 1989 , p. 149 .

2 -Ibid , 149 ...

3-Bafaqih: l'unification... , p. 259.

4 - راجع نقش (Ja 631)

"حاشد" وسيطروا على بعض حصونها..[1].

أمام تلك الوضعية لم يصمت ملوك سبأ، فأصدر الملك السبئي (شعر أوتر) مرسوما عسكريا يقضي بتعيين أحد قادته ويسمى "وافي أذرح" للمرابطة على حدود قبيلة حاشد، وبالفعل ظل مرابطا حتى سلم الأحباش ما استولوا عليه من الدور في عدد من المناطق[2].

وقد حدثنا النقش (Ry 533) عن تحرشات حبشية ضد حصون وقلاع (بني سؤران) أقيال ريدة، وقد ساندهم في ذلك الأعراب القاطنون في تلك البقاع، وكذلك قبيلة خولان الجديدة، وقبائل مختلفة من تهامة منها قبيلة (ذي سهرة)*، ونجد أن جميع تلك القبائل كما تشير النقوش - خارجة دوما عن طاعة الدولة السبئية.

وفي الوقت ذاته، نجد حمير أيضا تواجه تحديا، وتهديدا حبشيا، فقد توغل الأحباش في المناطق الجنوبية من دولة حمير، ووصلوا حتى (ظفار)، كان ذلك في عهد الملك الحميري (العزم يهنف يصدق) لم يطل مقام الأحباش كثيرا عندما أجبروا على الانسحاب[3].

في (سبأ) وصل إلى عرش الدولة الملك (إلي شرح يحضب) "الثاني" وأخوه (يأزل)، حوالي عام (240 - 250 م) تقريبا، فترة شهدت فيها المنطقة معارك ضارية ضد الأحباش من الجنوب إلى الشمال، وعينوا عليه حاكما حبشيا، يدعى (سيلقم)[4]، إلا أن (إلي شرح) وأخاه استطاعا أن يتغلبا على النفوذ الحبشي بنجران، كما هاجم قبيلة (عك) التهامية التي ظلت موالية للأحباش، بل ارتبط اسمها دوما بهم[5].

وفي عهد الملك الحميري (شمر يهحمد) المعاصر لـ (إلي شرح يحضب) (الثاني) وأخيه (يأزل) شهدت العلاقة الحبشية - الحميرية تطورا جديدا، فقد سادها نوع من الوئام، وكان الهدف من ذلك الوئام ضرب الدولة السبئية[6].

إلا أن تلك العلاقة الحميمة لم تدم طويلا، عندما انتهت بحرب خاضها

1-Bafaqih: l'unification... , p. 259.

2 -الإرياني: نقوش مسندية، ص 100 - 108 (النقش: ارياني 12).

* سهرتن: اسم (معرفة) جاء في النقوش كثيرا، وقد يكتب (سهرتم) نكره، ويطلق هذا الاسم على المنحدرات المعروفة باسم تهامه، وقد ذهب العلماء إلى أن هذا الاسم يقابل اسم "السراة" عند (الهمداني) ويطلق على القبيلة التي تستوطن هذا الإقليم (السهرة) أو (ذي سهرة).

3- بافقيه - روبان: "نقوش المعسال"، مجلة ريدان، العدد (3) لوفان، 1980 م ص 18- 19.

4- أنظر نقش (Ja 755 / 8 - 11).

5-Robin: La premiere intervention ..p. 153 .

6- نقش (Ja 576 / 3 - 11).

الحميريّون ضد الأحباش، أو العكس وتمكّن الأحباش خلالها من احتلال (ظفار) مرة أخرى[1]، لكنهم لم يبقوا فيها سوى سبعة أشهر[2]، حدث ذلك في عهد الملك الحميري (كرب إل أيفع)، في حوالي (248 أو 249) تقريباً[3].

أمّا في عهد الملك (ياسر يهنعم) بمفرده، خلال الأعوام (260 –270م) تقريباً، نجد النفوذ الحبشي يمتد في الأراضي الحميريّة، ونتيجة لذلك، دارت معركتان ضاريتان في ضواحي (ظفار)، الأولى في وادي (حوبان) والثانية نشبت بعد ثلاثة أشهر في إقليم وادي (بنا)، ومن المؤسف أن النقوش لم تكشف لنا عن نتيجة تلك المعارك بشكل واضح، ونلاحظ أن قبيلة "المعافر" تقف إلى جانب الأحباش[4].

بعد السرد الموجز لتاريخ الأطماع الحبشيّة في اليمن، نستنتج أنّ الأحباش قد بسطوا نفوذهم طيلة القرنين الثاني والثالث الميلاديين على المناطق التهاميّة، من عدن جنوباً وحتى نجران شمالاً، مروراً بالمعافر –القبيلة اليمنيّة المتمرّدة على ملوك حمير–ربما بسبب مصالحها الاقتصاديّة المرتبطة بالأحباش. وممّا يؤكد الارتباط بين المعافر وبين والأحباش أن عاصمة المعافر (ش و م)* كانت بمثابة مركز رئيسيٍّ للأحباش، يستقبلون فيه سفراءهم، وينطلقون منه بقواتهم، من ذلك الموقع الهام استطاع الأحباش أن يربطوا إقليم (عدن) بغرب (ظفار) و (وصاب) بغرب (صنعاء)– حيث توجد قبيلة (عك) بالقبائل التهاميّة الأخرى في شمال (خولان–صعدة)، ومعهم مجاميع من البدو (الأعراب) في تلك التهائم[5].

بذلك فقد شغل النفوذ الحبشي كل الأقاليم الساحليّة الغربيّة والجنوبيّة، الغربيّة لليمن القديم، ولهذا أطلق على القبائل الحبشيّة المستوطنة في تلك الأقاليم (أ ح ز ب ح ب ش ت) أي قبائل الأحباش (Ja 574 /5 - 6) ومع مرور الزمن، غدو جزءاً لا يتجزأ من القوات الحبشيّة.

ومع قيام الدولة المركزية، خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين اختفت التحرّشات الحبشيّة ويؤكد ذلك استقرار الحياة السّياسيّة، وتوحيد البلاد، فترة لم تشهد لها جنوب شبه الجزيرة العربيّة مثيلاً من قبل.

ولكن عندما بدأت الصراعات والخلافات تدبّ في أوصال الدولة المركزيّة في

1- أنظر النقوش التالية: (Ja 577 / 3 Ja 585 / 14 - 16).

2 - راجع نقش المعسال: (Misél 3/8 - 9).

3-Robin: La premiéere intervention ..p. 153 - 154 .

4 -... Ibid

* ش و م: إسم جاء في النقوش أطلق على عاصمة المعافر، وهي منطقة تقع جنوب (تعز).

5-Robin: La premiere intervention.. .p. 154 .

اليمن، وخاصة في القرن السادس الميلادي ظهر الأحباش من جديد بقوة جديدة وبدعم خارجيّ كبير، عندما لم تستطع الدولة اليمنيّة، -نتيجة لضعفها- الصمود أمام تلك الحشود فسقطت تحت نير الاحتلال الحبشي، الذي جثم عليها قرابة (75عاما).

ثالثاً: اليزنيّون ودورهم في تثبيت دعائم الدولة الجديدة

اليزنيّون ينتسبون لذي (يزأن)، و (يزأن) اسم لمحفد أو قصر كما جاء في نقش (عبدان) الكبير، أمّا أقدم نقش ذكر اليزنيّين فهو نقش حضرمي عثر عليه في منطقة (العقلة)* كتب الاسم (بالذال) (ذ - يذأن) وكتابتة بحرف (الذال) وليس (الزاي) شيء مألوف في اللهجة الحضرميّة، حيث يستبدل الزاي بالذال، جاء في النقش اسم شخص يدعى (شهر أسأر بن ربيعة ذ - يذأن) (ش هـ ر م/أ س أ ر /ب ن/ر ب ع ت/ذ - ي ذ أ ن)، وقد وقع هذا الشخص اسمه ضمن مجموعة من الأشخاص، على إحدى صخرات (العقلة)[1].

(شهر) دون شك شخصيّة حضرميّة هامة، ربما أحد الإذواء اليزنيين، أمّا تاريخ النقش فيرجّح العلماء أنه يعود إلى فترة لا تبعد كثيراً عن الاحتلال الحميري لحضرموت[2]، وما يؤكد ذلك، الكتابة التي كتب بها اليزنيّون بعد الاحتلال الحميريّ، حيث تركوا الكتابة باللهجة الحضرميّة ونقشوا نصوصهم باللهجة السبئيّة[3].

لقد توافرت لنا -حتى وقتنا الراهن- جملة من النصوص النقشيّة التي تحكي عن السلالة اليزنيّة، تاريخهم ووقائعهم، ويعتبر نقش (عبدان) الكبير والذي اكتشف عام (1976م) من أهم نقوش الأسرة اليزنيّة، عثر عليه في موطنهم الأصلي بوادي (عبدان)، الذي يبعد بضعة كيلومترات جنوب منطقة (نصاب)، ويعود تاريخ النقش إلى منتصف القرن الرابع الميلادي (355 ميلادي)، فترة شهدت فيها المنطقة استقراراً سياسياً لا مثيل له، خاصة بعد أن استتب الأمر

---

* العقلة: جبل يحتل موقعاً استراتيجياً هاماً، يبعد عن العاصمة الحضرميّة (شبوة) بحوالي (15) كم عثر في هذا الموقع على عدد كبير من النصوص النقشيّة، والمخربشات وآثار عماريّة، كالبناية الشرقية التي تدعى في النقوش (أنودم)، حيث كانت فيما يبدو عبارة عن قصر ملكي يقضي فيه ملوك أوقاتهم، وربما قصراً يتوّج فيه ملوك حضرموت أنظر: محمد عبدالقادر بافقيه: "آثار ونقوش العقلة". مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة 1968م.

1- راجع النقوش التالية (1003 , Ja 994) (RES 4891). أنظر أيضاً

- Robin. ch: “ du nouveau sur les Yazanides “ , dans Proceeding of the Seminar for Arabian Studies (PSAS) 16 London, 1986 , p. 181 - 197 .

2-Robin: Les Yazanides ... pp. 182 - 183 -

3- بافقيه، محمد عبدالقادر: "هوامش من نقش عبدان الكبير"، مجلة ريدان، العدد (4) / لوفان 1981، ص 29 - 48.

للحميريين، وبعد استيلائهم على (شبوة) العاصمة الحضرميّة (Ja 662).
ويظهر أنّ للسلالة اليزنيّة ثقلاً سياسياً كبيراً في المنطقة، وهذا ما جعل الحميريّين يستعينون بهم لتثبيت أسس دعائم دولتهم الجديدة، ومد نفوذهم إلى المناطق الداخليّة، وبالفعل شكّل اليزنيّون رأس الحربة في الاندفاع نحو المناطق الداخليّة لحضرموت ومنطقة المهرة والمناطق التهاميّة لإخماد التمردات وإخضاع تلك المناطق لنفوذ السلطة الحميريّة، بل واندفعوا صوب وسط شبه الجزيرة العربيّة إلى جانب قادتهم ملوك حمير[1].
من خلال النقش -عينه-، يمكن أن نتتبع حياة الأسرة اليزنيّة خلال ثلاثة أجيال، منذ أول انطلاقة لها من مقرها قصر (يزأن) بوادي (عبدان). كما كشف لنا النقش عن المؤسس الأوّل للأسرة اليزنيّة، وكان يدعى (ملشان)، وهو معاصر للملك الحميريّ (ثأران يهنعم)، حينها كانت الأسرة اليزنيّة تسيطر على رقعة جغرافيّة تمتد من وادي (عبدان) وحتى وادي (عماقين)، بعد ذلك يحدثنا النقش عن الارتقاء السّياسيّ والاجتماعي لتلك الأسرة، فيمتد نفوذها وتتوسع أراضيها، فتشمل كل أودية المشرق مثل: (حبّان) و (عماقين) و (عبدان) و (جردان) ووادي ميفعة[2]... (أنظر الخريطة رقم 18).
أمّا عن الأعمال العسكريّة، والتي يتزعمها القادة اليزنيّون إلى جانب ملوك حمير، فقد حدثنا النقش عن عدة حملات قاموا بها امتدت إلى (عسير) و (قرية) العاصمة الكنديّة، وظفار (عمان)، بل وامتدت حتى (الحجاز) و(نجد) مع ذكر لأسماء من رافقهم من القادة العسكريين، إحدى تلك الحملات مرت بواحة (يبرين) وأخرى، اتجهت صوب قبيلة الاسد (الازد) وامتدت حتى (جو) باليمامة[3].
حروبٌ كثيرة خاضها اليزنيّون تحت قيادة ملوك حمير، أو أحد أفراد الأسرة المالكة، وقد ساعدت تلك الحروب على تنامي قوة اليزنيين، وبزوغ نجمهم، فاصبحوا بعد ذلك قوة عسكريّة كبيرة لا يستهان بها في المنطقة.
لم يقتصر نقش (عبدان) على الأعمال الحربيّة لتلك الأسرة، بل تطرّق أيضاً للإنجازات المدنيّة كبناء المنشآت الزراعيّة والعمرانيّة، التي قام بها اليزنيون في أراضيهم كإعادة بناء وترميم مدينتهم (عبدان) بعد أن أحرقت أثناء المواجهة العسكريّة المتكرّرة بين حمير وحضرموت وقد أضافوا عند الترميم إلى محفدهم (بيت يزأن) ثلاثة محافد، أمّا الأعمال الزراعيّة التي أقاموها فقد تمت في وادي

1- Robin. ch: Les Yazanides .. p. 183.- 48-29 أنظر أيضاً بافقيه: نقش عبدان .. ص
2 -المرجع نفسه.
3 -محمد عبدالقادر بافقيه: اليزنيون ص 86.

(حطيب) أعالي وادي (عبدان) ووادي (ضراء)، كما يحدثنا النقش عن رحلة صيد قام بها اليزنيون في جبال وأودية (حجر)، و (جردان)، و(عبـدان) ضمـت فـي مجموعها (800) رجل و (500) كلب، وخلال تلك الرحلة قتلوا عدداً من الأبقــار، والثيران الوحشية، وعدداً من الوعول، وقتل الأفيال (50) نمراً [1].

وهناك نقوش أخرى تتحدث عن اليزنيين منها نقش (RES 5085)، عثر عليـه بوادي (رخيلة)، شمال منطقة (عزّان) يعود تاريخه إلى منتصف القرن الخـامس الميلادي (455م)، يذكر السلالة اليزنيّة مع إضافات جديدة، فقد أدرج ضمن أسماء تلك الأسرة قبائل (يغلب وكبرن) ومن تبعهم، حيث نجدهم ولأوّل مرة ينضمّـون إلى السلالة اليزنيّة، ممّا يوحي بتوسّع نفوذ الأسرة وضمها لأراضــي جديـدة[2]. وتستمر الإضافات للأسرة اليزنيّة، فتدخل في إطارها أسرة جديدة هي (بنو لحيعه يرخم) الجدني الأصل[3]، كما جاء في نقش (RES 4069). كل ذلك يؤكد اســتمرار اتساع نفوذهم السّياسيّ، ففي عام (510 م) تقريباً كان اليزنيون -الأذواء سابقاً- يسيطرون على نصف مملكة الحميريّين الشرقيّ، والذي أطلق عليه (حضرمـوت ويمنة)، كما جاء في نقش (ينبق 47)، وهكذا يستمر النفوذ السّياسيّ لليزنيّين إلى أن يصلوا إلى السلطة، كما سنرى ذلك لاحقاً.

رابعاً: الأعراب جزء لا يتجزأ من القوة العسكريّة للدولة المركزيّة

أقدم ذكر للعرب جاء في النقوش اليمنيّة القديمة، يعود تاريخه للقــرن الأول الميلادي، أي بعد حوالي 900 سنة من أقدم ذكر لهم في الكتابات الأشوريّة، وهذا لا يعود لنقص التوثيق، بقدر ما يعود لطبيعة النقوش النذريّة، والتي لا تتطــرق بشكل مباشر للاتصال بعرب وسط وشمال الجزيرة[4].

بعد تلك الفترة نجد في النقوش لفظة (ع ر ب) عرب، (أ ع ر ب) أي أعرب[5]. فإجمالي النقوش التي احتوت على لفظة (عرب) أو (أعراب)، يبلغ -حتـى الآن- حوالي ستة وعشرين نقشاً، ويقصد بهذا الاسم "البدو الرحل"[6].

1-Robin: les Yazanides ... pp. 182 - 183 -

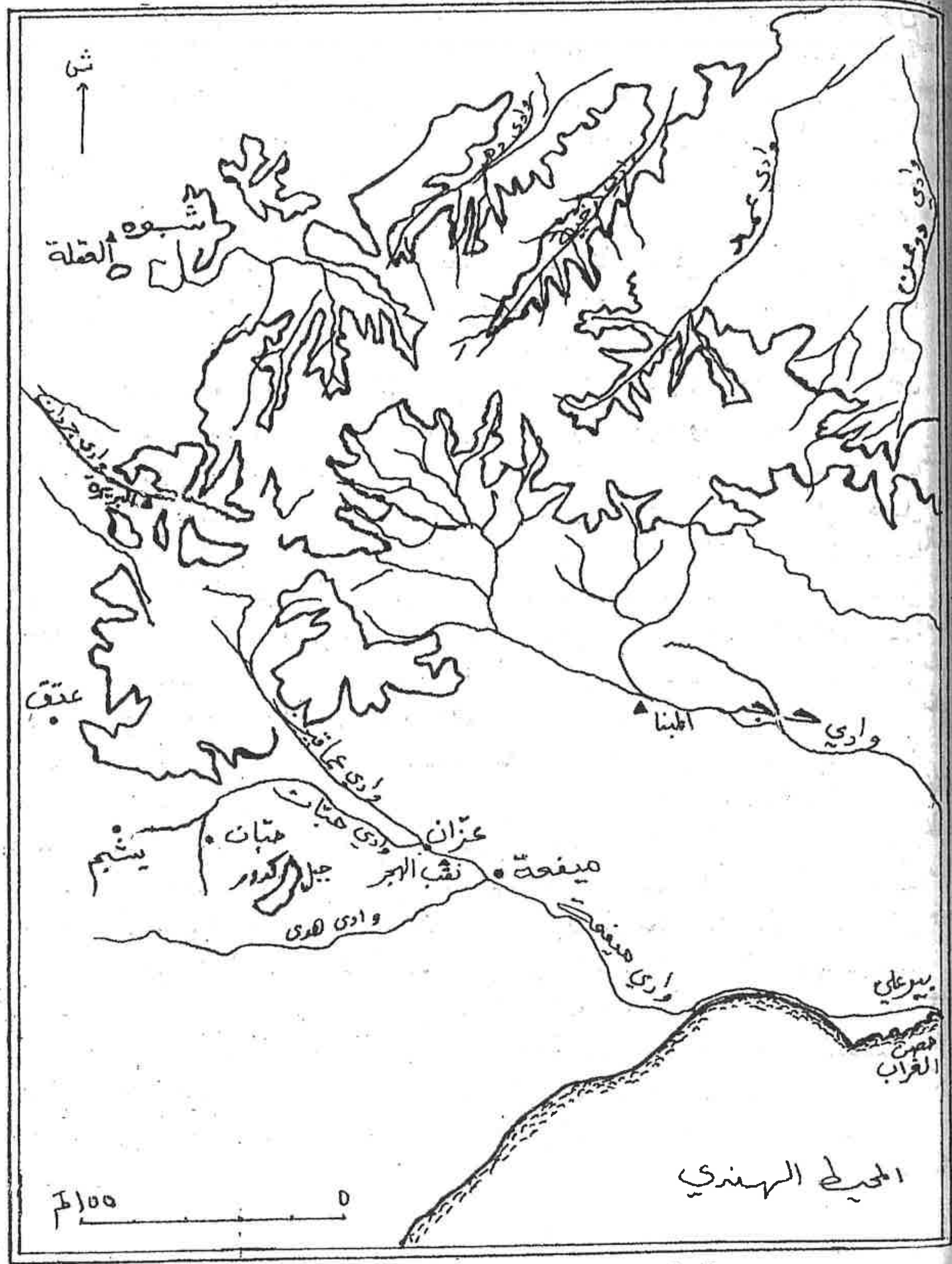
2- بافقيه – روبان: نقوش المعسال ...، ص 9 – 29.

3- بافقيه: العربية السعيدة، جـــ 2، ص 158.

4- روبان كرستيان: "انتشار العرب البداه في اليمن من القرن الثاني إلـــى العاشــر الميــلادي"، ترجمة: علي محمد زيد، مجلة دراسات يمنيّة، العدد27 مركز الدراسات، صنعاء،1987م ص87.

5 -أنظر نقش (Ja 211).

6- روبان: انتشار العرب ...، ص 87.



خريطة رقم (18) أودية المشرق موطن اليزنين

لعب الأعراب دوراً مؤثراً في الأحداث السّياسيّة لليمن القديم منذ مطلع القرن الأول الميلادي، فقد بدأ ظهورهم على الساحة في بداية الأمر كعناصر مشاكسة تغير على أطراف الأوديّة الزراعيّة، وبالذات المراكز الحضاريّة حول رملة السبعتين[1] ، قادمة من أطراف الربع الخالي، أو نجدها تتسلّل من جبال السّراة وتهامة، أمّا ظهورها في ذلك الوقت بالذات -أعني القرن الأول الميلادي- فيعود أسبابه للضرر الاقتصاديّ الذي لحق بها، من جراء ضعف الطريق البريّ، خاصة بعد أن انتعشت الملاحة البحريّة، وهو نفس السبب الذي شجّع كثيراً من اليمنيّين لترك مدنهم في أطراف تلك الأوديّة، واللجوء إلى الهضبة الغربيّة، بعد أن كانوا يشكّلون درعاً واقياً ضد غزوات البدو، تلك الهجرة التي أدت -بدون شك- إلى انتشار ظاهرة التصحّر لكثير من المناطق الواسعة المرويّة والواقعة على أطواف الأودية الشرقيّة المطلّة على الصحراء، بعد أن أهملت شبكات الري والزراعة فيها.

أول نزاع دار بين اليمنيّين والأعراب، يعود لعهد الملك السبئيّ (نشأ كرب يهأمن)، في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، ويبدو أنّ ذلك النزاع حُلّ وديّاً، بعد عام (150م)، وبالذات في عهد الملك السبئيّ (وهب إل يحوز)، عندما شنَّ زعماء قبيلة (حاشد) الواقعة شمال صنعاء الحرب ضد بعض البدو (الأعراب) على حدود أراضيهم، بيد أن الضغط البدويّ استمر على تلك القبيلة وعلى قبائل سبئيّة أخرى، كما حدث في منطقة (م ن هـ ت م) = (حزمة أبو ثور) حالياً الواقعة في وادي (الخارد) بالجوف[2].

في تلك الظروف، نجد الدولة السبئيّة تعمل كل ما بوسعها لصد الهجمات البدويّة، والحيلولة دون توغل البدو (الأعراب) إلى أراضيها، أمّا دولة حضرموت فنجدها تنتهج سياسة جديدة تجاه الأعراب، تلك السّياسة التي تقوم على الدمج، لقد حدث أول مؤشر لتلك السياسة في حواليّ عام (150 م)، عندما برز الأعراب كمقاتلين في صفوف الجيش الملكيّ الحضرميّ، والدليل على ذلك نقش (المعسال) الذي يشير إلى أنّ الجيش الملكيّ الحضرميّ كان يضم قوة بدويّة يتزعمها قائد يوصف بـ (س و د / ع ر ب ن) أي سيد الأعراب[3].

أمّا سبأ فقد وجدت نفسها في ظروف عسكريّة خطيرة، ممّا اضطرّها لانتهاج نفس السّياسة الحضرميّة، سياسة الدمج[4]، ففي عهد الملكين السبئيّين (سعد شمس اسرع) وابنه (مرثد يهحمد)، واجهت (سبأ) تحالفاً خطيراً قادماً من

---

1 -بافقيه: العربيّة السعيدة، جـ 1، ص 26.
2 روبان: انتشار العرب .. ص 95.
3 - بافقيه: نقوش المعسال، ص 9 -29.
4 - روبان: انتشار العرب ... ص 95...

الشرق، يضم كلاً من: (حضرموت) و (قتبان) و (ردمان) و (مضحى) وأعرابهم، وأمام تلك الوضعيّة لم تتأخر (سبأ) في دعم قواتها بالقوات البدويّة، كذلك في عهد الملك السبئيّ (علهان نهفان)، (نهاية القرن الثالث الميلادي) نجد الجيش النظاميّ السبئيّ يعزز بقوات من الأعراب.

يبدو جلياً أنّ تلك السياسة التي أنتهجها ملوك حضرموت وملوك سبأ تجاه الأعراب، كان لها أهدافاً هامة أهمها:

- درء خطر الأعراب الذين كانوا يشكّلون قوة تهدد أمن واستقرار الدويلات، بين الفينة والأخرى.
- الاستفادة من تلك القوة، فبدلاً من أن تكون قوة معاديّة، ومشاكسة تكون قوة مساندة ورديفة للقوات النظاميّة للدولة، تساهم بشكل فعّال في دعم القوات الرسميّة.

ومنذ القرن الثالث الميلاديّ، وبفضل تلك الجيوش البدويّة تبنت الدولة السبئيّة استراتيجيّة هجوميّة في مواجهة القبائل البدويّة في وسط شبه الجزيرة العربيّة، كما أنّ لتلك السياسة فضلاً كبيراً في تشكيل ممالك في وسط وشمال شبه الجزيرة وأفضل مثال على ذلك: مملكة (كندة) التي تأسست في وادي (الدواسر)[1].

صعّد ملوك سبأ هجومهم على أعراب وسط شبه الجزيرة والتهائم، فشنّ الملك السبئيّ (شعر أوتر)، حملتين عسكريّتين على قبيلة (ربيعة) من بطن (ثور)، كما هاجم ملوك سبأ وأعرابهم بعض الأعراب في التهائم، وبالذات الذين يقفوا إلى جانب الأحباش، مشكّلين خطراً يداهم الدولة السبئيّة، ويهدد أمنها بين الحين والآخر[2].

بالرغم من ذلك نجد الأعراب يمثلون قوة لا يستهان بها في صفوف الجيوش النظاميّة للدولة الحميريّة، فكان لهم فضل كبير في توسيع نفوذ الدولة المركزيّة، وقد عيّن الحميريون على تلك القوات قائداً جدنياً (من قبيلة ذي جدن) اسمه (سعد تألب يتلف الجدنيّ)، لقّب بكبير الأعراب (كبير أعراب كندة ومذحج وحرمم وباهل وزيد إل وأعراب ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة)[3].

فإذا كانت بعض القبائل الوارد اسمها في النقش لم يبق لها أثر، فالمهم أن قبيلتي (كندة) و (مذحج) كانتا في مقدمة القبائل التي انتظمت في صفوف الجيش البدويّ الحضرميّ. وقد اتخذت تلك القوة البدويّة التي كان يتزعمها "سعد تألب" من مدينة (نشق) بالجوف مركزاً لها.

وبفضل الجيش النظاميّ الحميريّ، وجيش الأعراب، استطاع الحميريّون من أن يواصلوا عملية توحيد الأرض اليمنيّة ويقضون على كل تمرد داخلي، ففي

---

1 - بافقيه: العربيّة السعيدة، جـ ١، ص 26 -27.

2- الإرياني: نقوش مسنديّة، ص 100 -108، نقش (إرياني 12).

3- راجع نقش (Ja 665).

عهد الملك الحميريّ (أبي كرب أسعد) = (أسعد الكامل) تمكّنت القوات النظاميّة وأعرابها من التوغل شمالاً في نجد حتى وصلت إلى منطقة (مأسل الجمح)[1]*.

إنّ تلك الخدمات الجليلة التي قدّمها الأعراب لملوك اليمن، سمحت لهم بالتغلغل في أوساط اليمنيّين، وخلق نوع من التعايش، الذي تنامى مع مرور الزمن، فهناك مؤشرات نقشيّة تؤكد ذلك التعايش والاندماج، ففي أحد النقوش تعلن قبيلة (الحدا) -وهي قبيلة بدويّة- تبعيتها للملك (شمر يهرعش)، وبتلك المناسبة قدمت -أعني قبيلة (الحدا) -نذراً إلى معبد الإله (المقة) هي مأرب، أمّا قبيلة (كندة) والتي كانت تقطن وسط شبه الجزيرة العربيّة بوادي (الدواسر)، أصبحت في القرن السابع الميلاديّ تسيطر على حضرموت كلها، ومع الوقت نجد كثيراً من القبائل البدويّة استوطنت اليمن إلى جانب (كندة) و (مذحج) و (الحدا)، بعد أن اعترفت بالسلطة الكاملة لملك حمير[2].

خامساً: التحولات الدينيّة وآثرها على الوضع السياسيّ في المنطقة

شهد القرن الرابع الميلاديّ تحولات دينيّة خطيرة، شكّلت منعطفاً تاريخياً هاماً، أثّر بشكل مباشر على سير الأحداث السّياسيّة في اليمن القديم، فقد تخلّى ملوك وشعوب المنطقة منذ ذلك القرن عن التّقرب إلى الآلهة الوثنيّة واختفت صيغة الدعاء والتّقرب لتلك الآلهة وحلّت محلّها صيغ جديدة ذات طابع توحيدي غامض شبيه بمذهب الحنفيّة*.

فهناك نقش (RES 3383) يتحدث عن قيام الملك (ملكيّ كرب يهأمن) وابنيه (أبي كرب أسعد) و (ذرأ أيمن) ببناء معبد للإله (ذي سموي) أي إله السماء، كان ذلك حوالي عام (378 م)، يمثّل هذا النقش أوّل إشارة واضحة وصريحة للتحوّل الدينيّ، فقد تحوّل الملوك من العبادة الفلكيّة إلى عبادة (رب السماء)، أي إلى عقيدة التوحيد الغامضة التي برزت في النقوش في القرن الرابع الميلادي، ويبدو ذلك من خلال استعمالهم اسلوب التجريد، والتجريد كما هو معروف يعتبر الخطوة

---

1 -بافقيه: العربيّة السعيدة، جـ 1، ص 35.

* مأسل الجمح: وادي يقع في نجد، يبعد حوالي (50) كم جنوب شرق الدوادمي. راجع نقش (مأسل الجمح Ry 509) (أنظر خريطة رقم 19)، وأنظر أيضاً كتاب: حسين عبدالله العميري وآخرون: في صفة بلاد اليمن عبر العصور من القرن السابع ق.م وحتى (19م)، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990 ص 18 -19.

2 -روبان: انتشار العرب ....، ص 101.

* معروف أن حنفية إبراهيم تقوم على رفض الوثنية، خاصة عبادة الكواكب التي تنتهي إلى الأفول والحنفاء: معتنقوا مذهب إبراهيم ودعوا إلى عبادة الإله الواحد، وجاء الإسلام مكرماً له.

الأولى في اتجاه التوحيد، بعد ذلك تأخذ العقيدة التوحيدية، مرحلة جديدة من التطور، فتذكر النقوش اسم (الرحمن) رب السماء والأرض[1].

إن تلك التّحولات الدينيّة، لم تظهر في اليمن فحسب، ففي الوقت ذاته، نجد الديانة المسيحيّة تحتلّ مكانة مرموقة بين الديانات، وبالذات منذ عام (313)م، عندما اعتنق الإمبراطور الروماني (قسطنطين الأكبر Constantius) تلك العقيدة الدينيّة، فأصبحت ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية منذ عام (330)م[2]، منذ ذلك الحين بدأت البعثات التبشيريّة تجد طريقها إلى كثير من البلدان، ومنها الحبشة، عندما وصلت بعثة تبشيريّة بزعامة (فرومنتوس Frumentius) إلى الحبشة في عهد النجاشي (عيزانا)، واستمرت الوفود التبشيريّة، حتى كلّلت جهودها بالنجاح، إذ ترك الأحباش الديانة الوثنية واعتنقوا المسيحيّة. فالهدف الأساسي لملوك (الروم) من وراء ذلك الأصرار، لم يكن دينيّاً بل سياسيّاً محضاً، فالحبشة تحتل موقعاً استراتيجياً هاماً، فهي تقع على طريق تجارة الهند من ناحية، وعلى تخوم بلاد مصر، وتجاور جنوب شبه الجزيرة العربية -الحلم القديم للرومان- من ناحية أخرى[3].

وقد وصلت الديانة المسيحيّة اليمن عن طريق الحبشة، وعن طريق البعثات التبشيريّة القادمة مباشرة إلى اليمن، وكان ممّن أرسلهم الإمبراطور (قسطنطين)، المبشّر (ثيوفيلوس Theophilus Indus)، الذي وصل إلى اليمن للتبشير بالديانة المسيحيّة ولبناء ثلاث كنايس للتجار الرومان، واحدة في (عدن) والثانية في (ظفار) والثالثة في (هرمز) على الأرجح![4]

فأغلب النقوش[5] التي صبغت بالصبغة المسيحيّة سجّلت في عهد الملك الحميريّ (يوسف أسأر يثأر)، وقد حملت تلك النقوش، إشارات تدلّ على الوجود الحبشيّ في اليمن، والمبشّرين المسيحيّن في اليمن[6].

أمّا الديانة اليهوديّة فتاريخ دخولها اليمن غير معروف، كما أنّ النقوش التي تحمل طابعاً يهودياً محدودة للغاية، وقد سجّلت جميعها في الفترة التي اعتنق

---

1 -أسمهان الجرو: "الفكر الديني عند قدماء اليمنيين"، (دراسة قيد النشر).

2 -جواد علي: المفصّل، جـ 2، ص 176.

3- ولفنسون، اسرائيل: "تاريخ اللغات السامية"، ص 260. أنظر أيضاً: الصلوي: الأخدود، ص16، 38.

4- سحّاب: إيلاف قريش...، ص 124.

5- راجع النقوش التالية: (Ja 1028) (Ry 507) , (RES 508)

6- الصلوي : الأخدود ، 16 - 19

فيها ملوك حمير الديانة اليهوديّة، وأهم النقوش التـــي سـجّلها ملـوك حمـير المتهودين نقشي (Ja 669) (Ja 671)، وعلى الرغم مـــن أن بعـض الدراسـات التاريخيّة تشير إلى أن وصول الديانة اليهوديّة إلى اليمن كان قد تـــم بواسـطة بعض الجماعات اليهودية التي تشتّت في بلاد العرب هرباً من اضطــهاد أبـاطرة الروم وبطشهم، لا سيّما بعد تخريب بيت المقدس عام (70م) وفروا في الصحـراء ونزلوا في جاليات صغيرة على الطريق التجاريّ المتّجه جنوباً صوب اليمــن، إلا أن هذا الرأي لم يظهر له دليل ماديّ، فالنقوش اليهوديّة لم تظهر في اليمن قبـل القرن الرابع الميلاديّ، كنقش (بيت الأشول) الذي نقش في عهد الملك الحمـيريّ (ذمر أمر أيمن)، وكان صاحب النقش يهودي العقيدة يسمّى (يهودا يكف)[1].

وهناك من المؤرخين من يعتقد أن الملك الحميري (أبي كرب أسعد) قد اعتنق الديانة اليهوديّة، وقيل أنه نشرها بين اليمنيّين[2]، ويرى الإخباريّون ومنهم (ابن سعيد الأندلسي): "أن الملك الحميري دعا اليمنيّين إلى إتباع اليهوديّــة، فـاتفقت حمير على اليهوديّة منذ ذلك الزمان وهدّموا بيتهم الذي كانوا يعبدونه"[3].

ويروى ابن هشام في (سيرة النبي) قصة مرور (تبّع) بمكة وطوافه بـــالبيت، وأنه أول من كسى البيت، وأوصى به ولاته من قبيلة (جرهم) وأمرهم بتطهيره[4].

في تلك الظروف الدوليّة سعت الديانتان اليهودية والمسيحيّة، إلى التغلغل فــي شبه الجزيرة العربيّة منذ القرن الرابع الميلاديّ، وكانتـــا متّصلتيــن بـالصراع السياسيّ والاقتصاديّ العالمي، وتطوّرت الأوضاع في المنطقة إلى صراع يهودي مسيحي شامل في القرن السادس الميلاديّ.

1- راجع نقش (بيت الأشول 1)، المؤرخ سنة 619 حميري = 504 م.

2-Van Wissmann: Himyar... pp 480 -481.

3- ابن سعيد، الأندلسي: "نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب" (جـــ1)، تحقيــق: نصـرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عمان 1982م، ص 149.

4 - ابن هشام: "سيرة النبي"، تحقيق محمد محي الدين بن عبدالحميد، القـاهرة، 1937م، ص19-21.

الفصل الرابع

دولة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود والتهائم

"أحداث القرن الخامس الميلاديّ"

م
أسعد
الأخب
ونسب
الحقي
سيطر
إقليم
فأطلق
الطو
شبه
الحمي
وصو
وصو
ويعو
428)
ريدان
ويهأ
و
أرض
و
وقيل
بعد (
الحك
للدول
الجزي
فيعتبر

1- الـ
2- أ.
8

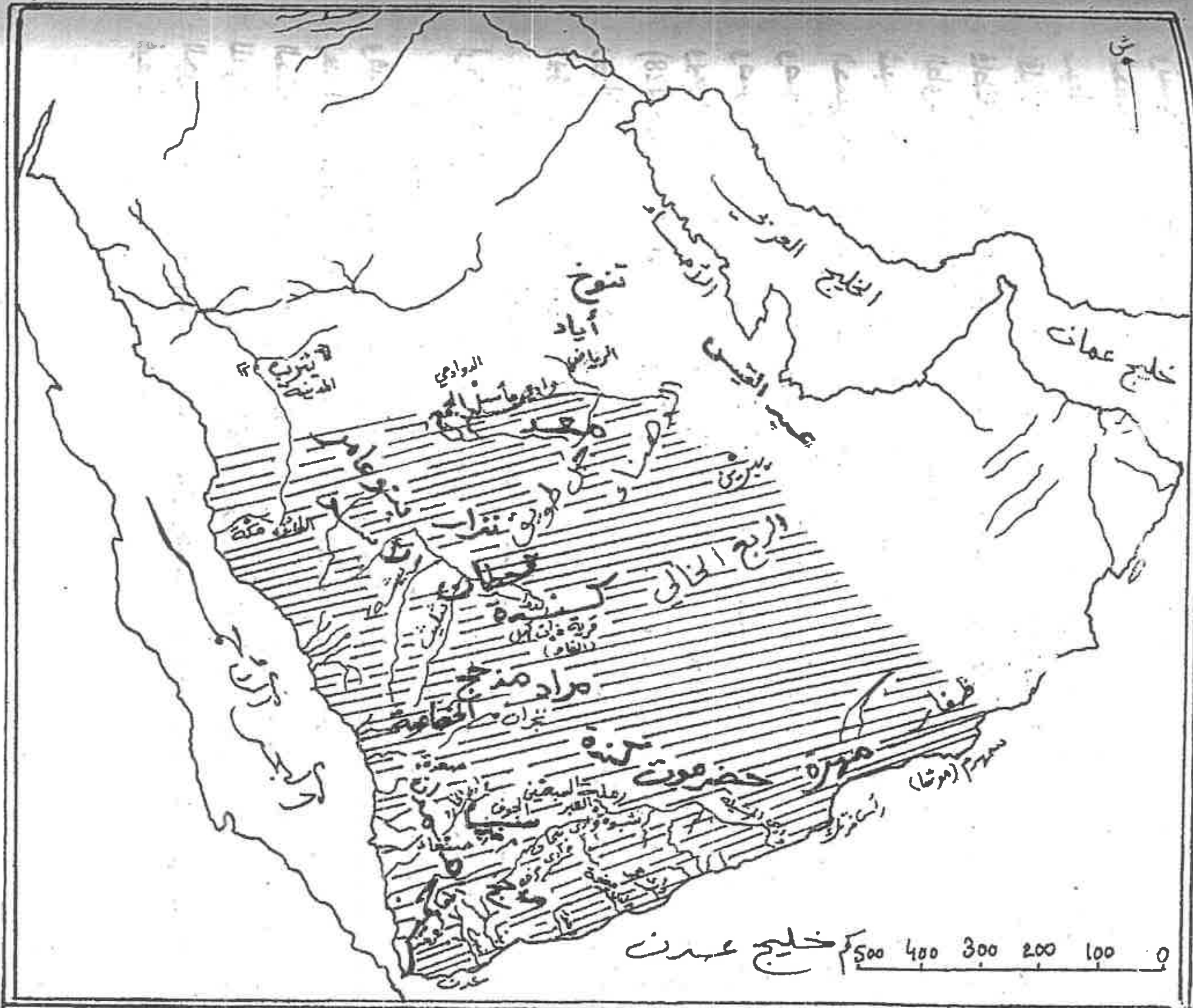
منذ مطلع القرن الخامس الميلاديّ تولى حكم اليمن الملك الحميريّ (أبي كرب أسعد) والذي يعتبر من أشهر الملوك الحميريّين، فقد تردد صداه كثيراً في كتب الأخبار فسمي بـ (تبّع الأكبر) كما أطلق الإخباريون عليه اسم (أسعد الكامل)، ونسبوا إليه كثيراً من الغزوات والفتوحات. وليست تلك الروايات بعيدة عن الحقيقة، فقد ذكرت النقوش نفوذ ذلك الملك، الذي تمكّن بالفعل من إكمال سيطرته على أعراب المرتفعات، وإخضاعه لمن تبقى من الأعراب المشاغبين في إقليم (السراة)، وفي المنحدرات الغربيّة كما تعقب أمثالهم في تهامة الحجاز، فأطلق على نفسه لقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود والتهائم)، وفي ظل حكم ذلك الملك وأبنائه بدأت سياسة الاندفاع نحو وسط شبه الجزيرة العربيّة وشمالها، وهي السياسة التي سبق وانتهجها أسلافه الحميريون. فخضعت عدد من القبائل البدويّة لسلطانه. وأهم نقش يحدثنا عن وصوله إلى شمال شبه الجزيرة العربيّة هو نقش (Ry 509)، الذي يحكي عن وصول الملك (أبي كرب أسعد) إلى وادي (مأسل الجمح) (أنظر الخريطة رقم 19)، ويعود تاريخ النقش إلى الربع الأوّل من القرن الخامس الميلاديّ، حوالي عام (428 م). ويقول النقش: "أبا كرب أسعد" وابنه حسّان يهأمن، ملكا سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود والتهائم، أبناء حسّان ملكي كرب ويهأمن ملك سبأ وذي ريدان.

وحضرموت ويمنة، مروا من هذا الممر بوادي (مأسل الجمح) يوم غزا أرض (معد) ضمو وحلّوا بها نازلين بين قبائلهم ومع قبائلهم من حضرموت وسبأ ...."[1].

ويرى بعض المؤرخين أن الملك "أبو كرب أسعد" قد اعتنق الديانة اليهوديّة وقيل أنّه نشرها بين اليمنيّين، كما سبق وأن أشرنا لذلك.

بعد (أبي كرب أسعد) يأتي على رأس السلطة ابنه (حسّان) والذي شارك أباه الحكم كما جاء في النقش السابق، في عهد (حسّان) توسعت الرقعة الجغرافيّة للدولة الحميريّة، وتمتّعت بروابط وعلاقات متينة مع مختلف قبائل ودول شبه الجزيرة العربيّة، وتربط المصادر بين (حسّان يهنعم) وقيام الدولة الكنديّة، فيعتبر ملك كندة (أكل المرار) أخاه لأمه[2].

1- العمريّ وآخرون: صفة بلاد العرب ...، ص 18 - 19.
2- أ. ج لوندن: "اليمن إبّان القرن السادس الميلادي"، مجلة الإكليل، وزارة الإعلام صنعاء 1988م، العدد 3، 4، (الحلقة الأولى)، ص 11.



خارطة رقم (19) النفوذ الحميري في شبه الجزيرة العربية حتى أواخر القرن الخامس، على ضوء نقش (Ry 509)

بعد عشرين عاماً تقريباً، نجد الملك (شرحبيل يعفر) الابن الثاني لـ (أبي كرب أسعد) على العرش وحيداً، ففي عام (449م)، نجده يقوم بأهم إنجاز إنشائي، وهو ترميم سد مأرب الذي تعرّض حينها للتصدّع، ولم يلبث أن تصدّع مرة أخرى في السنة الثانيّة، فسخّر الملك (شرحبيل) حوالي (20.000) من رجال حمير وحضرموت، للقيام بالترميمات المطلوبة، وذكر النقش (CIH 540) الذي خطه الملك على سد مأرب، كميات الطعام وأنواعه المختلفة التي استهلكها ذلك العدد الكبير من العمال المسخّرين. ويتضح أنّ عهد الملك (شرحبيل) شهد حالة من الاستقرار السياسيّ والنمو الحضاريّ، فقد سجّل لنا نقشاً أخر يتحدث فيه عن بناء وتجميل قصره (هرجم) وقد عثر على النقش في خرائب (ظفار) العاصمة الحميريّة[1]، يقول النص: "شرحبيل يعفر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود والتهائم، ... أسس، بل وزيّن بيته (هرجم) من موخرته إلى قمته، وجعل فيه تبيوتا (تبيتم؟) من الجير، من الخلف والأمام، وعلاه وأعلى سقوفه، وجعل فيه ربعة (ربعتم؟) وكثيراً من اللهوج (الهوج؟) الواسعة وأمدّه بالماء بواسطة ساقية مبنيّة بحجارة منحوتة على شكل رؤوس ثيران، وأسود، وجعل فيه أجراساً من البرونز المذهّب (ذي ذهبن) بين تماثيل وثيران، وزيّنه بالمساند كما جعل فيه تماثيل لأناس، ووعول وأسود، ونمور، كل ذلك من البرونز المذهّب".

هذا البناء البديع لقصر (هرجم) غير معروف حالياً، لكن ما جاء في النقش من وصف دقيق لفن البناء والزخرفة التجميلية يؤكد العظمة والثراء الذي عاش فيه ملوك اليمن قديماً. إذاً فإن ما ذكر عن قصر "غمدان" الشهير ليس ببعيد عن الحقيقة.

تنقطع أخبار الملك (شرحبيل) ويتولى الحكم بعده حتى نهاية القرن الخامس الميلاديّ، عدد من الملوك منهم: (شرحبيل ينكف) و (ينوف) و (لحي عث ينوف) و (مرثد إلن) و (معدي كرب)، لم نعرف شيئاً عن كثير من إنجازاتهم فلم تتحدث النقوش عن أيّ تغيّير جوهري في حدود الدولة اليمنيّة، وهذا يشجّع على الاستنتاج بأن الدولة كانت تعيش حينها في حالة من الاستقرار السياسيّ والحضاريّ.

1- نقش استنسخه (مطهّر الإريانيّ) ، من خرائب ظفار عام 1969 م، ونشر في نفس العام من قبل العالم الإيطالي (جيوفاني جربيني) ، أنظر مطهر الإرياني :"قصر غمدان بين الحقيقة والأسطورة"، مجلة دراسات يمنية، العدد الرابع، صنعاء 1980 م، ص122.

[illegible]

الجزء الرابع

اليمن إبان القرن السادس الميلادي

الفصل الأول : الأوضاع الدولية وأثرها على اليمن.

الفصل الثاني : يوسف أسأر يثأر "ملك كل الشعوب".

الفصل الثالث : الغزو الحبشي لليمن.

الفصل الرابع : اليمن تحت السيادة الحبشية.

الفصل الخامس : ثورة سيف بن ذي يزن وتوليه الحكم.

الفصل السادس : اليمن تحت السيادة الفارسية.

أولاً:
ثانياً:

الفصل الأول

الأوضاع الدوليّة وأثرها على اليمن

أولاً: الصراع الدوليّ من أجل الطرق التجاريّة.
ثانياً: الأحوال الداخليّة لليمن في القرن السادس الميلاديّ.

أولا
ش
خطير
مرير
الصر
–

–
–

لم
جوهر
(بيزن
لمجاب
شمال
والمع
(المنا
و(الد
لق
حكمه
من ال

'4, P.

س –2

الفصل الأول
الأوضاع الدوليّة وأثرها على اليمن

أولاً: الصراع الدولي من أجل الطرق التجاريّة

شهدت منطقة الشرق الأوسط في القرن السادس الميلاديّ أحداثاً سياسيّة خطيرة، فالإمبراطوريتان العظيمتان، (فارس وبيزنطة)، دخلتا في صراع حربيّ مرير من أجل السيطرة على الطرق التجاريّة، وأهم الطرق التي كان ينشب حولها الصراع هي:

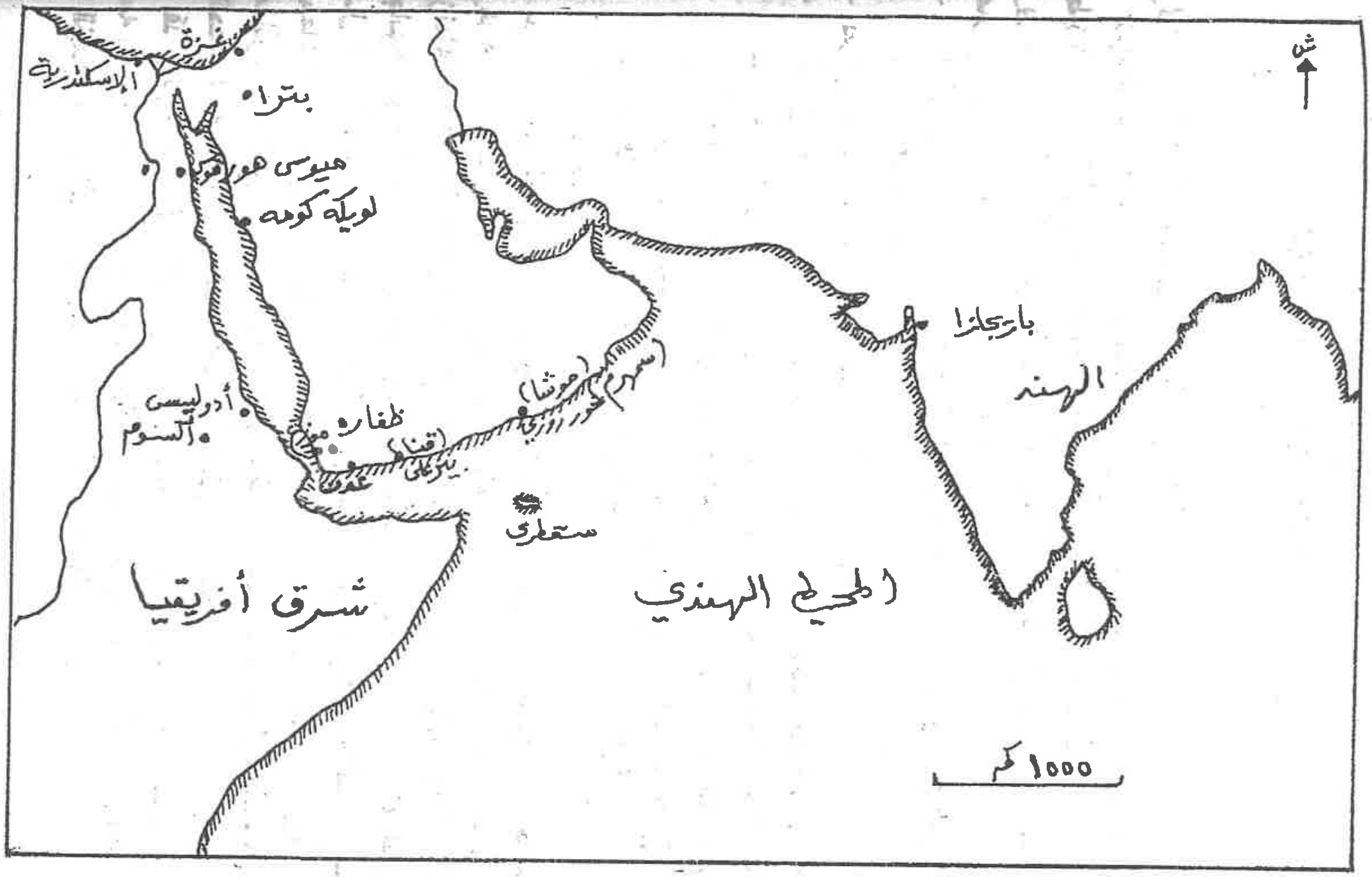
- الطريق القادمة من المحيط الهندي وسواحله عبر الخليج العربيّ إلى الفرات فبادية الشام.
- طريق البحر الأحمر المتّجه صوب فلسطين ومصر.
- طريق القوافل البريّ في شبه الجزيرة العربيّة، فكانت (بيزنطة) تعمل كل ما بوسعها لتعزيز موقفها بين النهرين، وكان الفرس بالمقابل يتطلّعون برغبة عارمة للسيطرة على (سوريا) و(مصر)، أي السيطرة على الطريق البريّ القادم من جنوب شبه الجزيرة العربيّة، وقد نتج عن ذلك الصراع الحربيّ، أضرار فادحة في الاقتصاد العالميّ، فتضرّرت بفعله التجارة تضرّراً بالغاً (أنظر خريطة رقم 20).

لم تكن شبه الجزيرة العربية بمنأى عن تلك الصراعات التي اتخذت في جوهرها بعداً سياسياً واقتصادياً، وفي شكلها بعداً دينيّاً[1]، عندما حاولت كل من (بيزنطة) و(فارس) خلق حلفاء لها يكونون بمثابة واجهة قويّة، ودرعاً عازلاً لمجابهة القوة الأخرى، وكان هؤلاء الحلفاء من العرب البدو، وأشباه البدو في شمال شبه الجزيرة العربية، وارتبطت كل منهما مع هؤلاء الحلفاء بالأحلاف والمعاهدات وأمدّتهما بالسلاح والنفوذ والمال والحماية السيّاسيّة، فبرزت دولتا (المناذرة) في الشرق، و(الغساسنة) في الغرب، اللتان حلّتا محل دولة (تدمر) و(الحضر) وقد كانت مهمتهما عسكريّة أكثر منها تجارية[2].

لقد وفّق (الفرس) بملك على (الحيرة) هو: (المنذر الثالث بن النعمان) الذي بدأ حكمه سنة (506 – 553 م)، وكان بمثابة رأس الحربة التي شغلت (بيزنطة) فترة من الزمن، كما حظيت (بيزنطة) أيضاً، بقائد لا يقل قوة هو:

1-Rodinson , Maxime: Mohamet ,(3eme) edition du Seuil , Paris 1974, P. 47.

2- سحّاب: المرجع السابق، ص 99 –106.



خارطة رقم (20) الموقع الاستراتيجي لليمن

الحارث بن جبله" الذي ملك (غسان) سنة (528 – 556 م)[1].
وكانت كل إمبراطورية تعمل ما في وسعها لضرب الإمبراطورية الأخرى، من خلال تدمير تجارتها الدوليّة، ويتم ذلك بواسطة حلفائها من العرب (المناذرة) و(الغساسنة)، وكانت مهمتها التحرّش بالخصم من حين إلى أخر، إلاّ أنّ القائدين العربيّين اكتسبا من الثقة والنفوذ ما جعلهما يميلان إلى الاستقلال من تلك التبعيّة، من خلال المعارضة أحياناً في تنفيذ ما يطلب منهما من أعمال عسكريّة، فبدأت الخلافات تنشب بين الملوك "الفرس" وملوك (الحيرة)، وبين "بيزنطة" و ملوك "الغساسنة"[2].

في خضّم تلك الأجواء الدوليّة، نجد الظروف مهيأة لامتداد ذلك الصراع إلى جنوب شبه الجزيرة العربيّة (اليمن القديم)، فاليمن يتحكم بطريقين من تلك الطرق التي يتمحور حولها الصراع، خاصة وأن طريق (العراق) قد تعذر استخدامه بسبب الحرب الناشبة بين (فارس وبيزنطة)، فتصويب الأنظار نحو اليمن شيء حتميّ، ويبقى السؤال أي من الإمبراطوريتين سبّاقة بالاستحواذ على تلك المنطقة ؟ فالمسافة الجغرافيّة بين بيزنطة واليمن شاسعة، وهذا يعيق تحقيق هدفها بالسيطرة على جنوب شبه الجزيرة العربيّة، خاصة وأنّ لروما تجربة فاشلة في ذلك المضمار؛ وليس أمامها من سبيل سوى البحث عن حليف يقوم مقامها بتلك المهمة، ويعتبر الغساسنة أقدم حلفاء لها في شمال شبه الجزيرة، فهل وكلت اليهم تلك المهمة؟ فالأولى بها أنّ تلمّح لذلك الحليف برغبتها في إخضاع المنطقة الجنوبيّة من شبه الجزيرة العربيّة لنفوذها، وإذا تحقق لها ذلك تكون قد ضمنت الطريق البريّ من جنوبه إلى شماله، لكن الغساسنة فيما يبدو لم يعّدوا تلك العجينة السهلة التشكيل، فقد قوى عودهم، وأصبح ملوكهم يمتلكون من النفوذ ما يجعلهم يأبون القيام بمثل تلك المهمة[3]، فروابط الدم بين الغساسنة واليمنيّين لها جذور تاريخيّة، لهذا لم يطاوعوا البيزنطيين في تحقيق تلك الرغبة، فليس أمام بيزنطة إلاّ البحث عن سبيل أخر للوصول إلى تلك البقاع، فوجدت في العقيدة الدينيّة مبتغاها، عندما عزّزت تحالفها مع الأحباش مستخدمة الديانة المسيحيّة، التي اعتنقها الأحباش، وسيلة لتحقيق تلك الغاية المنشودة[4].
أمّا الفرس فكانوا يفضّلون التعامل مع اليهود، والمذاهب الدينيّة المناهضة

1 – فيليب حتّي: "تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين"، المناذرة ص 109 أنظر أيضاً: نولدكه ثيودور: "أمراء غسان من آل جفنة"، ترجمة د. بندلي جوزي وقسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت 1933م.
2 – سحّاب: المرجع السابق، ص 106 – 107.
3 – المرجع نفسه.
4 ولفنسون: المرجع السابق، ص 259 – 260.

للروم مثل (النسطوريّة)، للتحريض ضد بيزنطة وتأجيج المعارضة عليها، ويتحيّنون الفرصة الملائمة لمدّ نفوذهم إلى ذلك الجزء البعيد من شبه الجزيرة العربيّة.

ثانياً: الأحوال الداخليّة لليمن في القرن السادس الميلاديّ

عاشت الدولة المركزيّة في اليمن أوج ازدهارها في القرن الخامس الميلاديّ، حيث نجد نفوذها قد امتدّ إلى وسط شبه الجزيرة العربيّة، ولكن منذ النصف الأخير من هذا القرن، بدأت بوادر الإضمحلال تدبّ في أوصالها، والسبب الرئيسيّ في ذلك: أ- الصراعات الداخلية التي برزت بين الأقيال للاستحواذ بالزعامة السياسيّة -فلا غرابة في ذلك- فالأقيال كانوا قوام الجيش الحميريّ، ومصدر قوته النافذة إلى شمال شبه الجزيرة العربيّة، كما أنّ تلك الانتصارات التي حققوها للدولة المركزيّة، خلقت منهم كياناً له كل الحق في إبداء المشورة واتخاذ القرار، ويظهر أن هناك من المواقف المصيريّة التي لم يتم حولها الأتفاق، فكانت سبباً مباشراً لذلك الشقاق الذي بدأ ينخر جسم الدولة المركزيّة. وأبرز هؤلاء الأقيال في ذلك العصر هم: اليزنيّون -الجدنيون. ب- بروز ملامح الأطماع الأجنبيّة، تلك الأطماع التي أفرزتها الظروف العالميّة، وكانت الدول العظمى حينها تبحث عن فرصة ملائمة للتّدخل في الشؤون الداخلية لليمن عندما اتخذت من العقيدة الدينيّة وسيلة مضمونة لتمرير أهدافها الاستعماريّة. ج- الانتفاضات التي قادتها القبائل المعدية- النجدية على التواجد الحميري في شمال شبه لجزيرة العربيّة، والهزائم الّتي تكبّدتها القوات الحميرية. كل تلك العوامل كانت سبباً في ضعف الدولة المركزيّة في اليمن.

وفي مطلع القرن السادس الميلاديّ، نجد على عرش الدولة الحميريّة ملكا يحمل اللقب الطويل "ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود والتهائم"، كان يسمّى (معدي كرب يعفر) جاء ذكره في نقش (RES 4069) والذي يعود تاريخه لعام (515م) تقريبا، وكذلك في نقش (Ry 510)، والذي يعود تاريخه لعام (516 م). يتحدث النقش عن الملك (معدي كرب) ملك حمير، الذي قام بحملة عسكريّة بناءً على طلب قبيلة (كندة) التابعة لدولته، بعد أن تعرّضت لهجوم من قبل (المنذر الثالث). لذلك الغرض، قاد الملك (معدي كرب) حملته ضد (المنذر)، ووصلت قواته إلى منطقة أطلق عليها في النقوش اسم (سهل قتع)*، ويوضّح النقش عدد القوات التي حشدها ذلك الملك ضد عدوه، وقد شاركت في تلك الحملة قوات من (سبأ وحمير والرحبة) "ر ح ب ت ن" وحضرموت وأعرابهم كندة ومذحج، والقبائل البدويّة الخاضعة لحمير)، وقد نوّه النقش إلى قبيلة (بنو ثعلبة)

* سهل قتع: سهل يقع بالقرب من وادي (مأسل الجمح) موضع سبق تحديده.

القبيلة العربيّة المعروفة باسم (ثعلبة بن عقبة بن بكر)، التي لم تخضع للدولة الحميريّة، ولكن كانت لها أواصر وصلات قويّة مع (الكنديّين) فوقفت كحليف لمعدي كرب)، أمّا نتائج تلك الحملة فتتلخص في أن (المنذر) في نهاية المطاف أبرم اتفاقية سلام مع الملك الحميري (معدي كرب) وقبل بدفع الجزيّة أيضاً[1].

ومن الملاحظ أن النقش لم يحمل أيّة صيغة دينيّة، إلاّ أنّ هناك من المصادر السريانيّة، ما تشير إلى أنّ (معدي كرب) قد اعتنق الديانة المسيحيّة، وقد أوصله نصارى (نجران) إلى العرش، ومنذ تلك الفترة اقترنت الديانة المسيحيّة في اليمن بالنفوذ الحبشي – البيزنطي[2].

وتضيف تلك المصادر إلى أن الديانات المسيحيّة منذ عهد الملك (معدي كرب) وجدت سبيلاً للانتشار، فبنيت الكنائس في (نجران) و(ظفار) و(مأرب) و(حضرموت)، وأصبحت (نجران) كرسياً أسقفياً، ومركزاً تجارياً هاماً يضاهي (يثرب) مركز اليهوديّة في شبه الجزيرة العربيّة[3].

إذاً فقد اعتنق الملك (معدي كرب)، ديانة مغايرة للديانة اليهوديّة السائدة آنذاك في اليمن منذ قرن من الزمان. فكيف – يا ترى تم ذلك التغيير؟ وما هي المستجدات التي شهدتها المنطقة آنذاك ؟ سنجيب على هذه الاستفسارات في الفصل القادم.

---

1 – لوندن أ. ج: "اليمن إبّان القرن السادس الميلادي"، ترجمة: محمد علي البحر، (الحلقة الأولى)، "مجلة الإكليل"، العددان الثالث والرابع، (1409 – 1988) ص 13.

2 – سحّاب: المرجع السابق، ص 127.

3 – الصلوي: الأخدود، ص 55 – 56، أنظر أيضاً: بتروفسكي، م. ب: "اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، القرن الرابع حتى القرن العاشر"، تعريف: محمد الشعيبي، دار العودة، بيروت 1978، ص 76.

[illegible]

الفصل الثاني

يوسف أسارٍيثار ملك كل الشعوب

507)
نواس
عن ذ
اللقب
حوالي
لبيزنا
و
خلفه
أيضاً
عن (
إليها
اليهود
(ملك
تؤكد
من ج
ويذكر
المتو
(معد)
واحد
يوسف
(الشعر
التمييز
وقبائل
فبـ
وأخذ
الحبشـ

1- باقر
2- ابن
تحقيـ
م، د
3- سور

جاء بعد الملك (معدي كرب) (517 م)، الملك "يوسف أسأر يثار"، (Ry 508,507) الملك الذي لقّب نفسه "بملك كل الشعوب"، وأطلق عليه الإخباريون (ذا نواس)، لقد تخلّى "يوسف" عن اللقب الطويل المعروف لدى ملوك حمير، وتخلّيه عن ذلك اللقب يوحي بأكثر من احتمال، حيث يرى بعض المؤرخين أن سبب تخلّيه عن ذلك اللقب يعود إلى أنّه لا ينتمي للأسرة المالكة، وأنّه وصل إلى الحكم نتيجة انقلاب قام به في حوالي عام (517 م)، قضى خلاله على سلفه (معدي كرب)، الذي انتهج سياسة موالية لبيزنطة، بعد أن جمع حوله القبائل القويّة، والتي كان من أبرزها "بني ذي يزن" [1].

ويرى فريق أخر، أنّه يّنحدر من أسرة الملك النصراني "معدي كرب"، بل وكان خلفه في الحكم بعد موته، ولم يثر عليه أو يسلب منه السلطة، فقد كان نصرانياً أيضاً في بداية عهده. ما جاء به هذا الفريق يؤكد قول "محمد بن حبيب البغدادي" عن (يوسف) أو (ذي نواس) حيث يقول: "وملك بعده ثم تهوّد ودان باليهوديّة ودعا الناس إليها" [2] أي أنّه اعتلى العرش وهو يدين بالنصرانية، ولعله بعد أن اعتنق الديانة اليهوديّة أطلق على نفسه اسم (يوسف)، أمّا سبب تخلّيه عن اللقب الطويل، واكتفائه بلقب (ملك كل الشعوب) فيعود -في اعتقادنا- لما يحتويه اللقب الأخير من شمولية تؤكد سعة النفوذ السياسي الذي حظي به، فكان يضم تحت سلطانه كل المنطقة من جنوبها إلى شمالها، حتى قلب شبه الجزيرة العربيّة، بكل بدوها وحضرها. ويذكّرنا هذا اللقب، باللقب الذي تحلّى به الملك (امرؤ القيس بن عمر اللخمي) المتوفى عام (328م) فقد لقّب (بملك كل العرب) بعد أن شمل سلطانه كل قبائل (معد) و (نزار) و (الإزد)، في شمال ووسط شبه الجزيرة العربية، فالتسميّة واحدة، اللهم الاختلاف في كلمة (عرب) عند "امرئ القيس" وكلمة "شعوب" عند "يوسف أسأر"، وهذا أمر طبيعي، فالأعراب في النقوش تعني: القبائل البدوية، أمّا (الشعوب) فتعني: القبائل المستقرة والمتحضرة، وقد أكد القرآن الكريم ذلك التمييز بقوله تعالى: "يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ..." [3]

فبعد أن تهوّد الملك الحميري (يوسف)، انتهج سياسة مغايرة لسياسة سلفه، وأخذ يؤلّب القبائل ويجمع شملها، استعداداً لتحرير المناطق اليمنيّة من النفوذ الحبشي والمصالح البيزنطية، فاستخدم القوة والشدة في معاملته مع التجار

1- بافقيه: موجز تاريخ اليمن ...، ص 62.

2- ابن حبيب البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية بن عمر الهاشمي (ت 245 هـ): "المحبّر"، تحقيق: ايلزة ليختن شتيتر، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، 1361 هـ = 1942 م، ص 368.

3- سورة الحجرات، آية رقم (13).

المسيحيين وحلفاء الأحباش، والقبائل اليمنيّة الموالية لهم، كقبائل (عك) و (الأشاعر) بتهامة، وبسبب تلك السياسة قلّ تعامل التّجار البيزنطيين مع الموانئ اليمنيّة وتضرر كثير من اليمنيين تضرراً اقتصادياً كبيراً، وخاصة من ارتبطت مصالحهم بتلك التجارة، وأبرز البؤر المسيحيّة التي ظلّت تناصب الملك الجديد عداءها وهي أولاً: نجران: المركز التجاريّ والديني، وملتقى الطرق التجاريّة التي تنطلق من (نجران) إلى الخليج العربيّ عبر وادي (الدواسر) و(اليمامة) و(البحرين)، وعبر(نجران) تأتي الطريق القادمة من (صنعاء)، و (مأرب)، و(الجوف) والمتّجهة إلى (الشام)، وفي (نجران) توجد جاليات مسيحيّة متمركزة حول بيت العبادة الذي سمّي بكعبة (نجران).

ثانياً: ظفار: العاصمة الحميريّة والتي سبق وأن احتلها الأحباش وطردهم الملك الحميري (ملكي كرب يهأمن)، إلاّ أنهم عادوا في وقت متأخر في عهد (معدي كرب) بحجة التبشير بالنصرانيّة وحماية كنائسها.

ثالثاً: المناطق الساحليّة الغربيّة (المناطق التهاميّة) وتقطنها أهم القبائل الموالية للأحباش وهم: (الأشاعر) و (الركب) و (عك) و (فرسان) والواقعة أراضيهم على امتداد الساحل المقابل للحبشة، وقد تمكّن الأحباش منذ القرن الأول الميلادي، من إيجاد موطأ قدم لهم في ذلك الإقليم الساحليّ، وظلّت تلك القبائل وفيّة لهم بحكم مصالحها الاقتصاديّة، وبحكم الجوار الجغرافيّ، خاصة وأنّ الأحباش امتزجوا بسكان ذلك الإقليم لقرون لا يستهان بها، كما أسسوا لهم مستوطنات وبنوا فيها الكنائس، ومن هنا كانوا ينطلقون إلى المناطق الداخليّة كلما سنحت لهم الفرصة بذلك.

لقد كان لسياسة العداء التي أنتهجها (يوسف) ضدهم رد فعل قوي، عندما لجأ المتضررون من تلك السياسة (البيزنطية) لمساعدتهم في وضع حد لتلك المعاملة[1]. فوجّهت (بيزنطة) نظرها صوب (الحبشة)، التي وجدت في تلك الدعوة سبيلاً لتحقيق حلم طال انتظاره، فرحّبت بالفكرة دون تردد.

1- ابن كثير الدمشقي، الحافظ بن كثير: "البداية والنهاية"، جـ 1، بيروت 1966، ص 169.

الفصل الثالث

الغزو الحبشي لليمن

أولاً : الحملة الحبشيّة الأولى على اليمن.

ثانياً : الإعداد للحملة الحبشيّة الثانيّة.

ثالثاً : الأوضاع الداخلية في اليمن قبيل الحملة الحبشيّة الثانيّة.

رابعاً : تنفيذ الحملة وانهزام القوات اليمنيّة.

خامساً: أسباب الهزيمة.

أولاً: الـ
تجمـ
غزوتين
الأولى هـ
وقد
وتتفق فـ
للنصارى
ويذكر
نصارى
ثعلبان) ·
اكثر ممّا
فسار حتـ
أهل (نجر
إلاّ الشري
ساءه، فـ
ويضيف
أرسل إليـ
فاطمأنوا
يوم كذا فـ
القليل."[2]
أمّا رو
الشيء فـ
لقد أو
هذه الحما
العظمى آ
وطرقها ا
العالم القد

1 – الصلو
2 – العسكر
صحاب، جـ
3 – الطّبري
المعارف بمـ

أولاً: الحملة الحبشيّة الأولى على اليمن

تجمع المصادر النقشيّة، والسريانيّة، والعربيّة، على أنّ "الحبشة"، شنّت غزوتين عسكريتين على اليمن، في الربع الأوّل من القرن السادس الميلاديّ، الأولى حدثت عام (518 م)، والثانيّة: تمت عام(525 م)[1].

وقد أظهرت المصادر العربيّة، ذرائع للتدخل الحبشيّ، تختلف في تفاصيلها، وتتفق في جوهرها، حيث تورد أنّ اضطهاد ملك حمير -اليهوديّ العقيدة- للنصارى كان سبباً رئيسياً لذلك التّدخل.

ويذكر (أبو هلال العسكري)، أن الشرارة الأولى التي فجّرت الموقف، كانت قتل نصارى نجران لأبناء رجل يهوديّ يدعى (دوساً) حيث يقول: "كان (لدوس بن ثعلبان) -يهودي من نجران- ضيعة يخرج بنوه إليها ليلاً، فيجرّون فيها الماء أكثر ممّا يخصّها فأجمعت نصارى (نجران) فقتلوهم، وطلبوا أباهم دوساً فاعجزهم فسار حتى قدم إلى (ذي نواس)، وكان قد تهوّد فشكا إليه ما أصيب به، فخرج إلى أهل (نجران) وحاصرهم، ثم عاهدهم، فلمّا تمكّن منهم أوقع فيهم فلم ينج منهم إلاّ الشريد، فلحق بعضهم بالنجاشي ومعه الإنجيل قد أحرق أكثره، فلما شاهده ساءه، فكاتب ملك الروم بذلك، واستدعى منه سفناً يحمل فيها الرجال إلى اليمن. ويضيف: "وبلغ ذاك "ذا نواس" فصنع مفاتيح كثيرة فلما دنا منه جيش الحبشة أرسل إليهم بها وقال: "هذه مفاتيح كثيرة خذوا المال والأرض وأنا طوع لكم، فاطمأنوا وتفرقوا في المخاليف، فأرسل (ذا نواس) إلى المقاولة "الأقيال"، إذا كان يوم كذا فاذبحوا كل ثور أسود فيكم، فعملوا ما أراد، وقتلوهم، ولم يبق منهم إلاّ القليل."[2]

أمّا رواية (الطبريّ) فتتفق مع هذه الرواية في جوهرها، وأن اختلفت بعض الشيء في تفاصيلها[3].

لقد أوردت المصادر العربيّة الذريعة الشكليّة للغزو، ولم تشر إلى حقيقة وأبعاد هذه الحملة، التي تخدم في جوهرها مخططاً دولياً خطيراً، كانت ترسم له الدوّل العظمى آنذاك (فارس وبيزنطة)، والتي عاشت قروناً في حروب من أجل التجارة وطرقها الدوليّة، وكان اليمن القديم حينها مركزاً تجارياً هاماً يتحكم في اقتصاديات العالم القديم، وذلك من خلال تحكّمه بأهم الطرق التجاريّة.

---

1 – الصلويّ: الأخدود، ص 51 .

2 – العسكريّ: أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل: " الأوائل "، تحقيق: محمد المصري ووليد قصاب، جـ 1، بلا تاريخ، ص 28 – 29.

3 – الطّبريّ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير: "تاريخ الرسل والملوك" جـ 2، دائرة المعارف بمصر (1966)، ص123.

في عام (517 م) نزلت القوّات الحبشيّة إلى ميناء (المخا) على البحر الأحمر، حيث لقيت الدعم من أصدقائها المسيحيين هناك، وسارت القوات الحبشيّة حتى وصلت (ظفاراً) العاصمة الحميريّة، وفرّ (يوسف) إلى الجبال ليستعيد قواه، أمّا النجاشي فقد أقام قرابة سبعة أشهر، وأثناء إقامته بنى العديد من الكنائس، وشجّع النصارى على العبادة الحرّة، كما أخضع البلاد للجزيّة، وترك حاميات حبشيّة لمساندة نائبه ولحراسة الكنائس، ثم عاد إلى الحبشة ومعه عدد من الأسرى والمناؤون لحكم الأحباش[1].

أمّا المصادر النقشيّة: (Ja 1028) (Ry 507 , 508) فقد زودتنا بمعلومات علميّة دقيقة عن ذلك الحدث، عندما تطرّقت -بشكل مفصّل- لسير قوات (يوسف) ومواجهته للأحباش، ونَدين بالفضل لقائده الفذ (شرحئيل يقبل اليزني)، الذي قام بتسجيل كل الانتصارات التي حققها سيده على الأحباش.

عاد (يوسف) بعد أن جمع قواه، فبدأ هجومه على (ظفار) العاصمة الحميريّة، وقتل الأحباش فيها، واستولى على الكنيسة وأحرقها، وقد لجأ إليها قرابة (280) من الأحباش، وبمجرد سيطرته على (ظفار) توجه لمحاربة (الأشاعر) لإخضاع سكان (تهامة) لسلطته، ثم اتجه إلى (شمير)* هدّم حصونها ومعاقلها، وبعد ذلك عاود هجومه على (الأشاعر)، ثم توجّه إلى ميناء (المخا). ويشير قائده (شرحئيل) إلى أنّه استولى عليها، وأباد سكانها وأحرق الكنيسة فيها، وبالاستيلاء على (المخا)، قطع الطريق على الإمدادات الحبشيّة التي قد ترسل إلى (الأشاعر) عن طريق البحر؛ فقد كان (يوسف) وقائده يهدفان من شن هجومهما على المدن الساحليّة، فرض سيطرتهما عليها، والحيلولة دون إنزال أيّة قوات حبشيّة جديدة تدعم القوات الموجودة في اليمن، وبالفعل تمكّن الملك الحميري من بسط سلطته على المنطقة بشكل كامل، وقد ورد في النقوش الخاصة بانتصارات (يوسف) أسماء مناطق ساحليّة أخرى خضعت لنفوذه مثل: (الركب)* ، و(رمع)، كما أشار إلى تحطيمه لقوات قبيلة (فرسان)، وبإخضاع ذلك الإقليم تنتهي المرحلة الأولى من الصراع. ويورد النقش نتائجها ب (13000) قتيل و (9500) أسير، و (280000) جمل

---

1 - ؛.Rodinson: op. - cit , pp. 52 - 53 أنظر أيضا :الصّلوي: الأخدود، ص 54.

* شمير : منطقة تهاميّة، تلي منطقة الأشاعر، غرب (تعز) أنظر: (الهمداني): الصفة، ص74،22، 78، وأنظر أيضا AL - Scheiba , Abdalla Hasan: "Die ortsnamen in den altsudarabischen Inschriften "(Mit dem versuch ihber Identifizieruing und Lokalisierung Inaugural Dissertation Zur Erlangung Der doktorwurde , Marburg / Lahn , 1982 , p. 37.

* الركب: منطقة تقع بالقرب من فرسان؛ جاء ذكرها عند (الهمداني) في كتابه: الصفحة: ص71، 74، أنظر أيضا: .AL - Scheiba: op. cit , p. 31

وماشية (Ry 508, 4-6)، أرقام هائلة تؤكد مدى أتساع الصراع وحدّته[1].

وبعد أن أخضع الملك الحميريّ (يوسف أسأر) الساحل الغربيّ، استلم (شرحئيل) أمراً من الملك بالتوجّه على رأس جزء من القوات إلى (نجران) لمحاصرتها، وأمر الملك (يوسف) ببناء القلاع والحصون على امتداد شاطئ (منبن) كما جاء في النقش وتعني: (المندب)، تحسباً لأي هجوم حبشيّ مباغت، ولحق بعد ذلك مع مَنْ بقي من جيشه بقائده (شرحئيل) إلى (نجوان)،(Ry508,6-9) فتغلّبت جيوشه على هذه المدينة، وأنزلت بسكانها خسائر فادحة في الأرواح والأموال، ووضعت الأغلال في أيدي الأسرى، وقتل من وجد هناك من الأحباش، وقد أشتركت في هذه الحرب إلى جانب الملك والقوات الحميريّة؛ قبائل (يزأن) و (مراد) و (خولان) و (همدان) بدوها وحضرها، وأخوته الأقيال (لحيعث يرخم) و (سميفع اشوع) و (شرحئيل أسعد) وقد دوّنت النّقوش الثلاثة الخاصة بهذا الحدث سنة (633) من التقويم الحميري، الموافق لسنة (518) للميلاد.

ويمكن الاستنتاج:- بأن قوات (شرحئيل) لم تواجه أيّة مقاومة على امتداد الطريق من (Ry508, 7-8)(Ry 507,10) (المخا) إلى (كوكبان) وحتى (نجران)، وتؤكد أسماء القبائل التي حاربت إلى جانب الملك الحميريّ، أنّ سطوته كانت قويّة وأنّ مؤيديه كانوا كثيرين، وربما وجدوا فيه المنقذ والخلاص من التبعيّة الحبشيّة، أمّا معارضوه فكانوا محدودين، يتمركزون في مناطق -سبق وأن أشرنا إليها- لها ارتباط قوي بالمصالح الاقتصاديّة الحبشيّة والبيزنطيّة[2] مثل:

1- (ظفار) العاصمة الحميريّة، حيث يوجد الأحباش فيها منذ زمن بعيد بحجة التبشير بالنصرانيّة، وحماية كنائسها، وقد كسبوا ود زعمائها.

2- المناطق الساحليّة مثل: (الركب) و (فرسان) و (المخا) و(الأشاعر)، جميعها مناطق وجد فيها الأحباش منذ القرون الأولى للميلاد، وبنوا لهم فيها مستوطنات دائمة.

3- نجران: مركز تجاريّ، وصناعيّ هام، يقع على طريق القوافل، وقد اتخذ النصارى من نجران معقلاً لهم يضاهي (يثرب)، مركز اليهود الهام في شبه الجزيرة العربيّة، كما يروي (ابْن حبيب): إن عبدة الأوثان كان لهم صنم في

1- راجع نقش الملك الحميري (يوسف أسأر) الخاصة بتتبع النصارى والأحباش (Ry 507 ,508) (Ja 1028)، وقد تناول دراسة تلك النصوص كل من: إبراهيم الصلوي في رسالته (قصة أصحاب الأخدود)، ص 21 - 22، و أ. ج. لوندن في موضوعه: "اليمن أبان القرن السادس الميلادي" (الحلقة الأولى)؛ ص 24، ومطهر الإرياني في: نقوش مسندية، ص 373 و أيضا :- Rodinson: op. - cit , p. 53 .

2- الصلوي: الأخدود، ص 24.

(نجران)، بل أنّ (نجران) كانت أيضاً من المستوطنات التي نزل فيها اليهود، فعاشوا فيها مع غيرهم من نصارى وعبدة أوثان[1].

وتشير المصادر السريانيّة، إلى أنّ هناك مفاوضات تمّت بين (شرحئيل) وأهل (نجران) قبل بدء الصراع المسلّح، وكان لهذه المفاوضات أثر في الموقف السلبيّ للحامية الحبشيّة المتمركزة في (نجران)، فبعد تلك المفاوضات، وافق وجهاء (نجران) على تقديم الرهائن للقائد (شرحئيل)، وربما كانت تلك سياسة تكتيكيّة لجأ إليها القائد، من قبيل كسب الوقت، والحيلولة دون القيام بأي هجوم قد تشنه الحامية الحبشيّة في (نجران) فهدف الملك (يوسف) الجوهري كما سيتضح لاحقاً، هو: دكّ بؤرة النصارى الموالين للأحباش[2] وتم له ذلك في خريف عام (518 م) وقد تحدّثت المصادر السريانيّة، والعربيّة والإسلاميّة بشكل مفصّل عن احتلال (نجران) وملاحقة النصارى وقتلهم، تلك المقتلة الكبرى التي اشتهرت في كتب التاريخ الإسلامي باسم "وقعة الأخدود"[3].

ويمكن أن نستنتج أيضاً: أن الهدف الرئيسي (ليوسف) من وراء تلك الأعمال العدائيّة التي انتهجها ضد النصارى المرتبطين أساساً بالأحباش، لم يكن هدفاً سياسياً فحسب؛ بل اقتصادياً بالدرجة الأولى، فقد كان (يوسف) يسعى للقضاء على الأوساط المرتبطة ارتباطاً مباشراً بالأحباش ومن ثم بالتجارة البيزنطيّة أو الموالية لها، فبعد أن حقق مهمته في (نجران) غادر المدينة تاركاً قائده (شرحئيل).

فالسؤال الذي يبرز هو: لماذا لم تبعث الحبشة بأية إمدادات عسكرية إلى نجران؟

يبدو لنا وكما مرّ علينا سابقاً في النقش (Ja 1028) أنّ الملك الحميريّ قد استعد لمثل ذلك الرد، فأمر ببناء القلاع والحصون على طول المدن الساحليّة الاستراتيجية، كما أن الوقت الذي نفّذ فيه عمليته -نهاية عام (518م)- كان ملائماً؛ إذ كان وقتاً يستحيل أن تتحرك فيه أية إمدادات بحريّة من الحبشة، بسبب هبوب الرياح، لهذا نجد (نجران) تخضع وتستكين، بعد الهزيمة، بعدما يستتب الهدوء في كل مقاطعات الدولة الحميريّة. ويبدو أن (يوسف) بدأ في البحث عن حليف يمكن الاعتماد عليه عند الضرورة، فوجه نظرة صوب (فارس) العدو التاريخي (للبيزنطة) مستغلاً الأحوال المضطربة بينهما.

1- ابن حبيب، "المحبّر"، ص 317.

2- يرى (لوندن) أن النقش: (Ry 507) قد نوّه لتلك المفاوضات في السطر السادس، بما معناه: أن الملك أرسل مرة ثانية إلى منطقة (نجران)، ليطلب منهم الرهائن. لوندن: "اليمن أبّان القرن السادس"، (الحلقة الأولى)، ص 24، هامش رقم (82).

3- سحّاب: المرجع السابق، ص 133، عن: Shahid Irfan: " The Martyrs of Najran" , New Documents , Socitete des Bollandistes , Bruxelles , 1971

ثانياً: الإعداد للحملة الحبشيّة الثانيّة

لم تحدثنا المصادر النّقشيّة، ولا السّريانيّة ولا العربيّة الإسلاميّة، عن الأوضاع السياسيّة، التي شهدتها اليمن بعد انتصارات (يوسف أسار) منذ (518م) وحتى عام (525م)، وقد يعود ذلك لغياب الأحداث السياسيّة الكبيرة التي تستحق التوثيق.

ولذلك يبرز استفسار بحاجة لإجابة شافية هو: لماذا لم يفكّر الأحباش في الانتقام خلال تلك الفترة، التي تقدّر بسبع سنوات تقريباً؟ بل انتظروا كل تلك الفترة للرد على ملك حمير؟

نظرة شاملة على الأوضاع الدوليّة في تلك الفترة تكفي للإجابة على هذا التساؤل. لقد كانت الحبشة في تلك الآونة تعيش صراعاً سياسياً حاداً، بين الأخوين (اكسوم) و (اولوس) من أجل السلطة، ولعل ذلك مبرر كافٍ، حال دون التفكير في مد يد المساعدة لحلفائهم في اليمن.

أمّا بيزنطة فهي الأخرى كانت تعيش حالة من عدم الاستقرار في سياستها الخارجيّة، وبالذات مع عدوها التاريخيّ (فارس) فعلاقتها معها تتسم بالسلام حيناً، وبالحروب حيناً آخر، وفي الوقت ذاته نجدها تترقب استقرار الأوضاع الداخليّة للحبشة لتعد العدة للانتقام[1].

بعد أن استقرت الأوضاع في الحبشة، وبدأت تلوح في الأفق بوادر سلام بين (بيزنطة) و (فارس)، أصبحت الأجواء ملائمة للتفكير في القيام بعمل عسكريّ كبير ضد اليمن وملكها المتهوّد.

بدأت بيزنطة والحبشة بالإعداد للغزو إعداداً عسكرياً وسياسياً ودبلوماسياً – وقد ذكر آنفاً– أنّ حماس بيزنطة للانتقام للنصارى، لم يكن دفاعاً عن العقيدة الدينيّة، ولكنه كان رغبة قويّة ملحّة للسيطرة على المسالك التجاريّة عبر البحر الأحمر، أي السيطرة على الجانب الغربيّ من شبه الجزيرة العربيّة، بعد أن اضطربت طريق (الفرات) المسيطرة "فارس" عليها. وستفقد بيزنطة مصالحها إذا ظلّ الطريق الغربيّ بيد ملك يهودي معادٍ لبيزنطة[2].

ولتحقيق تلك الغاية بدأت المساعي الدبلوماسيّة البيزنطيّة تنشط بصورة محمومة، فقد فكرت أولاً في البحث عن وسيلة للحيلولة دون مساعدة ملك الحيرة والفرس لملك اليمن، وانتهزت فرصة عقد مؤتمر (الرملة)*، المنعقد سنة(524م)، لتحقيق هذا الهدف. فقد أوفد إمبراطور بيزنطة (جستينيان الأوّل Justinian) سفيره (ابراهام Abraham) بن (افراسيوس Euphrasius)، خبيراً للشئون العربيّة للتفاوض مع

1- سحّاب: المرجع السابق، ص 131.

2 -المرجع نفسه، ص 131 - 132.

* الرملة: منطقة تقع جنوب شرق الحيرة.

(المنذر) ملك الحيرة، في شأن عقد صلح بين (بيزنطة) و (فارس).

أثناء انعقاد ذلك المؤتمر الذي حضره ممثلون عن ملك الفرس (قباذ)، حضر من اليمن وبالصدفة، مبعوث أرسله الملك الحميريّ (يوسف) ليبحث عن دعم يصد أي هجوم، حبشي -بيزنطي متوقع، والنظر في وضع المسيحيين الذين أصبحوا يشكّلون تهديداً قوياً لسياسة (يوسف) هذا إذا ما عرفنا حينها أنّ (الحيرة) كانت تصدّر إلى (نجران) وإلى شبه الجزيرة العربيّة المسيحيين النساطرة ثم اليعاقبة[1].

لقد استغلت الدبلوماسيّة البيزنطيّة ذلك الحدث، وأشاعت بأن الرسل التي جاءت من ملك اليمن تطلب من (المنذر) ومن ملك (فارس) اجتثاث المسيحيين من أراضيها، كما فعل بهم في اليمن، وكانت مثل تلك الدعاية كافية لإثارة مشاعر السخط بين المسيحيين، وكسب الرأي العام المسيحي بشكل عام. وبذلك حققت الدبلوماسيّة البيزنطيّة هدفها المرجو، خاصة عندما تخلّى (المنذر) وملك (فارس) عن مساعدة ملك اليمن، في الوقت الذي كان فيه (يوسف) بأمسّ الحاجة لمثل ذلك الدعم، بل كان يرى في (فارس) العدو التاريخيّ لبيزنطة، والسّند الدوليّ لسياسته. لكن بيزنطة تمكّنت من عزل الملك اليمنيّ عن القوى الوحيدة المؤثرة والتي كانت بالإمكان أن تسانده. وفي الوقت ذاته نجح المبعوث (البيزنطي) أيضا في أن يعقد معاهدة سلام مع (فارس)، كان ذلك في شهر فبراير من عام (524م)[2].

- الإعداد العسكريّ

حدثتنا المصادر العربيّة الإسلاميّة عن الإعداد البيزنطي -الحبشي، للحملة العسكريّة الثانيّة، وأنّ بيزنطة بأسطولها الحربيّ ساهمت في نقل جنود الأحباش عبر البحر الأحمر، من الضفّة الغربيّة إلى الضفّة الشرقية[3].

فقد استخدمت حوالي خمس عشرة سفينة من (إيلة) وعشرين من (القلزم)، وسبع من (يوتايه)، و أثنتين من (برنس) (جنوب الشاطئ المصريّ المطلّ على البحر الأحمر)، وسبع من (فرسان) جنوب البحر الأحمر، وتسع من (انديكه) (ارتيريا؟)، أي ما مجموعه ستون سفينة، وكان معظم تلك السفن بيزنطيّة، وبعضها استؤجر من بعض التّجار، أمّا النجاشي فقد أضاف إلى هذا الأسطول عشرين سفينة بناها خصّيصاً لهذه الحملة[4].

ثالثاً: الأوضاع الداخلية في اليمن قبيل الحملة الحبشيّة الثانيّة

بالرغم من غياب المصادر النقشيّة، التي تبحث الأوضاع في اليمن في هذه

---

1 -سحّاب: المرجع السابق، ص 133 – 134، أنظر أيضا: Rodinson: op. - cit , p. 53.

2 -المرجع نفسه، ص 135.

3 -الطبري : التاريخ، جـ 2، ص 123.

4- Rodinson: op. - cit , p. 53

المرحلة، إلاّ أننا ومن خلال الأحداث اللاحقة، نستطيع أن نرسم صورة عن الأحوال السياسيّة الداخليّة، التي كان يعيشها اليمن، فقد اتسمت تلك الفترة بالتفكّك والتمزّق، ممّا أتاح للأحباش فرصة ثمينة لتثبيت وجودهم في المناطق التهاميّة، والتي غدت منذ ذلك الوقت قاعدة لانطلاقهم صوب المناطق الداخليّة، ويرجّح بعض المؤرخين بأن هناك خلافاً خطيراً برز بين الملك الحميريّ (يوسف) وقادته العسكريين (اليزنيّين) ففي -اعتقادهم- أنّ هذه الفئة قد غدت بعد غزوات الملك الحميري، قوة لايستهان بها، حيث كان لها تأثير كبير على اتخاذ القرار السياسيّ، وبالقدر الذي كان لهم الفضل في تقوية الدولة المركزيّة واستتاب أمنها واستقرارها، قد يكونوا وراء إضعاف وتطويق نفوذها السياسيّ[1]. وعلى الرغم من غياب الدلائل القاطعة لذلك الاحتمال، إلاّ أننا لا نختلف على وجود أوضاع سياسيّة مضطربة بسبب السّياسة التي انتهجها الملك الحميري (يوسف)، والتي لم يرضَ عنها بعض الزعماء، وبالذات الفئات الأرستقراطية ذات المصالح الاقتصاديّة المرتبطة بالأحباش، وبالتالي بيزنطة، مثل ذلك التفكك والسخط الداخليّ، انعكس في عجز (يوسف) في جمع كلمة (حمير) عندما طلبهم لمواجهة الأحباش كقوة واحدة، وقد أكّد لنا (الطبريّ) هذا الخلاف حيث قال على لسان (ابن هشام): "لما سمع (ذو نواس) بوصول الأحباش كتب للمقاول أي (الأقيال) يدعوهم إلى مظاهرته، وأن يكون أمرهم في محاربة الحبشة ودفعهم من بلادهم كرجل واحد، فأبوا وقالوا ليقاتل كل رجل من مقولته" [2] (أي من ناحيته).

رابعاً: تنفيذ الحملة الحبشيّة الثانيّة وانهزام القوات اليمنيّة

أوردت بعض المصادر الإخباريّة العربيّة الإسلاميّة ذرائع شكليّة للغزوة الحبشيّة الثانية، يقول (الطبري): "إن رجلاً من أهل نجران خرج حتى قدم على ملك الحبشة وأتاه بالإنجيل وقد أحرقت النار بعضه، فقال له: عندي كثيرٌ من الرجال وليست عندي سفن، وأنا كاتب إلى القيصر ليبعث إليّ بسفن أحمل فيها الرجال، فكتب إلى قيصر في ذلك، وبعث إليه بالإنجيل المحروق، فبعث إليه قيصر بسفن كثيرة [3] وقد اتفقت المصادر العربيّة الأخرى مع ما جاء عند (الطبريّ). بالرغم ممّا يشوب تلك المصادر من خلط واضطراب وبُعْدٍ عن التمحيص، إلاّ أنّ الحقيقة التي لا خلاف حولها، هي أنّ الأحباش نفذوا بالفعل ما خططوا له بعد دراسة دقيقة ومساعدة فعليّة من بيزنطة، فقد أبحر أسطولها من ميناء (أدوليس)

1- بافقيه، محمد عبدالقادر: اليزنيون، ص97.
2- الطّبريّ: التاريخ، جـ 2، ص127.
3- المصدر نفسه، ص123.

في 18 مايو من عام (525م) حيث نزلت قواتها على الساحل الغربيّ لليمن، وأشارت المصادر الإخباريّة إلى أنّ عدد القوات الحبشيّة بلغ (15.000) مقاتل[1]، وقد واجه جنود الأحباش مقاومة عند نزولهم إلى الشاطئ، ولكن لم يكن ليوسف أسطولاً يحارب به العدو في البحر قبل إن يصل إلى البر.

وتجمع المصادر، على أنّ الملك الحميريّ، عندما شعر بعجزه أمام جحافل الأحباش انسحب إلى الجبال ليتحصن بها، وليدعم قواته، وبالفعل جمع بعض القوات وتحقق له نصر مؤقت[2]. ولما بلغ نجاشي الحبشة ما حلّ بعساكره في اليمن على يد الملك الحميريّ، أرسل حملة عسكريّة أخرى لتعزيز القوة الأولى، فخاضت تلك القوة معارك ضارية مع الجيوش اليمنيّة، التي يبدو أنّها عجزت عن صد الهجوم. بعد معارك ضاريّة أشارت إليها النقوش وبالذات نقش (حصن الغراب)(RES621)، سجّله القادة العسكريون للملك الحميري "سميفع أشوع وشرحئيل يقبل، ومعدي كرب يعفر بن لحيعث يرخم الكلاعيين -اليزنيين- الجدنيين"، وقد سطّروا هذا النقش في حصن (ماوية) (حصن الغراب) حالياً، بعد أن رمّموا أسواره وبابه وصهاريجه والطريق المؤدية اليه، وتحصّنوا بعد أن تقهقروا من أرض (حبشت) ووجدوا الأحباش زرافات بأرض حمير، فتلوا حينها الملك الحميريّ وأقياله الحميريين والأرحبيين".

أمّا المصادر العربيّة فترسم صورة مقتل الملك الحميريّ كالتالي: عندما خسر (ذو نواس) المعركة فضّل الموت على عار الأسر ورمى بنفسه من حصانه في البحر، وملكت الحبشة اليمن[3].

خامساً: أسباب الهزيمة

لقد هزمت القوات اليمنيّة بزعامة ملكها (يوسف) لأسباب نوجزها في ما هو آت:

1- عدم تكافؤ القوتين الحبشية -البيزنطيّة واليمنيّة، وقد مرّ بنا، كيف أعدت بيزنطة والحبشة لهذا الهجوم عسكرياً وسياسياً ودبلوماسياً، وحشدت ما يزيد على ستين سفينة، وما يزيد على (15.000) مقاتل.
2- خذلان ملك الحيرة والفرس للملك (الحميريّ) عندما طلب نجدتهم، فلم ينجدوه بعد أن عقدوا صلحاً مع بيزنطة وعاد رسول (يوسف) من الحيرة خائباً.
3- اتسمت الأوضاع الداخليّة لليمن بالتردي، وما وصل إليه جسم الدولة

1- حوراني، المرجع السابق، ص151.

2- الصّلويّ: الأخدود، ص 51.

3- ابن سعيد الأندلس، "نشوة الطرب"، ص156 أبو هلال العسكري: "الأوائل": جـ1، ص29؛ ابن حبيب: "المحبّر"، ص 368، ابن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، ج2، ص169.

المركزيّة اليمنيّة من تمزّق، فلم يتمكّن (يوسف) من جمع كلمـــة (حمــير) وفضّلوا القتال بشكل انفرادي كل من مقولته.

أمام تلك العوامل يبدو واضحاً أنّ الملك الحميريّ، لم يتمكّن من صد الــهجوم، فالمقاومة اليمنيّة لم تكن قويّة، فانتصر الأحبــاش بســهولة، فــالخذلان انتــاب (يوسف) من قومه وممّن كان يعتقد أنهم سيساندونه، هذا الإحباط الــذي عاشــه ملك حمير، أكّدته المأثورات العربيّة الإسلاميّة من أنّه أغرق نفســه فــي البحــر يائساً، بعد أن رأى خسران المقاومة التي حاول جاهداً تنظيمها.

الفصل الرابع

اليمن تحت السيادة الحبشيّة

أولاً: النجاشي (إلاّ اصبحه) في اليمن.

ثانياً: سميفع أشوع ملك صوريٍّ.

ثالثاً: استيلاء أبرهة على حكم اليمن.

رابعاً: السياسة الداخليّة لأبرهة.

أولاً: ال
بعد
يسمى أ
أشهر، ا
- تقد
الذ
- عي
خا
- ترا
بعد تلك
الأ

ثانياً: س
ذكر
الحميري
النجاشي
فرضي ب
أمّا ا
قلعة (ما
وقد أ
(H 621)
(S 3904)
بعمل (س
بالذات-

1 -الصلو
لوندن:
الإكليل
• بروكيبو
(wars)
القرن
2 -جواد
dewing

أولاً: النجاشي (إلاّ اصبحه) في اليمن

بعد انتصار القوات الحبشيّة، توجه النجاشي (الاّ اصبحه) أو (كـــالب) كمـــا يسمى أيضاً، إلى (صنعاء) واستولى عليها بسهولة، حيث أقام فيها قرابة ســـبعة أشهر، ولتثبيت وتدعيم سيطرته قام بعدة إجراءات منها:

- تقديم الدّعم لمسيحي اليمن، فأعاد بناء الكنائس، ونصب كهنة من القساوسة الذين حضروا مع الأحباش.
- عين ملكاً يمنياً من السلالة اليزنيّة وهو (سميفع أشـــوع) حاكمـــاً صوريـــاً خاضعاً للأحباش، وترك لديه وجهاء من الأحباش بهدف حمايته.
- ترك أعداداً كبيرة من القوات الحبشيّة. وأخضع سكان اليمن لنظام الأتاوات.

بعد تلك الإجراءات غادرت القوات الحبشيّة اليمن محمّلة بالغنائم، وبـــأعداد مـــن الأسرى من بينهم (50) فرداً من الأسرة الحميريّة المالكة[1].

ثانياً: سميفع أشوع ملك صوري

ذكر (بروكوبيوس Procopius)*: "ان الذي حكم حمـــيراً بعـــد مقتـــل ملكـــهم الحميري هو رجل إسمه (E simiphaeus) (Esimiphaios) الســـميفع، اختـــاره النجاشي من نصارى حمير ليكون ملكاً، على أن يدفع إلى الأحباش جزية ســـنويّة فرضي بذلك وحكم."[2]

أمّا المصادر النّقشيّة، فتحدثنا عن القيل اليزنيّ "سميفع أشوع" الذي تحصّن في قلعة (ماويّة) على ميناء (قنا) أثناء الهجوم الحبشي-كما سبق وأن شرحنا ذلك-.

وقد أجمع المؤرخون على أن "سميفع أشوع" صاحب نقش (حصـــن ماويـــة) (CIH 621)؛ هو نفسه القيل الذي تولى حكم اليمن في ظـــل الاحتـــلال الحبشـــيّ (RES 3904)، فإذا صحّ ذلك فستبرز أمامنا جملة من التساؤلات، منها: ماذا كـــان يعمل (سميفع أشوع) وأولاده وأتباعه بالحبشة؟ ولماذا قدم منها -في ذلك الوقـــت بالذات- ليتحصن بحصن (ماوية)؟ ومن هو العدو الذي تحصّنوا منه؟

---

1 -الصّلويّ: الاخدود، ص54، عن كتاب: "الشهداء الحميريون"، اغناطيوس يعقوب، أنظر أيضاً، لوندن: "اليمن إبّان القرن السادس الميلادي"، ترجمة محمد علي البحر، الحلقة الثانية "مجلـــة الإكليل"، العدد الأول، السنة السابعة (1409 – 1989)، ص120.

* بروكيبوس Procopius: مؤرخ بيزنطي عاش حوالي عام (500 – 565 م) يعتبر كتابـــه، (History of the wars)، من أهم المصادر، التي تناولت الأحداث السياسيّة، التي شـــهدها القرن السادس الميلادي.

2 -جواد علي: المفصل، جـــ 3، ط (1969) ص472، عن:

- Procopius: “The History of the wars”, translated by: H. B dewing Combridge and London , 1979 , Vol. I.

اجتهد بعض المؤرخين واعتبر أنّ (سميفع أشوع) قد جاء ليمهّد لدخول الأحباش إلى اليمن، بل واعتقدوا أنّه كان زعيم المعارضة اليمنيّة في الحبشة؛ التي شملت -في رأيهم- كل الفارّين من (نجران) وغيرهم ممّن وقع عليهم جور التعذيب بسبب رفضهم لسياسة (يوسف)[1] ؛ والذي جعلهم يذهبون إلى هذا الاعتقاد ما جاء في النّقش من إن (سميفع) ومن معه قدموا من (حبشت)؛ إلاّ أنّنا نختلف مع أصحاب هذا الرأي، (فأرض حبشت) يمكن أن تطلق على بعض المناطق التهاميّة، التي أستوطن فيها الأحباش، منذ ما يزيد عن خمسة قرون من الزمان، فقد جاء في نقش (CIH, 314 ,904) (حزب حبشت) التي تعني: المستوطنات الحبشيّة في اليمن أو القوات العسكريّة الحبشيّة، وجاء في نقش (Ry 535) حديث عن حرب شنّها الملك السبئيّ (إلي شرح) ضد أحزاب "حبشت وذي شهرتن" في تهامة.

وقد عرفنا أن اليزنيّين قد وصلوا إلى تلك الأراضي وخاصة (الكلاع)، فسمّوا أنفسهم (بالكلاعيين – اليزنيين – الجدنيين)، خاصة بعد أن توسّعت رقعتهم الجغرافيّة وامتد نفوذهم حتى غرب اليمن.

أمّا السؤال الثاني والذي كان مثار نقاش، فهو كالتالي: إذا كان اليزنيّون أثناء الغزو الحبشي قد تمركزوا على السواحل التهاميّة، فلماذا لم يصدّوا الأحباش من الدخول؟ وكيف تمكّن الأحباش من خرق صفوفهم حتى وصلوا إلى المناطق الداخليّة؟

لقد كانت قوات (الكلاعيين – اليزنيين – الجدنيين)، متمركزة -كما جاء في النقش على السواحل الغربيّة، لغرض صدِّ الهجوم الحبشيّ، والدفاع عن الساحل، وقد أكدت كثير من المصادر النقشيّة والأدبيّة المقاومة التي واجهت الأحباش في بادئ الأمر، ولكن عدم تكافؤ القوّتين أحالت دون ذلك، فالقوات الحبشيّة كانت أقوى من تلك الدفاعات اليزنيّة ؛ ففرّ زعيمهم (سميفع) ومن معه حفاظاً على ما تبقى من الأراضي في الشرق.

فقد ذكر "اليزنيّون" في نقش (حصن الغراب) أنهم وجدوا الأحباش زرافات بأرض حمير حيث قتلوا الملك الحميريّ، وأقيال حمير والأرحبيين.

إذاً فقد شاهدوا المعركة التي مات فيها الملك الحميريّ ومن معه، لكنهم فرّوا ليتحصنوا في موقع آخر بعيد جغرافياً، ومحصّن، والوصول إليه صعب المنال؛ لهذا اعتقد بعض المؤرخين بان عدم وجودهم إلى جانب الملك، يعد تواطؤاً مع الأحباش، إنّ هذه الحجّة -في رأينا- تقوي الاعتقاد، بأنهم ظلّوا على الساحل

1- لوندن: "اليمن إبّان القرن السادس"، (الحلقة الثانية)، ص120. بافقيه: العربية السعيدة، جـ2، ص 185.

صد الهجوم من بدايته، وهذه المهمة أخطر، ولن توكل إلا لأقيال اتصفوا بالقوة والشجاعة وبالوفاء لملكهم.

وهناك حقائق أخرى تدعم ما ذهبنا إليه، فإذا كان (سميفع) وأبناؤه وأتباعه متواطئين مع الأحباش، فممن تحصنوا؟ لقد تحصنوا من الأحباش حتما الذين قدموا كما جاء في النقش (زرافات) أي بأعداد هائلة، لهذا لم يكن أمامهم من سبيل سوى الفرار إلى مناطق منيعة لمواصلة المقاومة، أما اختيارهم (لحصن ماوية) حصن "الغراب حاليا" فيعود للأسباب التالية:-

أولا: يعتبر ذلك الحصن المشرف على ميناء (قنا) موقعا استراتيجيا هاما، فهو بمثابة المدخل الرئيسي لدولة حضرموت الجزء الأكبر من اليمن فانهزامهم في ذلك الموقع يعني سقوط اليمن كلها في أيدي الأحباش، لهذا لجئوا إلى الجزء الشرقي من اليمن حفاظا عليه من السقوط من جانب، وليحشدوا ويجمعوا قواتهم من جديد من جانب آخر.

ثانيا: يشكل ذلك الإقليم موطن ومعقل اليزنيين. بعد ذلك لم يجد الأحباش من سبيل سوى استمالتهم والتفاوض معهم.

لقد تم بالفعل التفاوض بين الأحباش والقوات المرابطة في (حصن الغراب)، وانتهى ذلك التفاوض بتعيين ملك حميري هو (سميفع أشوع) على اليمن تحت وصاية الأحباش، بذلك نجح الأحباش في استمالة الأطراف المتمردة، وتحقق لهم استتباب الهدوء والاستقرار.

بعد توليه الحكم، ترك لنا (سميفع أشوع) نقشا (RES 3904) يحمل صيغة دينية، يستهله بالعبارة التالية: "بخيل (بقوة) وردء ورحمة الرحمن وابنه الكريشت (المسيح) المنتصر ونفس (روح) القدس..." افتتاحية كهذه، توحي -دون شك- بأيمانه العميق بالعقيدة المسيحية، وبالذات بالمذهب السائد في الكنيسة بالحبشة وهو مذهب" الطبيعة الواحدة للمسيح "المذهب اليعقوبي" كما يوضح النقش تبعيته الصريحة لملوك الحبشة، من خلال العبارة التالية (أمراهمو/ يخشت / اكسمن) = سيدهم نجاشي أكسوم، أما اللقب الذي تحلى به فهو "ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود والتهائم" وهو نفس اللقب الطويل لملوك حمير.

في عهد الملك (سميفع أشوع اليزني) شهدت العلاقة بين اليمن وبيزنطة تطورا كبيرا، فقد جاء في (بروكيبيوس) أن القيصر البيزنطي (جوستنيانوس) أرسل بعثة دبلوماسية مثلها البيزنطي (جوليانس Julianus) عام 529 م، إلى ملك

الحبشة يرجو منه إعلان الحرب على الفرس، وقطع العلاقات التجاريّة معهم[1] وشراء الحرير من الهنود مباشرة، على أن يبيعوه للرومان، بذلك يجنون أرباحاً كبيرة، ويتجنبون وساطة الفرس في التجارة مع الهند والصين، كما أرسل نفس المبعوث إلى ملك حمير وطلب منه تنصيب (قيس Kaison) سيداً على قبيلة (معد)، وأن يجهّز جيشاً كبيراً يشارك به مع قبيلة (معد) في غزو أرض الفرس، وكان (قيس) من أبناء سادات قبيلة (معد) وله عند قومه مكانة ومنزلة، وعند القيصر أهمية وحظوة، وإذا وافق القيصر على ذلك، يكون قد اكتسب حليفاً قوياً يفيده في تنفيذ خططه الراميّة إلى بسط سلطان الروم على العرب ومواجهة الساسانيين. وقبل كل من الملكين الحبشي والحميريّ ذلك الطلب وتعهدا القيام به لكن أياً منهما لم يلتزم بوعوده[2].

لقد صمتت المصادر النقشيّة والأدبيّة الخاصة بتلك الفترة عن ذكر أيّ تمرد أو ثورة قامت ضد الملك (سميفع أشوع)، بالرغم من النفوذ الحبشيّ السائد، لكن هذا -قطعاً- لا يفسر الرضا الكامل بالسياسة الحبشيّة، وربما هناك من الأسباب ما تجعل اليمنييّن يعيشون في حالة من الهدوء النسبيّ، فالمصادر تتفق حينها على بروز النزعات الاستقلاليّة للأقيال في كثير من مناطق اليمن.

ثالثاً: استيلاء أبرهة على حكم اليمن

لم تحدثنا المصادر عن نهاية الملك (سميفع أشوع)، ويبدو أن نهايته لم يكن مأسوفاً عليها، فقد كان بمثابة مطيّة امتطاها الأحباش حتى استتبت لهم الأمور، وفي ذات الوقت لم يكن مفيداً بالنسبة لبيزنطة، فهو لم يحقق سياستها المرجوة، وهي التي استثمرت أموالاً طائلة لغزو اليمن، ولا يستبعد أن تكون قد ابتهجت لتلك النهاية، كل ما في الأمر، إنّ الأحباش بسطوا نفوذهم على اليمن وحكموه حكماً مباشراً، فعيّنوا حاكماً حبشيّاً، لعله القائد الأعلى للجيش الحبشيّ المقيم في اليمن (أرياط)، هذا ما تتفق عليه المصادر العربيّة، لكن قائداً آخر في الجيش يدعى (أبرهة) ما لبث أن انقلب عليه واستولى على الحكم. إذاً (فأرياط) كان قائداً للقوات الحبشيّة، و(أبرهة) أيضاً كان قائداً بالجيش الحبشيّ، إلاّ أنه أقل رتبة منه. حدثنا (ابن هشام) بشكل مفصّل عن توليه (ابرهة) الحكم حيث قال: "فلما بلغ النجاشي قتل ابرهة لأرياط غضب غضباً شديداً"[3]. امّا (الأزرقيّ)، فيقول حول

1- Ry ckmans, J: "La persecution des cheretiens Himyarites au sixieme siecle", Istambul, 1956, p.6.

2- سحّاب: المرجع السابق، ص143 عن. Procopius pp193-195، أنظر أيضاً Rodinson , cit .p. 53 .

3 -ابن هشام: السيرة جـ1، ص 42.

ذلك: "لما ظهرت الحبشة على أرض اليمن كان ملكهم ألى (أرياط) و(أبرهة) وكان (أرياط) فوق (أبرهة)[1] ، أي أعلى منه رتبة.

أمّا عن تولية (أبرهة) الحكم، يروي (بروكيبيوس Procopius) كيفية استيلاء (أبرهة) على الحكم فيقول: "كان في الجيش الحبشيّ كثير من العبيد والمنحرفين الذين لا يرغبون في اتباع الملك على الإطلاق. وإذا تركوا هناك، مكثوا رغبة في الاستيلاء على أرض الحميريين، لأنها غنية جداً، وبعد زمن قصير تمرّد هؤلاء الرعاع مع آخرين على (اسميفيوس Esimphaios) أي (السميفع) وحبسوه في إحدى قلاع تلك البلاد، وعيّنوا ملكاً آخر على الحميريين، اسمه (ابراموس) أيّ (ابرهة)، وكان (ابراموس) مسيحيّاً، لكنه كان عبداً لمواطن روماني في مدينة حبشيّة تسمّى (أدوليس)، كان يقيم هناك لأجل تجارته في البحر. ويواصل (بروكيبيوس) حديثه: "فلما سمع (النجاشي) (هلتيايوس Hellestheaios)، "الأصبحه" بفعله (ابراموس) أراد أن يعاقبه والمتمردين على معاملتهم (اسميفيوس) (السميفع) فأرسل إليهم جيشاً قوامه (3000) رجل، وواحداً من أقاربه ليتولى الحكم، ولما أعرض جنود هذا الجيش عن أداء مهمتهم ورفضوا العودة إلى بلادهم ورغبوا في البقاء في هذه البلاد الغنيّة، بدءوا التفاوض مع (ابراموس)، في غفلة من الحاكم، (وبعد ذلك) قتلوا الحاكم والتحقوا بجيش العدو، وظلّوا معه. غضب (هلتيايوس) كثيراً فأرسل جيشاً آخر إليهم، وقاتل هذا الجيش جماعة (ابراموس) لكن بعد أن لحقت به هزيمة ساحقة في المعركة، عاد إلى بلاده على الفور. ولم يرسل الملك الحبشي -بسبب خوفه- أيّة حملة على (ابراموس)، فلما مات (هلتيايوس)، قبل (ابراموس) ان يدفع جزية للملك الذي خلفه على عرش الأحباش وبذلك ضمن لنفسه حكماً شرعياً[2].

ومن خلال معرفتها بتاريخ موت (هلتيايوس)، توصّلت المصادر إلى فترة الاعتراف (بابرهة) حاكماً رسمياً على اليمن، فكان ذلك بين عاميّ (533 - 535م).

بذلك يكون (أبرهة) قد انفرد بالحكم، متخذاً من (صنعاء) عاصمة له. تحدثت المصادر العربيّة الإسلاميّة عن (أبرهة) كثيراً، وأحاطته بهالة من القصص الأسطوريّة، نسبت النسّابة إلى (أبرهة تبّع ذي المنار بن الرائش بن قيس ... بن سبأ)، كما يدرج (الهمدانيّ) رجال "أبرهة" ضمن نسب الأصابح[3].

1- الأزرقيّ: المصدر السابق، ص 87.

2 -سحّاب: المرجع السابق، ص 138 - 139. عن (- Procopius: History ... pp. 189 191. أنظر أيضا: Rodinson : op. - cit , p. 54، وحوراني: الملاحة، ص 104.

3- الهمداني: الإكليل، جـ 2، ص53، 143.

رابعاً: السياسة الداخليّة لأبرهة

بعد أن تخلّص (أبرهة) وأعوانه من الحاكم اليمنيّ، وعزلوه في إحدى القلاع كما جاء في المصادر، وبعد أن قضى على منافسه قائد القوات الحبشيّة (أريـلط)، نجده يتولى الحكم في اليمن، بمساندة بعض الأقيال اليمنيّين.

لقد عمل (أبرهة) على استعادة الدولة الحميريّة لقوتها ومجدها السابقين، من خلال قيامه بجملة من التغيرات الجوهريّة في الحياة الداخليّة للبلد، أمّا أهم مصدر استقينا منه معلوماتنا، هو نقشه الشهير (CIH 541) الذي نقشه على جدار سد مأرب.

يستهل (أبرهة) نقشه بالافتتاحيّة التاليّة: "بقوة ورحمة الرحمن ومسيحة القدس" ثم يورد اسمه ولقبه: "أبرهة عزبي ملك الجعزيين (رمحس زبيمن) ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود والتهائم.

توضّح هذه التسميّة التي تحكي بها، تبعيته أو نيابته لملك الأحباش، فكلمة (عزبي) تعني: نائباً، أمّا لفظ (رمحس زبيمن) فربما تكون نعتاً أو لقباً ملحق باسم أبرهة[1]، بعدها يتطرق النّقش إلى حادثتين أساسيتين:

الحادثة الأولى: تتمثل في تمرّد واجهة (أبرهة) من قبل زعيم كندة (يزيد بن كبشة)*، وثورة قام بها أقيال المناطق الشرقيّة ضده.

الحادثة الثانيّة: تهدّم سد مأرب

خبر أخر ورد في النقش ليس له علاقة بالحادثين السابقتين، ويتمثل في وصول وفود خارجيّة إلى أبرهة لتهنئته.

يبدو أن الحادثة الأولى، حادثة مركّبة تجمع بين حدثين رئيسيين، تمرّد (يزيد بن كبشة) وثورة الأقيال في (المشرق)*، وقد جمع كثير من المؤرخين بين الحدثين على أنه حدث واحد، وان (يزيد) كان الرأس المدبّر لتلك الثورة، لكن النقش يوحي بان هناك تمرداً وثورة، فالتمرد تزعمه "يزيد بن كبشه" الذي عيّنه (أبرهة) والياً على (كندة) بعد أن أقسم له يمين الولاء، ثم نكث بذلك العهد الذي قطعه على نفسه، وأعلن العصيان، عندما جمع حوله بعض من أطاعه من أعراب (كندة)، وأغار على حضرموت الموالية للملك (أبرهة) وأسر زعيمها "مأزن هجّان الأذموري"، وقد اتخذ من منطقة (العبر)* الواقعة غرب وادي حضرموت

1- بافقيه: العربية السعيدة، جـ2، ص189.

* يطابق المؤرخون (يزيد بن كبشة) الوارد اسمه في هذا النقش، (بيزيد بن معاوية بن حجر)، حاكم المنطقة الجنوبيّة لكندة. لوندن: "اليمن أبان القرن السادس الميلادي"، (الحلقة الثانية) ص25.

* المشرق: معقل اليزنيين، كما سبق أن أشرنا لذلك، والمقصود به الأودية الشرقية، ومن أبرزها وادي عبدان، ووادي عماقين ووادي ميفعة ووادي وينبق ...(أنظر الخريطة رقم 17).

* أنظر الخريطة (رقم 8).

مركزاً لعملياته العسكريّة، وامتد نفوذه حتى منطقة (الكسر) الواقعة على وادي يحمل نفس الاسم عند مدخل وادٍ حضرموت[1].

يواصل (أبرهة) حديثه عن ثورة قام بها الأقيال في (المشرق) (أنظر الخريطة رقم 21) عندما أرسل اليهم (جرة بن زبانر)** لبسط نفوذه -أعني أبرهة- في الشرق، معقل اليزنيين، واتّخاذه من حصن (كدور)*** المنيع مركزاً للإدارة الجديدة، لكن أقيال المشرق أعترضوا سبيله، ثم قتلوه ودكّوا حصن كدور)، وقد حرص النقش على ذكر أسماء الأقيال الثائرين، فمن سبأ: (بنو مرة)، و(ثمالة)، و(حنش) و (مرثد) من الأساحر (أو آل ذي سحر) و (حنيفة) و (ذي خليل) من (آل ذي خليل) ومن اليزنيين: "معدى كرب بن سميفع" (ربما إبن الملك المخلوع و "هعّان"، وإخوته "بنواسلم". ومن خلال تلك الأسماء يمكن رسم خريطة جغرافيّة للأقاليم التي اشتعلت فيها تلك التمردات: كندة الإقليم الشماليّ الغربيّ لحضرموت، اليزنيون في الأودية الشرقيّة، وسرعان ما شملت سكان حضرموت والأساحر والأقيال الهمدانيين في مرتفعات الهضبة الغربيّة.

وعندما بلغ (أبرهة) خبر تلك الثورة، بادر بجمع المقاتلين من الأحباش ومن الحميريّين، حيث بلغ عددهم الآلاف، وكان ذلك في شهر (ذي القياظ) أي (حزيران من عام 542م)، واتخذوا طريقهم في مرتفعات (سبأ) لينطلقوا من (صرواح) إلى منطقة (نبط) ، وما أن بلغوا منطقة (نبط) حتى اتجهوا إلى مصنعة (كدور) وكانت السرايا مكونة من قبائل (إلو)، و (لمد) و (حمير) ومعها عاملان من عمال (أبرهة) وهما (طه) و (عودة) الجدنيين، ليقوما بإدارة المشرق بعد جرة[2].

أمّا منطقة (العبر) التي تشهد تمرد (يزيد) فلم تتوجه إليها أيّة قوة، لأن (يزيد) وفر عليهم المشقّة، ووافى الملك بمنطقة (نبط) وجدد له الولاء قبل تحرك السرايا، ممّا أضعف ثورة الأقيال بقصد أو بغير قصد.

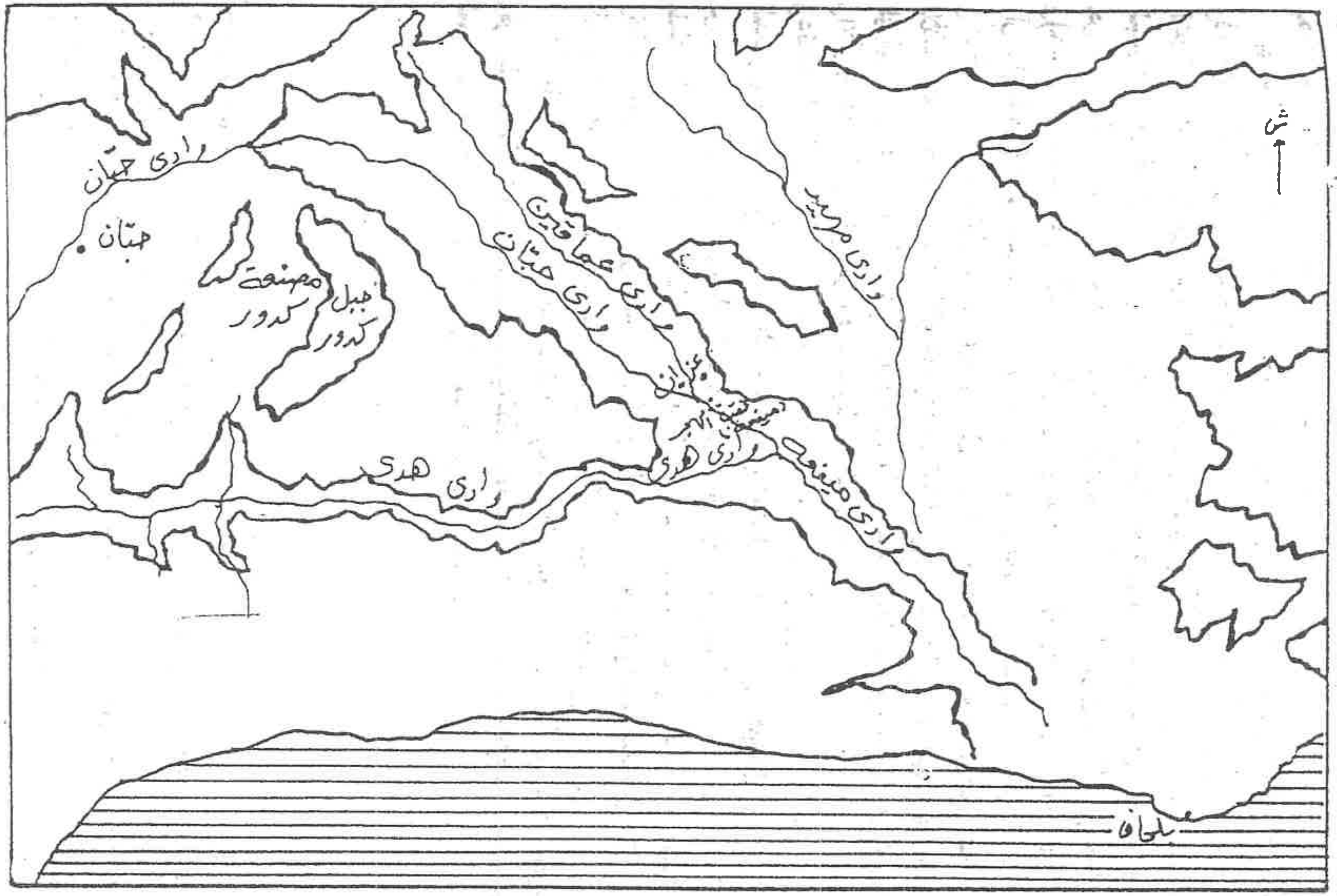
1- بافقيه: العربية السعيدة، جـ2، ص 193.

** آل ذي زبانر: إذواء المناطق الغربيّة، تقع أراضيهم إلى جوار (بني جرة) الأقيال القاطنيين حول جبل (كنن) جنوب صنعاء.

*** مصنعة كدور: تقع على جبل كدور، الواقع إلى الجنوب من وادي (حبّان). أنظر: Bafaqih.

* نبط: منطقة جاء ذكرها في النقش لم يعرف موقعها الجغرافيّ بالتحديد.

2- بافقيه: "العربية السعيدة"، جـ2، ص 196.



خريطة رقم (21) مصنعة كدور جنوب وادي بيحان

وفيما كان (أبرهة) ينتظر نتيجة إرسال السرايا إلى مصنعة (كدور) قدم إليه مستغيث من سبأ، يخبره بأن (العرم) -وتعني السد في النّقوش- قد تهدم في بعض أجزائه، وكان ذلك في شهر (ذي المذرأ) أي تموز من عام (542 م)[1].

لم يطل (بابرهة) الانتظار إذ سرعان ما وصلته الأخبار بأن الأقيال الذين تمرّدوا مع (يزيد) جددوا ولاءهم للملك، وقدّموا له الرهائن عربوناً لذلك، وبأن السرايا التي أرسلت إلى مصنعة (كدور)، ألقت القبض على الأقيال الثائرين.

باستسلام (يزيد)، وانهيار ثورة الأقيال في المشرق؛ تبرز أمامنا جملة من الاستفسارات منها: لماذا استسلمت كل الأطراف؟ وهل كانت التمردات متزامنة؟ ولماذا استسلم (يزيد) بسهولة؟ فهل أهاب قوات أبرهة؟

يرى بعض المؤرخين، أنّ استسلام (يزيد) جاء بعد سماعه خبر انهيار سد مأرب، وكذلك المتمردين من الأقيال الذين أجمعوا على ترك الحرب والمبادرة بإصلاح السد، لذلك فاتحوا (أبرهة) في الصلح[2].

فالواقع أن التراجع الذي أقدم عليه (يزيد) ومن معه، وأقيال المشرق ومن انضمّ إليهم، كان بمثابة فرصة عظيمة جاءت لصالح (أبرهة) فهدأ باله واطمأن قلبه، ممّا سهّل عليه مهمة ترميم وإصلاح ما أصاب السد من خراب. فاستدعى القبائل اليمنيّة من كل حدب وصوب، للقيام بذلك العمل الوطني العظيم، وتوجه إلى مدينة (مأرب) حيث قدّس بيعتها، عندما بايع قسيساً ليرعى مصالح الجماعة النصرانيّة هناك، وصعد إلى (العرم) عند مخرج وادي (أذنة) وتسلّق الجبل المحيط بالمخرج، للحصول على الأحجار اللازمة لإقامة أساس حجريّ يحجز المياه، وهو الجزء الأساسيّ للعرم. وما أن بدءوا بوضع الأساس، حتى حدثت وفيّات وأمراض بين القبائل القادمة لترميم السد وأهل المدينة، بسبب انتشار وباء خطير، فأذن لهم (أبرهة) بالانصراف، فتوقف العمل[3].

وبعد الإذن بالانصراف، وصل الأقيال الذين اعتصموا بمصنعة (كدور) في صحبة السرايا، التي أرسلت لإلقاء القبض عليهم، وبايعوا الملك. وقد حرص (أبرهة) في نقشه، على أن يذكر أسماء الأقيال الذين كانوا بصحبته، ربما كان قصده من ذلك، إظهار ما كان يتمتع به من تأييد من قبل بعض الأقيال البارزين، ومن غريب الصدف أن نجد من بين من كان يقف إلى جانبه بعضاً من (اليزنيين)،

1- بافقيه: "العربية السعيدة"، جـ2، ص 196.

2- لوندن: "اليمن إبّان القرن السادس الميلادي"، ترجمة: محمد علي البحر، مجلة (الإكليل)، الحلقة الثالثة، العدد الثاني، السنة السابعة، (1409-1989) وزارة الأعلام الجمهورية العربية اليمنية، صنعاء، ص26-28.

3- بافقيه: العربية السعيدة، جـ2، ص197-199.

و(الجدنيّين). علماً أن من أبرز الثائرين عليه في المشرق هم من اليزنيّين والجدنيّين، وهذا لا يدل إلا على تفسير واحد هو: وجود شقاق وتمزّق بين صفوف اليمنيّين أنفسهم، فمنهم من عاداه، ومنهم من وقف إلى جانبه أيّ أن كلمتهم لم تعد موحّدة، وهذا سبب كاف لوصول الأوضاع السياسيّة إلى تلك الحالة[1].

بعد ذلك ينقلنا النّقش (CIH 541) إلى حدث آخر ليس له آيّة صلة بالحدثين السابقين، فهو يتحدث عن وصول سفراء النجاشيّ (ملك الحبشة)، وسفراء ملك الروم، ووفود ملك فارس، ورسل (المنذر اللخمي)، ورسل (الحارث بن جبلة الغسانيّ)، ورسل (أبي كرب بن جبلة).

لعل تلك الوفود قد وصلت لتهنئته بتوليّه الحكم، وبحث العلاقات الدبلوماسيّة والمصالح المتبادلة مع النظام الجديد. أمّا الجزء الأخير من النّقش فقد كرّس لوصف سير أعمال ترميم سد مأرب، والتكاليف الباهضة التي صرفت لذلك الإنجاز العظيم وهنا نجده يتشبه بنّقش الملك الحميريّ (شرحبيل يعفر) "CIH 540"، الذي سجّل على سد مأرب لنفس الغرض. وقد أشار (أبرهة) إلى أن رجاله قضوا حوالي أحد عشر شهراً في ترميم السد، واستهلكوا (50.860) غرارة من الدقيق، و (26.000) من التمر، و (3000) بعير وثور و (207.000) رأس من الغنم.

إنّ تلك المستجدّات التي شهدها اليمن في عهد (أبرهة) كانت بمثابة نقطة تحوّل كبير، فعلى المستوى المذهبيّ، نجد تغييرا قد حدث في المذهب الدينيّ، فقد اعتنق (أبرهة) المذهب الرومانيّ (الخلقيدوني)، وهذا يغاير المذهب الذي كان عليه سلفه (سميفع أشوع) مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح (المذهب اليعقوبي) المذهب السائد في الحبشة ومثل هذا التحوّل لم يكن جزافاً، بل كان له أبعاد سياسيّة؛ ممّا يعني أنّ (أبرهة) قد ولّى وجهه شطر (بيزنطة)، بدلاً من (الحبشة)، وكان يهدف من وراء ذلك توطيد علاقته السياسيّة مع بيزنطة. ولترسيخ الديانة المسيحيّة، قام (أبرهة) ببناء الكنائس التي ومن أشهرها كنيسة (القليس)* ، التي بناها في العاصمة (صنعاء)، وقد تحدّثت المصادر العربيّة الإسلاميّة، عن تلك الكنيسة التي كانت تعد من أضخم كاتدرائيات ذلك العصر[2]، فيشير (الطّبري) إلى أنّ الإمبراطور البيزنطي أرسل لأبرهة المهندسين للمشاركة في بناء تلك الكنيسة بناءً على طلبه، كما أرسل له الفسيفساء والمرمر[3].

1- أنظر نقش (CIH 541)

* القليس: تحريفاً عن كلمة (Ecclestic) اليونانيّة والتي تعني: المجمّع الكنسيّ.

2- سحّاب: المرجع السابق، ص 142.

3 -الطّبريّ: التاريخ، جـ 2، ص130.

خامساً: السّياسة الخارجيّة لأبرهة

بعد أن عزّز (أبرهة) وضعه في الداخل، بإبرامه اتفاقيّة سلام مع زعيم (كندة) "يزيد بن كبشة" والأقيال الثائرين، يكون قد تجنّب خطرهم وضمن استكانتهم، وبعد أن أتمّ ترميم سد مأرب، وحصل على مباركة كثير من دول العالم له على توليه الحكم، نجده يحظى بسمعة عالميّة. لقد كان (أبرهة) سياسيّاً محنكاً، فبالرغم من ولائه للسياسة البيزنطيّة، إلاّ إنّه حقق لنفسه نوعاً من التوازن الفريد لسياسته الخارجيّة، فقد عمل على خلق علاقات دبلوماسيّة مع جميع الأطراف من بلاد فارس، وحلفائها من ملوك الحيرة، ومع بيزنطة وحلفائها من ملوك الغساسنة، فقد عبر نقشه عن تلك السياسة التي هيأت له الظروف، لتحقيق طموحه بالحصول على الاستقلال التام دون تدخل أو ملامة، مقلدا بذلك ملوك (حمير) بمد نفوذه إلى وسط وشمال شبه الجزيرة العربية.

أ- حملة أبرهة على قبيلة (معد)

تحدث نقش (Ry 506) عن حملة قام بها أبرهة[1]، استهدفت قبيلة (معد)، تلك القبيلة التي كانت خاضعة لدولة (كندة) في فترة قوتها ومجدها، ولكنها ومنذ عام (549م)، وقعت تحت النفوذ اللخمي، ويوضح النقش، أن (أبرهة) قام بحملته الرابعة لتأديب قبيلة (معد) المتمردة، وبعد مواجهة عسكرية، انتصر عليها وأنزل بها خسائر فادحة، بعد ذلك بدأت مفاوضات السلام مع اللخميين، أبرمها من جانب قبيلة "معد" (عمر بن المنذر) العامل اللخمي على (معد)، فاعترف بسلطة (ابرهة)، كما قدم إليه ابنه رهينة فنصبه (أبرهة) واليا على (معد). واشار النقش أيضا إلى إخضاع (أبرهة) لقبيلة (عامر)** ، في منطقة (حلبن)*** ، وعين (أبا جبر) قائدا في الحرب على (كندة)، وعين (بشرا بن حصن) على قبيلة (سعد)، وقد أرخ هذا النقش بسنة (662 بالتقويم الحميري) الموافق (554م)، وقد شاركت في تلك الحملة إلى جانب الحميريين، قبيلتا (كندة) و (مذحج) الحلفاء الأوفياء للدولة الحميرية[2].

قد يتساءل المرء، ما هو الهدف من وراء تلك الحملة التي قادها (أبرهة)؟ هل يكمن هدفه في مد نفوذه إلى شمال شبه الجزيرة العربية، مقلدا بذلك ملوك حمير في فترة مجدهم؟ أم كان هدفه أبعد من ذلك، فربما كان الهدف من تلك الحملة، تعزيز نفوذ الدولة الكندية، وبذلك يتعزز نفوذ دولة حمير وسط شبه

1- Ryckmans. J: "La Persecution..., p.1-2".

** عامر بن صعصعة.

*** منطقة (حلبن): تقع على بعد (100 كم) تقريبا جنوب غرب وادي (مأسل الجمح).

2- الصلوي: الأخدود، ص 28. أنظر أيضا: لوندن: "اليمن إبان القرن السادس الميلادي"، ص21.

الجزيرة العربيّة، وفي الحالتين يكتسب (أبرهة) شهرة عالميّة. أو أن تلك الحملة جاءت ضمن السّياسة التي تخدم المصالح البيزنطيّة في المنطقة ؟ دراستنا لحملة (أبرهة) على مكة ستجيب عن هذه الاستفسارات.

ب- حملة أبرهة على مكة

تعد حملة (أبرهة) على "مكة " من أخطر الأحداث التي شهدتها شبه الجزيرة العربيّة في منتصف القرن السادس الميلادي، لقد تطرّقت المصادر العربيّة الإسلاميّة لهذه الحملة بشكل مفصّل وأطلق عليها (حملة الفيل)، كما أسهبوا في الحديث عن الذرائع التي حملت (أبرهة) لهذه الغزوة فذكر (الأزرقي): إنّ (أبرهة) بعث إلى النجاشيّ بكتاب وعده فيه بأن يصرف حجّاج العرب إلى (القليس) الكنيسة التي بناها في (صنعاء) ليتركوا الحج إلى بيتهم في مكة، فقد كتب (أبرهة) للنجاشيّ يقول: "إني قد بنيت لك أيّها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك من قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حاج العرب"[1].

وأضاف الأزرقي: "فلمّا تحدّث العرب بكتاب (أبرهة) إلى النجاشي، غضب رجل من النسأة أحد (بني فقيم) من (بني مالك بن كنانة) فخرج حتى أتى "القليس" فقعد فيها (دنّسها) ثم خرج حتى لحق بأرضه، فأخبر (أبرهة) بذلك فقال: من صنع هذا ؟ فقيل له: صنعه رجل من العرب من أهل البيت الذي تحجّ اليه بمكة، لمّا سمع بقولك "اصرف إليها حجّاج العرب..."، فغضب عند ذلك (أبرهة) وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدّمه"[2].

وتؤكد المصادر العربيّة الإسلاميّة[3] تلك الرواية، وإن اختلفوا في تفاصيلها، فجوهرها لا يخرج عن أن أحد العرب من (كنانة) قام بتدنيس (القليس) بعد أن عرف بأن (أبرهة) سيجعل منها مكاناً يحجّ إليه الناس بدلاً من (مكة). لقد ردّد المؤرخون المسلمون تلك الذرائع على إنّها هي الأسباب الحقيقية وراء حملة (أبرهة)، ولم يذهبوا بعيداً في تفكيرهم، فهدف (أبرهة) لم يكن سطحياً وان الذريعة الحقيقية وراء تلك الغزوة أخطر من ذلك.

- الدوافع الحقيقية وراء حملة (أبرهة) إلى مكة

لا نستبعد صحة الرواية التي رددتها المصادر العربيّة الإسلاميّة فربما استغل

1- الأزرقي: المصدر السابق، ص 92، الطبري: المصدر السابق، ص130.
2- الأزرقي: المصدر السابق، ص93.
3 -الطّبريّ: التاريخ، جـ2، ص 114، أبو هلال العسكريّ: المصدر السابق، جـ 1، ص 30 - 31، سيرة ابن هشام، جـ1، ص 46، أنظر أيضاً: ابن حبيب البغداديّ، محمد بن حبيب: "المنمّق في أخبار قريش"، تحقيق: خورشيد أحمد، دائرة المعارف العثمانيّة، حيدر أباد، الهند 1384 هـ = 1964 م، ص 68.

(أبرهة) تلك الحادثة لتحقيق مآربه، التي كانت تحمل بعداً سياسياً واقتصادياً خطيراً.

- لقد كان (أبرهة) حليفاً نشيطاً لبيزنطة[1] منذ أن تولى الحكم، خاصة عندما كان يبحث عن سند قويّ، يحميه من نجاشيّ الحبشة، الذي حاول إبعاده، بالمقابل نجد (بيزنطة) قد رحّبت به وأبدت استعدادها لمساندته، شريطة أن يقوم بتنفيذ خططها السّياسيّة والاقتصاديّة في شبه الجزيرة العربيّة، في فترة كانت تعيش فيها حالة من التنافس المتصاعد مع بلاد (فارس)، فكان هدفها الاستراتيجيّ -والذي كلّفها باهظاً- السيطرة على مدخل البحر الأحمر، وعندما فشلت في ذلك، رأت إنّ الأحباش هم خير مَنْ سيحقّق لها ذلك، وبالفعل تحقق لها ذلك، حسب ما كان مخططاً له، بذلك الانتصار تكون قد ضربت (فارس) منافسها الخطير.

- لقد كان لأبرهة طموحه الخاص من تلك الحملة، فالوضع الاقتصاديّ الذي وصلت إليه (مكة) والمكاسب الماليّة الكبيرة التي كانت تجنيها خلال موسم الحجّ، حيث تنتشر الأسواق التجاريّة، التي تستقبل التّجار من كل صوب، وفيما وصلت إليه (مكة) من شهرة ومكسب في آن واحد. كل ذلك كان دافعاً قوياً لبناء كنيسة (القليس) لتكون بديلاً عن (الكعبة)، بذلك يجذب الناس إلى مركز تجاري جديد.

فالأغراض الاقتصاديّة، كانت المحرّك الأساسي لهذه الحملة، كما إنها تتفق مع رغبة بيزنطة في الهيمنة على الطريق التجاريّ، وإخضاع القبائل البدويّة القاطنة في وسط شبه الجزيرة العربيّة. إذاً فطموح (أبرهة) بتحقيق مصالح اقتصاديّة ودينيّة، مرتبطة كل الارتباط بمصالح بيزنطة في المنطقة[2].

- الدافع الثالث، يعد دافعاً شخصياً، فقد عمل (أبرهة) منذ توليه الحكم في اليمن على جذب أنظار العالم إليه، من خلال قيامه بأعمال إنشائية هامة كترميمه لسد مأرب، وكسب بعض الأقيال اليمنيين إلى صفّه، وتلقّبه باللقب الطويل لملوك حمير، كذلك حملاته إلى وسط شبه الجزيرة العربيّة، لا تخرج أيضاً عن التشبّه بملوك (حمير) لمد نفوذه السياسي، وبذلك يكون قد حقّق لنفسه شهرة ومكانة بين الأمم شبيهة بالمكانة التي حققها ملوك حمير.

- سير الحملة

تورد المصادر العربيّة سير الحملة إلى (مكة)، وتشير إلى أن بعض القبائل قد أثارتها الحميّة للدفاع عن الكعبة فمنهم (ذو نفر الحميريّ) أحد المثامنة*، لكن (أبرهة) تمكّن من هزيمته، كما واجهه في أرض (خثعم) "نفيل بن حبيب

1- Ry ckmans, J: La Persecution..., P.3..

2- سحّاب: المرجع السابق، ص 165.

* أنظر بافقيه، محمد عبدالقادر: "الهمداني والمثامنة" (في العربية السعيدة) جـ1، ص119- 132.

الخثعمي"[1]، لكنه هزم أيضاً أمام (أبرهة)، وأخذه أسيراً، وتتحدث المصادر أيضاً عن قبائل (قريش) و (الكنانة) و (هذيل)، ومن كان بذلك الحرم "وقد همّوا لقتاله ولكنهم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك"[2].

ويقال أنّ بعضاً من جنود الأحباش، تمكّنوا من دخول المدينة، لكن الحملة انتهت بكارثة حلّت بالجيش الحبشيّ، وقد جاء في القرآن الكريم، سورة الفيل: "ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل* ألم يجعل كيدهم في تضليل* وأرسل عليهم طيراً أبابيل* ترميهم بحجارة من سجيل* فجعلهم كعصفٍ مأكول".

لقد فشل (أبرهة) فشلاً ذريعاً، خاصة وأن الأوبئة قد انتشرت بين قواته، ممّا أضطره للتراجع، وقد وقع عدد كبير من جنوده الفارّين في أسر القبائل البدويّة، أمّا (أبرهة) فقد تمكّن من العودة مع من تبقّى من جنوده، حيث استمر حاكماً لبعض الوقت، إلى أن وافته المنيّة، تاركاً مقاليد الحكم لأبنائه.

1- ابن هشام: السيرة، جـ 1، ص 47.

2 -المصدر نفسه، جـ1، ص 49.

الفصل الخامس

ثورة سيف بن ذي يزن وتوليه الحكم

أولاً: سيف يبحث عن سند دولي

ثانياً: قوات سيف تتلقى مساعدة فارسيّة

تولى د
الأصفهان
ا في النة
قد ظل في
ثم يتول
ذكر بعض
ي جدن)،
لقد أتب
ثرا من أ
يقول (الم
اليمن، كما
أولاً: سيف
لقد دفع
صفوفهم د
الذي أطلق
الفيّاض) م
إن اخت
كان لها ع
الميلاديّ،
تلك الروا
عرش اليه
أعيته محاو
يقول (
الحميريّ)

1- الأصفه
(عليهم
* لقب (بذ
(ردمان
2- الأصفه
3- المسعو
عبدالحم
4- المصدر

تولى حكم اليمن بعد (أبرهة) أحد أبنائه ويسمّى (يكسوم)، حول ذلك يقول (الأصفهانيّ): "ثم ملك ... يكسوم بن أبرهة، وسار بسيرة الحبشة، وتفاقم الأمر[1]. أما في النقش (HCI 541) "نقش أبرهة"، فقد أطلق عليه (يكسوم ذي معاهر)*. وقد ظل في الحكم سنتين من الزمان[2].

ثم يتولى أخوه (مسروق)، الذي لم يعرف سوى في المصادر الإسلاميّة، حيث تذكر بعض تلك المصادر أن أخواله من (آل ذي يزن)، وتارة تذكر انهم من (آل ذي جدن)، وقد حكم ثلاث سنوات.

لقد أتبعا أبناء (أبرهة) سياسة فيها من القسوة والشدّة، فكان كل منهما أكثر شرا من أخيه، فضاق الناس بهما، وأخذوا يبحثون عن مخرج من هذه الأزمة يقول (المسعوديّ): "إن يكسوم الابن الأكبر حين ملك بعد أبيه، عمّ أذاه سائر اليمن، كما أن مسروقاً أخوه الذي تلاه اشتدت وطأته على اليمن"[3].

أولاً: سيف يبحث عن سند دولي

لقد دفعت تلك الأوضاع المترديّة بزعماء القبائل والأقيال إلى التكتل وتوحيد صفوفهم ضد العدو، فأجمعوا على اختيار زعيم (يزنيّ) وهو "سيف بن ذي يزن" الذي أطلق عليه في بعض المصادر اسم (معدى يكرب بن مرة)، أبوه (أبو مرة الفيّاض) من أشراف حمير وأمه (ريحانة ابنة علقمة)[4].

إن اختيار (سيف) للزعامة لم يكن جزافاً، فهو ينتمي للسلالة اليزنيّة، والتي كان لها عظيم الأثر على سير الأحداث السياسيّة لليمن وبالذات في القرن السادس الميلاديّ، وقد حدثتنا المصادر العربيّة واستفاضت عن هذه الشخصيّة ومزجت تلك الروايات بالأساطير. وتشير تلك المصادر على: "أن السّاعين إلى استرداد عرش اليمن اثنان، أب مات بباب كسرى بعد أن أعيته محاولة إقناعه بالتدخل كما أعيته محاولة إقناع قيصر من قبله، وابن -يقصدون سيف- نجح فيما فشل فيه والده".

يقول (ابن هشام): "فلما طال البلاء على أهل اليمن، خرج (سيف بن ذي يزن الحميريّ)، وكان يكنّى (بأبي مرة)، حتى قدم على قيصر ملك الروم، فشكا إليه ما

1- الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت 360 هـ = 980 م): "تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء" (عليهم الصلاة والسلام) جـ31، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، 1961 م، ص114.

• لقب (بذي معاهر) نظراً لتوليه قيالة أرض (معاهر) -في عهد أبيه- ويقصد بها إقليم (ردمان) المعسال اليوم.

2- الأصفهاني: "سنيّ ملوك الأرض"، ص 114.

3- المسعودي: ابن الحسن بن علي: "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، جـ1، القاهرة 1966م، ص 345.

4- المصدر نفسه.

هم فيه، فسأله أن يخرجهم عنه... ويبعث إليهم من يشاء من الروم فيكون له ملك اليمن[1].

أمّا (أبو فرج الأصفهانيّ) فيرى ان ملك الروم قال لسيف: الحبشة على ديني ودين أهل مملكتي، وأنتم على دين اليهود، فكيف يمكنني ان أساعدكم على الإضرار باخوتي في الدين[2].

وتسترسل المصادر العربيّة في الحديث عن قصة (سيف) ورحلته إلى الحيرة، وكيف قابل ملكها (النعمان ابن المنذر)، الذي عطف عليه وعرض أن يرافقه إلى ملك فارس* (كسرى أنوشروان)، كان ذلك في سنة (574م). يقول (ابن هشام) في ذلك: "فخرج (سيف) حتى أتى" النعمان "بن المنذر" وهوعامل كسرى على الحيرة وما يليها من العراق، وشكا إليه الحبشة، فقال له (النعمان): "إن لي على (كسرى) وفادة في كل عام، فأقم حتى يكون ذلك، ففعل. ثم خرج معه فأدخله على (كسرى) ثم قال له (سيف): "أيها الملك غلبتنا على بلادنا الأغربة فجئتك لتنصرني، ويكون ملك بلادي لك فجمع كسرى مرازبته وقال لهم: ماذا ترون في أمر هذا الرجل وما جاء له؟ فقال قائل: "أيها الملك، إن في سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن هلكوا كان ذلك الذي أردت بهم، وإن ظفروا كان ملكاً أزددته، فبعث معه كسرى من كان في سجونه وكانوا ثمانمائة رجل ... فخرجوا في ثماني سفن، فغرقت سفينتان ووصل إلى ساحل عدن ست سفن، فجمع (سيف) إلى (وهرز) من استطاع من قومه، وقال له: رجلي مع رجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً، قال له وهرز: "أنصفت وخرج إليه (مسروق) ابن (أبرهة) ملك اليمن، وجمع إليه جنده فأرسل إليهم وهرز أبناءه ليقاتلهم، فيختبر قتالهم، فقتل ابن (وهرز) فزاده ذلك حنقاً عليهم"[3]. ويستمر (ابن هشام) في سرد القصة حتى انهزام الحبشة ودخول (وهرز) صنعاء.

ثانياً: قوات سيف تتلقى مساعدة فارسيّة

يشير (ابن قتيبة) إلى أن (كسرى) قد أرسل المساعدة اليمنيّة حملة قوامها

1- ابن هشام: السيرة، جـ1، ص65.

2 الأصفهانيّ: الأغاني، جـ17، ص208.

* أقدم ذكر للعلاقات الفارسيّة - اليمنيّة جاءت في النقوش اليمنيّة القديمة، يعود تاريخها إلى أواخر القرن الثالث الميلادي عهد الملك الحميري (شمر يهرعش بن ياسر يهنعم)، فقد ذكر النقش (شرف الدين 31)، إلى أن هناك سفيراً حميرياً أرسل إلى ملك العرب في مملكة فارس [ق ط و ص ف / و ك و ك م / م ل ك ت ي / ف ر س].

3- ابن هشام: السيرة، جـ1، ص 65 وما بعدها.

سبعة آلاف وخمسمائة رجل كان معظمهم من (الديلم)،[1] وضمّ إليهم كل من كـان في سجونه من المجرمين، وعيّن عليهم أحد قادته البارزين، ويسـمّى (وهـرز)، والذي كان حينها قائداً لمنطقة (الديلم) وينتمي للأسرة المالكة[2].

ما ذكره (ابن قتيبة) عن قوام الحملة الفارسيّة لليمن، هو الصواب، ولا يعقـل مطلقاً أن يغفل الفرس طلب (سيف بن ذي يزن)، فهذه فرصـة ثمينـة انتظرهـا الفرس طويلاً، تسمح لهم بالقضاء على نفوذ خصومهم (البيزنطيّين) في جنـوب شبه الجزيرة العربيّة، وبسط نفوذهم بدلاً منهم، وسبق وأن أشرنا إلى الأوضـاع الدوليّة وإلى الصراع الحاد الذي كان قائماً بين (فارس) و (بيزنطة)، على المنـافذ البحريّة الاستراتيجيّة لشبه الجزيرة العربيّة، ذلك الصراع الذي ظل متأججاً إلـى قبيل الدعوة المحمديّة، وانتهى في فجر الدعوة بانتصار بيزنطة وطرد الفرس من مصر، وبيت المقدس والشام عموماً، حينها كان الفرس قد ثبّتوا أقدامهم في اليمن كتعويض لخسارتهم في شمال شبه الجزيرة العربيّة.

إذاً فقد كان استنجاد (سيف بن ذي يزن) نابعاً من إدراكه لحقيقة ذلك الصـراع القائم بين الفرس وبيزنطة، عندما استغل تلك العداوة[3]، وتحقق له ما أراد.

وعندما وصل الجيش الفارسيّ إلى السواحل اليمنيّة، كان لنبأ قدومهم رد فعـل كبير، فالتحمت القوات الفارسيّة واليمنيّة، وأبلوا بلاءً حسناً، وفي تلـك المعركـة قتل (مسروق) ابن (أبرهة) وتشتت الجيش الحبشيّ، وفقد قادته السـيطرة علـى الموقف، وأمام هذا الوضع، اخترقت القوات الفارسيّة -اليمنيّة صفوف الأحبـاش وكان النصر حليفهم، فسار (وهرز) حتى وصل (صنعاء) في أبّهة عظيمة، كـان ذلك عام (575 م) . ووضع ذلك الانتصار نهاية للوجود الحبشي في اليمن.

بعد ذلك يحدثنا (الطبريّ) عن تسلسل الأحداث السّياسيّة لليمن، منذ الانتصـار على الأحباش حتى ظهور الإسلام فيقول عن (وهرز): "فلما ملك اليمن ونفى عنها الحبشة كتب إلى كسرى:" إني قد ضبطت لك اليمن وأخرجت من كان فيـها مـن الحبشة. وبعث إليه بالأموال، فكتب إليه كسرى يأمره أن يملّك (سـيف بـن ذي يزن) على اليمن وأرضها، وفرض كسرى على سيف بن ذي يزن جزية وخراجـاً يؤديه إليه في كل عام، وكتب إلى (وهرز) إن ينصرف إليه"[4].

1- ابن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم: "المعارف"، تحقيق: ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتـب، مصر1960م، ص638.

2- الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد: "اليمن في صدر الإسلام"، دار الفكر، دمشق، سـوريا 1408 هـ = 1987 م، ص26-27.

3 -الصّلويّ: الأخدود، ص 28.

4 - الطّبريّ: التاريخ، جـ 2، ص 117، 121، 157.

وبالفعل تولى (سيف) حكم اليمن، وقد أشارت المصادر العربيّة الإسلاميّة إلى الحفاوة التي تلقاها عند تولّيه حكم اليمن، حيث جاءت إليه الوفود العربيّة مباركة، وتروي بعض تلك المصادر[1] (إن عبدالمطلب بن هشام بن عبد مناف) جدّ الرسول كان ضمن وفد مكة واليمن تفرض تلك الدبلوماسيّة، أمّا ما ذكرته بعض تلك المصادر عن تنبؤات (سيف) بظهور نبيّ من نسل (عبدالمطلب)، فهو قول يحتاج لشيء من التروّي قبل قبوله.

لقد حكم (سيف بن ذي يزن) اليمن تحت طاعة الفرس كما حكمها قبله (سميفع أشوع) تحت طاعة الحبشة. لم تتحدث المصادر عن فترة حكم (سيف) لكن يبدو أنّه حكم منذ عام (575م)، ولم يدم حكمه طويلاً، بعدها تحدثنا المصادر إنّه لقي مصرعه على أيدي جماعة من الأحباش، ربما بدافع كراهيتهم الشخصيّة له. وقد كان عهد ولده (معد يكرب) -الذي خلفه تحت طاعة الفرس- قصيراً أيضاً[2].

1- الطّبريّ: التاريخ، جـ 2، ص 312 - 313.

2- المسعودي: مروج الذهب، جـ2، ص 206، وما بعدها.

الفصل السادس

اليمن تحت السيادة الفارسيّة حتى مجيء الإسلام

عـ
ا.
إلا
ما

مـ
فا

ع
الـ
بالـ
الـ

الا
و
ا

الإ
الـ
الـ
مز
وا

-1
-2
3
4
5
وه
وم
ـ

بعد موت الملك اليزنيّ (سيف بن ذي يزن)، حكم الفرس اليمن حكماً مباشراً، عندما عاد (وهرز) مرة أخرى إلى اليمن، ومعه أمر من (كسرى) بقتل الأحباش، حيث يقول (الطّبريّ) أقبل (وهرز) حتى دخل اليمن ففعل ذلك ولم يترك بها حبشياً إلاّ وقتله، ثم كتب إلى (كسرى) بذلك، فأمّره (كسرى) عليها، وبقي عليها حتى مات، ثم أمّر بعده ابنه (المرزبان) وتوالى الولاة الفرس على اليمن"[1].

بدخول الفرس اليمن وسيطرتهم عليه، أصبح اليمن مقاطعة فارسيّة تحكم من مدائن (كسرى) مباشرة، بل وكان بمثابة القسم الرابع في التقسيم الإداري لمملكة فارس، أطلق عليه (إصبهبذ تيمروز)[2].

وبالرغم من وقوع اليمن تحت السيادة الفارسيّة، إلاّ أنّ وجودهم قد اقتصر على بعض المدن الرئيسيّة (كصنعاء) و (عدن)، والمراكز التجاريّة الهامة و كان الغرض من تواجدهم فيها جباية الرسوم الجمركيّة .من هنا تحقق للفرس حلمهم بالسيطرة على مخارج التجارة البريّة والبحريّة من بلاد اليمن وإليها عن طريق البحر الأحمر (الهندي) إلى جانب ما كانوا يسيطروا عليه من تجارة الخليج العربي[3].

وقد ترك الفرس المخالف في يد الأقيال والإذواء الذين كانوا هم الحكام الأصليون، وقد برز منهم (المثامنة) –سبق وأن أشرنا إليهم– وهم: (ذو ثعلبان) و (ذو خليل) و (ذو سحر) و (ذو جدن) و (ذو صرواح) و (ذو مقار) و (ذو حزفر) و (ذو عثقلان)، وهي ثمانيّة بيوت لا يستقيم حكم اليمن إلاّ بهم.

ظل الأقيال والأذواء يؤلفون القوة السّياسيّة الأساسيّة في اليمن إلى العهد الإسلاميّ، وما يؤكد ذلك، الرسائل التي جاءت من الرسول بصدد البعثات المرسلة إليهم، عندما أرسل الأقيال إلى الرسول (ﷺ) مبعوثاً يخبره برغبتهم في الدخول في الإسلام، فكتب إليهم الرسول (ﷺ) كتاباً يشرح ما لهم وما عليهم فيه من الحقوق والواجبات[4]. كل ذلك يعكس –دون أدنى شك– الأوضاع العامة والنفوذ السياسيّ والاقتصاديّ السائد آنذاك.

تتابع على حكم اليمن خمسة من ولاة الفرس كان أخرهم (باذان)[5] ، الذي

1- الطبريّ: التاريخ، جـ 2، ص 117، 121، 157.

2- المصدر نفسه، جـ 2، ص 99، أنظر أيضاً: الشجاع: المرجع السابق، ص 27.

3 –عبدالعزيز صالح: المرجع السابق، ص 134.

4 –الهمدانيّ: الإكليل، جـ 2، ص 271، نشوان: القصيدة، ص 156 – 157.

5 –عدّد (الطّبريّ) أسماء الولاة الفرس الذين حكموا اليمن وهم: (وهرز)، و (المرزبان بن وهرز) و (البينجان بن المرزبان بن وهرز)، ثم (خرخسرة بن البيجيان بن المرزبان بن وهرز)، ومن ثم (باذان) أخو (خرخسرة) وهو أخر والي فارسيّ حكم اليمن، أنظر: الطّبريّ: التاريخ، جـ2، ص 117، 121، 157.

اعتنق الإسلام في عهد الرسول (ﷺ)، وبعد موت (باذان) ولى النبي (ﷺ) ابنه (شهرباذان) على صنعاء وولى على كل جهة واحداً من الصحابة (رضوان الله عليهم)[1]. وقد امتزج من تبقى من الفرس باليمنيين وأطلق عليهم اسم (الأبناء).

وبدخول اليمنيّين في الإسلام عام (628م)، تنطوي صفحة من صفحات التاريخ السياسيّ لليمن القديم، وتبدأ صفحة مشرقة ساطعة يسجّل عليها اليمنيّون تاريخهم الإسلامي بأحرف من نور.

1- القلقشندي، ابي العباس أحمد: "صبح الأعشى"، جـ 5، المطبعة الأميريّة، القاهرة، 1915، ص26.

المصادر

أولاً :

القرآن ا

التوراة:

الأ

1- الأ

— "أ

2- الأ

— "ت

منـ

3- ابن

09

— "ا

1)

— "ا

حـ

4- ابن

— "ا

مكـ

5- ابن

—"ا

6- ابن

—"ا

7- ابن

— "ا

(م

8- الحـ

— "

الـ

عـ

58

— "

الـ

أولاً: المصادر العربيّة:

القرآن الكريم.
التوراة: الكتاب المقدس، إلى كتب العهد القديم والعهد الجديد، ترجم عن اللغات الأصلية، جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأدنى، بيروت، 1966.

1- الأزرقي، محمد بن عبدالله بن أحمد (ت 222 هـ = 837 م).
- "أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار". ت: فستنفلد غوتّنغن (1858م).

2- الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت 360 هـ = 980 م).
- "تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)" الجزء الأوّل، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (1961م).

3- ابن حبيب البغدادي، محمد بن حبيب بن أميه بن عمر الهاشمي (ت 245 هـ = 809م).
- "المحبّر"، تحقيق: إيلزه ليختن شتيتر، مطبعة المعارف العثمانية، حيدر أبّاد (1361 هـ 1942م).
- "المنمّق في أخبار قريش"، تحقيق: خورشيد أحمد، دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند (1384 هـ = 1964 م).

4- ابن سعيد الأندلسي، على بن موسى بن محمد بن عبدالملك (ت685 = 1286م).
- "نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب" جـ1، تحقيق: نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عمان (1982م).

5- ابن قتيبة الدينوري، أبي محمد عبدالله بن مسلم (213هـ = 889 م).
-"المعارف"، تحقيق: ثروت عكاشه، مطبعة دار الكتب، مصر (1960م).

6- ابن كثير الدمشقي، (أبو الفداء)، (ت 774هـ)، الحافظ بن كثير.
-"البداية والنهاية"، الجزء الأوّل، بيروت (1966م).

7- ابن هشام، أبو محمد عبدالملك (ت218 هـ = 833 م).
- "سيرة النبي"، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر للطباعة والنشر (مصورة عن الطبعة المصرية 1937م).

8- الحميري، نشوان إبن سعيد (ت 1117م تقريبا).
- "ملوك حمير وأقيال اليمن"، قصيدة نشوان ابن سعيد الحميري، وشرحها المسماة، "خلاصة السيرة الجامعة لعجائب الملوك التبابعة، حققها وعلق عليها، علي بن اسماعيل المؤيد، واسماعيل بن أحمد الجرافي، القاهرة (1378 هـ = 1958 - 1959م).
- "منتخبات في أخبار اليمن" من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الطبعة الثانية (مشروع الكتاب 3/8)، صنعاء (1981م).

9- الطّبري، أبو جعفر بن جرير بن يزيد بن كثير (ت310 هـ = 923م).
-"تاريخ الرسل والملوك"، جـ2، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دائرة المعارف، مصر (1961).
10- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (ت بعد 400 هـ = 1010م).
- "الأوائل" تحقيق: محمد المصري، ووليد قصّاب، الجزء الأول، بلا تاريخ.
11- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(ت 346 هـ= 957- 958م).
- "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، تحقيق: شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانيّة، بيروت (1966م).
12- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (لسان اليمن) (ت 360 هـ = 970م) تقريبا.
- "كتاب الإكليل"، الجزء الأوّل، حققه وعلّق عليه، محمد بن علي الأكوع الحوالي، القاهرة (1977م).
- "كتاب الإكليل"، الجزء الثاني، حققه وعلّق حواشيه، محمد بن علي الأكوع الحوالي، القاهرة (1967م).
- "كتاب الإكليل"، الجزء الثامن "في محافد اليمن ومساندها وقصورها ومراثي حمير والقبوريات"، تحقيق: محمد بن علي الاكوع الحوالي، القاهرة (1979م).
-"صفة جزيرة العرب"، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، الرياض (1394 هـ = 1974م).
13- ياقوت الحمويّ، شهاب الدين أبو عبدالله بن عبدالله (ت 626 هـ = 1228م).
- "معجم البلدان"، الطبعة الرابعة، دار صادر، بيروت (1977م).

ثانياً: المراجع العربيّة والمعرّبة:

1- أحمد فخري:

- "دراسات في تاريخ الشرق القديم"، ط 2، القاهرة (1963).
- "رحلة أثريّة إلى اليمن"، ترجمة: هنري رياض، ويوسف محمد عبدالله، مراجعه، عبدالحليم نورالدين، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية اليمنية (مشروع الكتاب 2/21) صنعاء (1988).

2- أحمد حسين شرف الدين: "تاريخ اليمن الثقافي" - الجزء الثاني والجزء الثالث القاهرة (1387 هـ = 1967).

3- الإرياني، مطهّر علي:

- "في تاريخ اليمن، نقوش مسنديّة وتعليقات" ط 2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (1990).
- "قصر غمدان بين الحقيقة والأسطورة"، مجلة دراسات يمنيّة العدد الرابع، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء (1980) ص 112-122.

4- أسامه عبدالرحمن النور: "مجتمعات الاشتراكية الطبيعيّة" اورينتال للنشر والطباعة والتوزيع، مدريد (1983).

5- الكسندر ديمجريه: المجموعة المعمارية الأثرية السبئية في وادي (يلا) "خولان الطيال"، تعريب، عثمان خليفه، سيمو، روما، (1988).

6- الأكوع الحوالي، محمد بن علي:

- "اليمن الخضراء مهد الحضارة"، القاهرة (1391 هـ = 1971).

7- بافقيه، محمد عبدالقادر:

- الأقيال والأذواء ونظام الحكم في اليمن القديم، مجلة دراسات يمنية العدد (27) مركز الدراسات اليمني، صنعاء (1987) ص141- 154.
- "آثار ونقوش العقلة"، دراسة ميدانية لأحد المواقع الأثريّة بالقرب من شبوة في منطقة حضرموت، القاهرة (1967).
- "تاريخ اليمن القديم"، بيروت (1973).
- "في العربية السعيدة"، دراسات تاريخية قصيرة جـ1، 2، مركز البحوث اليمني، صنعاء (1987).
- "المستشرقون وآثار اليمن" (قصة المستشرق السويدي الكونت لند برج) من خلال مراسلاته مع اليمنيين (1895 - 1911) المجلّد الثاني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (1988).

– "موجز تاريخ اليمن قبل الإسلام"، الفصل الأول من كتاب مختارات من النقوش اليمنية "لمحمد عبدالقادر بافقيه، والفريد بيستون وكريستيان روبان، ومحمود الغول، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس (1985).

–"هوامش على نقش عبدان الكبير"، مجلة ريدان العدد (4)، لوفان (1981) ص 29 – 48. في القسم العربي.

–اليزنيون وخلفية الأحداث التي أدت إلى قيام وسقوط حكم الأحباش في اليمن قبيل الإسلام، في كتاب "العربية السعيدة"، للمؤلف نفسه، جـ 1، ص 83 – 106.

8– بافقيه، محمد عبدالقادر وروبان كريستيان:

–"أهمية نقوش جبل المعسال"، مجلة ريدان العدد (3) لوفان (1980) ص 9 – 29. في القسم العربي.

–"من الفاظ المسند"، مجلة ريدان العدد (4) 1981 ص (49 – 58) في القسم العربي.

–"من نقوش محرم بلقيس"، مجلة ريدان العدد (1) (1987)، ص (11–56)، في القسم العربي.

–"نقش أصبحي من حصي"، ريدان العدد (2) 1979 ص (11 – 23)، في القسم العربي.

9– بافقيه، محمد عبدالقادر، الفريد بيستون، كريستيان روبان، ومحمود الغول:

–"مختارات من النقوش اليمنية"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس (1985).

10– بتروفسكي، م .ب: "اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة" (القرن الرابع حتى العاشر الميلادي)، دار العودة، بيروت، (1987).

11– بريتون، جان فرانسوا:

–"تقرير أولي عن معبد عثتر –ذو رصف– مدينة السوداء"، مجلة دراسات يمنية العدد (38) مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (1989). وادي ضراء، ص211 – 219.

12– بريتون جان فرانسوا وآخرون:

–"وادي حضرموت تنقيبات"، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف (عدن) تقرير (1978 – 1979) بيروت (1980).

13– بلفقيه، عيدروس علوي:

–"جغرافية اليمن"، دراسة إقليمية، جـ 1 (دراسة لم تنشر).

14– بيرن جاكلين:

-"اكتشاف جزيرة العرب"، خمسة قرون من المغامرة والعلم، نقله إلى العربيـة: قدري قلعجي، قدم له، الشيخ حمد الجاسر، منشورات الفاخريـة -الريـاض، ودار الكتاب العربي، بيروت، بلا تاريخ.

15- بيستون أ. ف. ل، وريكمنز جاك، والغول محمود، ومولر والتر:

-"المعجم السبئي" (بالانجليزيه والفرنسيه والعربية) منشورات جامعة صنعـاء، دار نشريات بيترز، لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت (1982).

16- ثوركلد هانس: "من كوبنهاجن إلى صنعاء"، ترجمة: محمد احمد الرعـدي، (اصـدارات مركز الدراسات والبحوث اليمني)، صنعاء، دار العودة، بيروت (1983).

17- جريزنفتش بطرس افان:

- الحضارة اليمنية في الاستشراق، مجلة دراسات يمنية العـدد، (32)، مركـز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (1988) ص(116 - 133).

18- جينيه بول:

- "ملاحظات على آثار جنوب الجزيرة العربية، مجلة دراسات يمنيـة، العـدد (27) صنعاء 1987، ص (109 - 138).

19- جواد علي:

- "المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام" جـ (1 -3) دار العلـم للملاييـن، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد (1976)، (1977)، (1969).

20- حبشوس حبيم يحيا: "رؤية اليمن (1311 هـ = 1893)" ترجمة وتحقيق: سـاميه نعيم صغير، في كتاب رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي.

21- حوراني، جورج فضلو:

- "العرب والملاحة في المحيط الهندي"، ترجمة: يعقوب بكر، وتصدير: يحـي الخشاب، مكتبة الانجلو - المصرية القاهرة، بلا تاريخ.

22- خالص الأشعب:

- "اليمن، دراسة في البناء الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي" دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، الجمهورية العراقية، بغداد، (1982).

23- خزري، أمير خانوف:

- "الأبحاث الباليوليثيه في وادي دوعن"، نتائج أعمال البعثة اليمنية -السـوفيتية لعام (1986) المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن (1986).

- "العصر الحجري في حضرموت"، نتائج أعمال البعثة اليمنية - السوفيتية لعام (1985)، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف (عدن) (1985).

24- ديورنت ويل:

– "قصة الحضارة"، ترجمة: محمد بدران، الجزء الأول، المجلّد الثالث، (الحضارة الرومانية)، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، (1955).

25- روبان كريستيان:

– "آثار اليمن وتطور دراستها"، الفصل الثالث من كتاب مختارات من النقوش اليمنية، بافقيه وآخرون...

– "انتشار العرب البداة في اليمن من القرن الثاني إلى القرن العاشر الميلادي"، ترجمة: على محمّد زيد، مجلة دراسات يمنية العدد (27) مركز الدراسات اليمني، صنعاء (1987) ص (83 – 107).

26- سحّاب، فيكتور:

– "إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف"، كومبيو نشر، المركز الثقافي العربي، بيروت (1992).

27- السقاف، حمود محمد جعفر، أول نقش يذكر مكرب أوسان، ريدان، حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، العدد 6، لوفان، 1994م، ص 111 – 120.

28- الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد:

– "اليمن في صدر الإسلام" دار الفكر، دمشق، سوريا (1408 هـ = 1987).

29- الشيبه، عبدالله حسن:

– "إسهام العرب في قيام وتطور أكسوم"، مجلة الإكليل العدد (4) السنة السابعة 1989، ص (31 – 39).

30- الصايدي، أحمد قائد:

– "المادة التاريخية في كتابات" نيبور "عن اليمن"، دار الفكر المعاصر، بيروت (1990).

31- الصلوي، إبراهيم:

– "قصة أصحاب الأخدود" الجامعة اللبنانية، بيروت (1979)، (رسالة ماجستير لم تنشر).

32- عامر سليمان، وأحمد مالك الفتيان:

– "محاضرات في التاريخ القديم"، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد (1978).

33- عبدالحليم نورالدين:

– "مقدمة في الآثار اليمنيّة"، منشورات جامعة صنعاء، (1405هـ – 1985).

34- عبدالعزيز صالح:

– "تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة"، مكتبة الانجلو – مصريه، القاهرة (1988).

35- العربي، خالد يحي:

- "الواقع التاريخي لسلطنة عمان"، دراسة ومشاهدات، منشورات مكتبة الدار القومية للكتاب العربي، بغداد (1986).
36- العظم، نزيه مؤيد:
- "رحلة في بلاد العربية السعيدة، من مصر إلى صنعاء ط 2 (1405هـ-1985).
37- "العمري، حسين عبدالله، والارياني مطهر علي، ويوسف محمد عبدالله:
- "في صفة بلاد اليمن عبر العصور، من القرن السابع قبل الميلاد حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي"، دار الفكر المعاصر، بيروت 1995.
38- غريازنيفسكي:
- "تاريخ حضرموت وحضارتها"، قضايا دراستها والبحوث الأخيرة، الفصل السادس من كتاب "الجديد حول الشرق القديم"، لمجموعة من المستشرقين السوفيِّت، ترجمة: جابر ابي جابر، دار التقدم، موسكو (1988).
39- فيليبس ويندل: "كنوز مدينة بلقيس" قصة اكتشاف مدينة سبأ الأثريّة في اليمن، تعريب عمر الديراوي، جـ 2، دار الكلمة صنعاء، بلا تاريخ.
40- لوندن. أ. ج:
- "اليمن إبّان القرن السادس الميلادي"، ترجمة: محمد علي البحر، مجلة (الإكليل)، الحلقة الأولى، العددان، (3-4)، (1409- 1988)، ص (10- 35)، الحلقة الثانية، العدد الأول، السنة السابعة (1409- 1989) ص (120- 131)، الحلقة الثالثة، العدد الثاني السنة السابعة (1409-1989) ص (22- 33)، وزارة الأعلام، الجمهوري العربية اليمنية (صنعاء).
- الموظف والدبلوماسي السبأي، ترجمة قائد طربوش مجلة (الإكليل) العدد (2) السنة السادسة، وزارة الإعلام صنعاء (1988) ص (19 -25).
41- محمد توفيق، يوسف حسن، وعمر، حسين شريف، وعدنان باقر النقاش:
- "أساسيات علم الجيولوجيا"، ط 3 - نيويورك، سنغافورة، (1988).
42- نولدكه ثيودور: "أمراء غسان من آل جفنة"، ترجمة: بندلي جوزي، وقسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكيه بيروت (1933).
43- نئيس ديتلف وفرتز هومل ورودو كاناكيس وادولف جردمان: التاريخ العربي القديم، ترجمة د.فؤاد حسن علي، مراجعة زكي محمد حسن، القاهرة 1993م.
44- هاليفي جوزيف:
- "تقرير عن بعثة أثريّة إلى اليمن" ترجمة، منير عربش، مراجعة علي محمد زيد، نشر في كتاب: رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي، اصدار مركز الدراسات والبحوث، دار الفكر المعاصر، بيروت (1992) ص139-189.

45- هومل فرتز:
- "التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية"، الفصل الثاني من كتاب "التاريخ العربي القديم". لدتلف نيلسن وآخرون.
46- ولفنسون، إسرائيل:
-"تاريخ اللغات السامية" دار القلم، بيروت، لبنان (1980).
47- يوسف، محمد عبدالله:
-"أوراق في تاريخ اليمن وآثاره"، بحوث ومقالات (جـ 1، 2) منشورات وزارة الإعلام والثقافة، الجمهورية اليمنية، صنعاء الطبعة الأولى، شركة دار التنوير للطباعة والنشر بيروت (1406هـ -1985).
-"حمير بين الخبر الأثر"، مجلة دراسات يمنية العدد (42)، مركز الدراسات والبحوث صنعاء (1990)، ص(28- 48).
-"نقش القصيدة الحميرية أوترنيمة الشمس"، (صورة من الأدب الديني في اليمن القديم)، مجلة (ريدان) العدد الخامس، دار الهمداني، عدن (1988) ص (81 -99).

ثانياً: المراجع الأجنبيّة

1- ALBRIGHT, Frank. P. أنظر:

– Bowen. R. Le Baron and F. P. ALBRIGHT Archaeological Discoveries ...

2- ALBRIGHT, William. F.

– "The Chronology of Ancient South Arabia in the Light of First Campaign of Excavation in Qatabān"dans (BASOR), 119, October 1950, pp. 5- 15.

– "The Chronology of the Minean Kings of Arabia, (BASOR), 129, (1953).

3- BAFAQIH. Muhammed 'Abd al - Qadir .

– "L'unification du Yémen antique, la lutte entre Sabā'- Himyar et le Hadramaut du I er au III eme siecle de l'ere chretienne", Paris (1990).

– "The Site of Kadūr, in (PSAS), 12, London, 1982, pp.1-5.

4- BAFAQIH. M and Christian ROBIN

– "Inscription inedites de Yanbuq", dans Raydan, 2, 1979, p. 15-76.

5- BEESTON, Alfred F. L.

– "Epigraphic and Archaeological Geanings frome South Arabian, dans, Oriens Antiquus, Rome, 1962, pp.41- 52.

– "Katabān" dans Encyclopedie de l'islam, (nouvelle édition), Tome 4, 1978, pp. 775-778.

– "The Mercantile code of Qatbān" part of (Qahtān, Studies in old South Arabian Epigraphy), Luzac, London Fascicule I of 1959, and Fascicule 2 of 1971.

– "Nemara and Faw", dans (BSOAS), 42, 1979 pp.1-6.

– "New Light on the Himyaritic Calendar" in Arabian Studies, I, 1974, pp.1-6.

– "Pliny's Gebbanitae" dans (PSAS), 2, 1972,pp.4-8.

6- BOWEN, Richard Le Baron Jr.

- "Ancient Trade Routes in South Arabia" Archaeological Survey of Beihān and
- "Irrigation in Ancient Qatabān (Baihān)", dans BOWEN, R, le B., and F..P. ALBRIGHT, Archaeological Discoveries..., pp. 35- 42. 43- 131.

7- BOWEN, Richard le Baron Jr, and Frank P. ALBRIGHT.

- "Archaeological Discoveries in South Arabia" with contributions by B. SEGALL, J. TERNBACH, A. JAMME, H. COMFORT et G. W. Van BEEK, with foreword by Wendell PHILLIPS (Publications of the American Foundation for the study of Man, Vol, II), Baltimore, 1958.

8- BRETON. Jean - Francois

- "Le château Royal de Shabwa, notes d'histoire", Extrait de la Revue SYRIA, tome LXVIII, 1991, Paris 1991, pp. 209- 227.
- "Conclusion: Shabwa et les capitales sud - arabiques (I er - IV Siecle de notre ere)", Extrait de la revue SYRIA, tome LXVIII, 1991, Fascicules 1-4 Paris 1991, pp. 419- 431.
- "Rapport sur une mission Archéologique dans le wādī Hadramaut, en 1979" Académie des inscriptions et Belles- Lettres, Paris 1980. pp. 57- 80.
- "Le Temple de Syn - D - Hlsm a Bāqtfa", Raydān vol 2, 1979. pp. 185- 202.
- "Wādī Durā" Rapport de la mission francaise au Yemen, Aden 1985.

9- BRETON. J. F, ROBIN. ch, SEIGNE. J, AUDOUIN. R:

- "Rapport prélinaire sur la fouilles de château royale de Shabwa", (1980 - 1981), dans Raydān, vol, (4), 1981.
- "La Muraille de Nagab al - Hağar (Mayfa 'a)" Extrait de la revue SYRIA, tome LXIV, 1987, Paris 1987, pp.1 - 20.

10- BRUNNER:

- "Uli Archaedogische Berichte ans dem Yemen II," S. Swiss Final Report.

11- CATON THOMPSON Gertrude .

- "Climate Irrigation and Early Mon in the (Hadramaut)" Geographical Journal 93, pp. 18 - 19,29 - 35 Januray (1939).

— "Some Palaeoliths from South Arabia" Proceedings of the Prehistoric Society, XIX, 1953, pp. 189 - 218.

— "The Tombs and Moon Temple of Hureida (Hadramaut)" (Reports of the Research committee of the Society of Antiquaries of London, n°XIII), Oxford, (1944).

12- CLEVELAND Ray. L:

— "An Ancient South Arabian Necropolis, Objects from the Second Campaign (1951) in the Timna Centery" (Publication of the American Foundation for the study of man, vol, IV), Baltimore, (1965).

13- Corpus Inscriptionum Semiticarum

— Pars quarts, Inscriptions Himyariticas et Sabaeas Continens, t . I, II et III Parisiis, 1889 - 1932 (Inscriptions n° 1 - 985).

14- Corpus des inscription et antiquites sud - Arabes

— Tome 1, section I: inscriptions .

— Tome 1, section 2: antiquites

— (Academie des inscriptions et Belles - Lettres) Louvain (977).

15- DE MAGRET, Alcssandro .

— "A Bronze Age for Southern Arabia" " East and west", 34, (1984).

16- DE MAGRET, A . and ROBIN, Ch .

— "Les fouilles Italénnes de Yalā, nouveles donnees sur la chronologie de L'Arabie du sud pré - islamique" (Académie des inscriptions et belles - letters), seances de l'année (1989) Avril - Juin, Paris 1989 . pp .255 - 291 .

17- DOE Brian .

— "Port of Husn al - Qurāb or site of Qanā" Centre of Ancient Archaeologcal Bulletin n°(3), Aden, July 1964, pp .9 - 13 .

— "Southern Arabia" (New Aspects of Antiquity) London, (1971).

18- DREWES, A. J.

— "Note Additiennelles au sujet d AL - Brira", le Muséon n°: LXXV, 1967, p . 211 - 212 .

19- FAKHRY Ahmed .

— "An Archaeological Journey to Yemen" (March - May 1947) Cairo, part I, 1952
part II, Epigraphical Texts by G . Ryckmans, 1952
part III, plates, 1951

20- GARBINI . G .

— Antichita yemenite, (I) dans AION, 30 (NSXX) 1970, pp. 400 - 404 et pl 1 - XVIII "Antichita yemenite II"dans AION, 30 (NSXX) 1970, pp. 537 - 548 et pl. XIX - XLVI.

21- AL - GAROO Asmahan .

— "Les antiquités du Yémen dans louvres d Al - Hamadānī" (thése) Paris (1986) .

22- GERCIA . Michel, and RACHAD . M .

— "Mission de releve d'art rupestre au Yémen (1989)"(Rapport 1987) .

23- GLASER . E .

— "Von Hodeida nach Sanā vom 24 . April bis I . Mai 1885", dansPetermanns Mitteilungen, 32, 1886, p. 1 - 10, 33 - 48 .

24- GROOM Nigel St . J .

— "A sketch Map of South West Arabia Showing pre-islamic Archaeological sites", scale 1: 1000 000 (The Royal Geographical Society), London 1976 .

— "Frankincense and Myrrh". A study of the Arabian Incense Trade (Arab Background Series), London and New York (1981).

25- HAMILTON . B . A . B .

— "Six Week in Shabwa", dans Geographical Journal, vol (3) (1942).

26- HARDING . G . G .Lankester .

— "Archaeology in the Aden Protectrates", London, (1964).

27- INIZAN, Marie - Louis .

— "Premiére élements de Pre-histoir, dans le region de Shabwa, Raydan, tome (5), Aden, (1988) .

28- JAMME, Albert .

— "Une nouvelle chronologie des rois de Sabā' et de Raydān", dans Bior, XXII, 1965, pp. 3 - 7.

— "Sabaean Inscription from Mahram Bilqīs (Marib) Yemen" (Publications of the American Foundation for the Study of Man, III), Baltimore, 1962, (Jamme 550 - 856).

29- LUNDIN, A . G .

— "Gosudarstvo Mukarribov Sabā' (Sabejskij eponimat), Moskva, Akademija Nauk SSSR, Institut vostokovedenija) (1971) .

30- NIEBUHR . Carsten.

— "Beschreibung von Arabien" Aus eigenen Beobachtungen und im Lande Selbst gesammelt Nachrichten Kopenhagen, 1972, Nachdruck (1969).

31- The Periplus .

— SCHOFF . W: أنظر

32- PHILLIPS Wendell .

— "Qatabān and Sabā', En explorant les anciens royaumes d' Arabie a travers les routes bibliques des épices", traduit de l'american par Gabrielle Rives, Paris, 1956 .

— "Unknown Omān" London, 1966 .

33- Philpy, H . st John .

— "The Background of Islam" Alexandria, 1947 .

— "The Land of Sheba"dans, Geographica Journal, vol XCII, July 1938.

34- PIRENNE Jacqueline .

— "A la découverte de l'arabie (cinq siécle de science et L'aventure)" Paris (1958).

— "Ce que trois campagnes de fouilles nous ont déja' appris sur Šabwa, capitale de Hadramaut" dans Raydān, vol I, 1978, pp. 125 - 142 .

— "Chronique d'archéologique sud-arabe,1955 - 1956" dans, Annales D ethiopie n° II, 1957 .

— "Le cimetiére royal de Awsān, l'histoir du (Wusr) dans", Raydan, vol (4), 1981, pp. 204 - 240.

— "Corpus des inscriptions et antiquites sud-arabe, tome II, (le Musée d' Aden) Louvain (1986) .

— "De la chronologie des inscription sud-arabes apris la fouilles du temple de Marib (1951 - 1952)," dans Bior, XXVI, 1969 pp. 303 - 311

— "Deux Prospections historiques den sud-Yémen (November - Décember 1981", dans Radān, 4, 1981, pp. 205-240,et pl. I - XIV.

— "Deuxiéme mission archéologique Francaise au Hadramaut, Yemen du sud, de désembre 1975 a fevriér 1976", (Académie des inscriptions et belles - lettres), Paris 1977 pp. 412 - 426 .

— "La Grece et Sabā', une nouvelle base pour la chronologie sud-arabe, dans, mémoires présentes par divers savants a l'académie des inscriptions et Belles-Lettres, t.xv .(1955) pp.89 - 196 .

— "Paléographie des inscriptions sud-arabes contribution a la chronologie et a l'histoir de l'arabie du sud antique", Tome I, Des origines jusqu a l epoque himyarite, Bruxelles, (1956) .

— "Prospéction historique dans la région du royaume de Awsān", dans Raydān vol (3), Louvain 1980, pp. 213 - 255 .

— "Le royaume sud - arabe de Qatabān et sa datation d'aprés l'archéologie et les sourses classiques jusqu ' au Periple de la mer Erythree", avec contribution de Andre MARICQ, Louvain, 1961.

— "La statuette d un roi de Awsān", (note d'archéologie sud-arabe II, dans SYRIA XXXVII, 1961, pp.284 - 301.

— "Les témoins écrits de la région de Shabwa et l'histoir", (fouilles de Shabwa) Tome I, Paris (1990) .

35- PIRENNE . J et ROUX . J . CI .

— "Deux tombes de Shabwa, 1975 - 1976"(Rapport).

36- PLINE / PLINY .

— "Natural History", with an english translation by H.Rackham (The Loeb Classical Library), Cambridge (Massachusetts) - London, II (Books (III - VII), 1943 (reprinted 1969) ; IV (Books XIIXVI), 1945 (reprinted 1968) .

37- RATHJENS . C . and . WISSMANN Hermann Von .

— "Vorislomische Altertumer", Hamburg (1932) .

38- RES: Réprotoire d'épigraphie Sémitique .

— Publie par la Commission du corpus inscrioptionum semiticarum (Académie des inscriptions et Belles - Lettres) tome V, 1927 (RES

2624 - 3052), tome VI, 1935 (RES 3052 - 3946), tome VII, 1950 (RES 3947 - 5106) .

39- ROBIN, Christian

— "A propos des inscriptions in situ de Barāqish, l'antique" ytl "(Nord Yémen)", dans PSAS, 9, 1979,p. 102 - 112 .

— "L'arabie du sud antique", dans Bible et Terre Sainte, n° 177, janvier 1979, p. 2-7 .

— "Les études sudarabiques en langue francaise", janviér 1977

— juillet 1978", dans Raydān, I, 1978, p. 75 -80 .

— "Gurre et épidémie dans les royaumes d'Arabie du Sud, d'aprés une inscription datée (11e siécle de l'ére chrétienne Académie des inscriptions et belles - lettres, comptes rendus des seances et de l'année (1992, janviér - mars), Paris 1992, pp. 215 - 234 .

— "Les hautes - terres du nord - Yémen avant l'Islam", vol, I: Recherches sur la géographie tribale et réligieuese de Hawlān Quda'a et du Hamdān ; vol . II: Nouvelles inscriptions, Istanbul, 1982 . .

— "Du nouveau sur les Yazanides", dans Proceeding of the Seminar for Arabian Studies (PSAS) 16,London (1986), P.181...

— "Aux origines de l'etat Himyarite. Himyar et du -Raydān", dans, Arabian Studies in Honour of Muhmoudal - Ghul, Yarmauk University, Wiesbaden, 1989 .

— "La premiére intérvention Abyssin en Arabie merdional (de 200 - 270 de lére chrétiénne environ)" dans proceeding of the English International Conference of Ethiophian Studies vol 2, AddisAbaba, 1989, p. 149 ...

— "Resultats épigraphiques et archéologiques de duex brefs sejours en République Arabe du Yémen", dans Semitica, XXVI, 1976, P. 167 - 187 .

— "Trois inscriptions Sabéenes découvertes prés de Barāqiš", (PSAS), vol 17, 1987 .

40- ROBIN, ch, et BRON . F :

— Deux inscriptions du Haut - Yafi, dans Semitica, XXIX, 1979, pp. 132 - 145 .

41- ROBIN, christian, et J.F BRETON, et, J .RYCKHýMANS.

– "Le Sanctuair de NKRH a Drab as - Sabī, environ de Baraqīs", Raydān, 5, 1988.

42- ROBIN, Ch . et Jacques RYCKMANS.

– "L'attribution d un bassin a une divinité en Arabie du Sud antique", dans, Raydān, I, 1978, pp. 34 - 64.

43- RODINSON Maxime.

– "Mahomet", (3) eme édition du Seuil, Paris 1979.

44- RYCKMANS Gonzague.

– "Inscriptions sud - arabe, 8e série" dans le muséon . LXII, 1949, pp. 55 - 124.

– "Inscriptions sud - arabe 13e série" dans le Muséon, LXIX, 1956, pp. 139 - 163, et pl. I.

– "Inscriptions sud - arabe 17e série", dans Le Muséon, LXXII,1959, pp . 159 - 176 . et p1 . I - III.

45- RYCKMANS Jacques .

– "Les fauilles du Hurayda (Hadramaut)", Muséon LVII, (1944), pp.163 - 175 .

– "L'institution monarchique en Arabie médionale avant I'slam"(Ma^{c}-in et Sabā') (Bibliotheque du Muséon, 28) Louvain,(1951) .

– La persécution des chrétiéns Himyarites au sixiéme siécle, Istambul, 1956.

46- AL-SCHEIBA . Abdalla Hassan .

– "Die ortsnamen in den altsudarabischen inschriften (mit dem versuch ihrer Identifizierung und Lokalisierung),Inaugural Dissertation zur Erlangung der Doktorwurde Marburg / Lahn, (1982) .

47- SCHOFF, Wilfed . H .

– "The Periplus of the Erythraean Sea", (trans and commentary) Longman, Green, New York, (1912).

48- STRABO .

– "The Geography" trans . by H . L . Jones, Loeb Classical Library, London, 1930 .

49- VAN BEEK . G . W .

— "Hajar bin Humeid . Investigation at a Pre - islamic Site in South Arabia", with contributions by A. Jamme,C . Van Beek M .Salmon, R . al - Kital, Lui - Heung Chan, E . Sayre, T. Soderstrom and W .Melson foremord by W. Phillips (Publication of the American Foundation for the study of Man, Vol V), Baltimore, (1969) .

— "Recovering the Ancient civilization of Arabia", dans the biblical Archaeologist, vol, xv, (1952).

— "South Arabian History and Archaeology" extrait par, the Bible and the Ancient neer East, ed: by, G . Ernest Wright, London (1961) pp. 229 - 248 .

50- Van BEEK, G . W . and, G . H . COLE, and JAMME . A

— "In Archaeological Reconnaissance in Hadramaut, South Arabia", a Preliminary Report. Smithsonian Inslitution Report (1963- 1964) pp. 525 - 534 .

51- WILLIAN C . BIRCE

— "Asystematic Regional Geography", volume VIII, South - West Asia, London, (1966), pp. 246 - 276 .

52- WISSMANN . H . VON

— "AL - Barira in Ğirdān" im Vergleich mit anderen Stadtfestungen Alt - Sud - arabiens, Le Museon, 75, 1962, pp. 177 - 209 .

— "Himyar Ancient History", Le Museon 77, 3 - 4 . 1964, pp. 429 - 498 .

— "Southern Arabia" [Carte], Sheet 2, Royal Geographical Society, London, (1958) .

مراجع الخرائط

1- خريطة للجغرافيN. Groom

- GROOM N . St. . J : A sketch Map of South West Arabia, showing Pre - islamic Archaeological (sic) Sites, Scale 1:1.000 000, London (The royal Geographical Society), 1978 .

2- خريطة الجمهورية العربية اليمنية من ثماني أوراق.

- La Republique Arabic du Yemen au 1/250 000e " The Yemen Arab Republic and Neighousing Areas " produced for the Yemen Arab Republic by the Director of Military Survey, Ministry of Defence, United Kingdom 1974 .

3- خريطة الجمهورية اليمنية من ورقة واحدة.

- La Republique arabe du Yemen au 1/500 000e " Yemen Arab Republic, 1:500 000e, by Urs GEISER and Hans STEFFEN, Dept . of Geography, University of Zurich (Supervision : prof . Dr. . H. Haefner), produced for the Swiss Technical Co-operation Service, Berne, and the Central Plannning Organisation, San'a, May 1977 .

4- خريطة الجمهورية العربية اليمنية من ورقة واحدة.

- La Republique arabe du Yemen au 1/500 000e " Yemen Arab Republic, by the Government of the Yemen Arab Republic, by the British Government's Ministry of Overseas Development (Directorate of Overseas Surveys), 1978.

5- خريطة الجنوب العربي من ورقتين.

- Southern Arabia 1:50 000e, from the reconnaissance of Von Wissmann, made during the Von der Meulen Von Wissmann expedition of 1931 and 1939 and Combined with the results of other expedition.

- TIBBETTS, G.R : Arabia in Early Maps, a bibliography of maps covering the Pininsula of Arabia printed in Western Europe from the invention of printing to the year 1751, England, 1978 .

- كما تم استخدم خرائط نشرت مع بعض الدراسات ، وقد قمنا بإجراء بعض التعديلات عليها.

1- MM. Alessendro de Maigret, and, ch . Robin: les fouilles Italiénne ... p . 257 .

2- AL - GAROO . A : Les antiquités du Yémen ... pp. (270 – 271), (288 – 289).

3- J, PIRENNE:
  - Lés temoins écrits ... p. 14 .
  -Prospéction historique ..., p. 215 - 232 .

قائمة الرموز والاصطلاحات

– إرياني 13 : أحد النقوش التي نشرها وعلّق عليها مطهّر الإرياني، في كتابه "فـــي تــاريخ اليمن، نقوش مسنديّة وتعليقات..." ، وقد يختصر اسم الإرياني بـــ (Ir).

– شرف الدين 31 : أحد النقوش التي نشرها أحمد شرف الدين، في الجزء الثــالث من كتابه "تاريخ اليمن الثقافي".

- A.D.S.A : Archaeological Discoveries in South Arabia :
الاكتشافات الأثرية في الجنوب العربيّ، كتاب شمل تقارير بعض من أعضاء البعثة الأمريكيّــة لدراسة الإنسان، التي نقبت في وادي بيحان بين عامي (951–1952م).

- BASOR : Bulletin of the American schools of oriental Research:
مجلة خاصة بالدراسات الشرقيّة.

- BSOAS: Bulletin of the school of oriental and African studies:
مجلة خاصة بالدراسات الشرقيّة والأفريقيّة.

- CIH: Corpus Inscriptionum Semiticarum, Pars quarta, Inscriptions himyariticas , et sabaeas continens , Tome I , II , III , Paris, (1889- 1932) .:
مدّونة النقوش الساميّة.

- Glaser : Inscriptions réceilliés par E . Glaser :
نقوش جمعت بواسطة (جلازر) ولم تنشر في مدونات النقوش المعروفة، بل نجدها في دراسات متفرقة، عنيت بالنقوش اليمنيّة.

- Hamilton: Inscription découvertes lors des Sandages éffectués par R.A.B. Hamilton a Śabwa, et publiée dans W.L. Brown and A.F.L Beeston: Sculptures..
نقوش اكتشفت من قبل (هاملتون) أثناء تنقيباته في شبوة.

- Ja: inscriptions publieés par A.Jamme:
نقوش نشرت بواسطة أ. جام.

- PSAS: Proceeding of the Seminar for Arabian Studies.

- RES: Repérotoire d'epigraphie sémitique. publié par la commission du corpus inscriptionum Semiticarum (Académie des inscriptions et Belles - Lettres) Tome V 1929, Tome VI, 1935, Tome VII, 1950, Paris:

مدوّنة النقوش الساميّة، نشرت بواسطة الأكاديميّة الفرنسيّة للنقوش والفنون الجميلة، النقوش اليمنيّة نُشرت في ثلاثة أجزاء، الجزء الخامس صدر عـــام 1929، الجـــزء السادس صدر عام 1935، الجزء الثامن صدر عام 1950.

- Ry: Ryckmans, Gonzague.

نقوش نشرت بواسطة، جوانزك ريكمانز، وقد بدأ بنشرها منذ عام 1927 وحتى عام 1965 ، بلغت حلقاتها (22) حلقة جميعها نشرت في مجلة (Le Museon).

- Trad: Tradution: ترجمة

- Philby: inscriptions copies par H.st. J. B Philby:

نقوش نسخت بواسطة (جون فلبي).

- Tome: جزء

- Vol: volume: جزء

- Raydan: حولية الآثار والنقوش اليمنية (ريدان)

فهرس الخرائط

فهرس الجداول

محتويات الكتاب